الدبلوماسي

السنة التاسعة والعشرون - العدد 299-300
يناير- فبراير 2021 الثمن 10 جنيهات

نهرٌ مبارك الغَدَوَات ميمونُ الرَّوْحَات

فى هذا العدد

الدبلوماسى

diplomat.magazine.egypt/ gmail.com@diplomatmagazine92

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى
أسسها
السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفيرة منال عبد الدايم

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد
سفير أشرف عقل
سفير د. يوسف الشرقاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثان هند منذر

توجه المراسلات إلى
رئيس تحرير مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 202+

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

حتى لا ننسى ..... بقلم السفير رضا الطايفى	2
الحقيبة الدبلوماسية	4
حصاد الفرص والتحديات - 2020 ..... سفير جمال الدين البيومى	10
حول قمة تجمع بريكس (BRICS) الثانية عشرة ... سفير د. عزت سعد	14
أزمة سد النهضة بين الانسداد والانفراج 1 / 2 ..... سفير د. صلاح حليمة	18
سلسلة مقالات بعنوان «فى أروقة الأمم» ..... سفير عمرو الجويلى	20
فى ذكرى اغتيال الزعيم لومومبا ..... سفير هشام الزميتى	24
الحرب العالمية الثانية ..ويوم فارق ، متعدد الآثار ! ... رجائى عطية	26
لمحات من تجربة شنغهاى فى جذب الاستثمارات ... سفير عبدالفتاح عزالدين	30
نهرٌ مبارك الغَدَوَات ميمونُ الرَّوْحَات ..... مدبولى عتمان	33
من هنا نبدأ..مصر والصين نموذجا ... سفير د. يوسف الشرقاوى	34
«الحديد والصلب» .. حكاية لها تاريخ .... سفير د. وليد محمود عبد الناصر	36
طابا...مصرية الهوى والهوية ..... د.هشام عبدالملك	40
اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الديمقراطية الأمريكية..... سفير د .عادل السالوسى	44
مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية ..... سفير د. سامح أبو العينين	49
الرئيس الأمريكى بايدن ومشكلات الشرق الأوسط ... سفير رخا أحمد حسن	50
ذكريات دبلوماسى مصرى فى الدوحه ..... سفير أسامة توفيق بدر	53
المسيحية الصهيونية الجذور التاريخية والأهداف ..... سفير د. محمد نعمان جلال	54
هل أودى خطاب ترمب السياسى به ؟ ..... ميسا جيوسى	58
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين ..... تقدمها نادية الريس	60
حكايات اذا لم تسجل ستضيع ..... سفير يسرى القويضى	63
لبنان أزمة دولة ..... ماهر مقلد	64
خطوات مضيئة نحو الفضاء ..... سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى	66
قراءة فى كتاب السفير د. محمود سمير أحمد..حول العالم مع دبلوماسى مصرى ..... عادل عبدالصمد	68
متنمرون و ضحايا ..... سفير د. هادى التونسى	71
ذكريات ..... شعر السفيرة عواطف شلبى	72
2020 باختصار ترك لنا مكان بالأرض ودعوة فى السماء ..... السفيرة د.عبير بسيونى	73
أصل الكتابة العربية ..... سفير أشرف عقل	74
فى زمن الكورونا: أولويات جديدة لمنتدى دافوس من أجل مستقبل أفضل للعالم.. هادية الشربينى	76
فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان	78
الضوابط هى التى تصنع الإنسان ..... سفير د. فتحى مرعى	80

افتتاحية العدد

رئيس التحرير

السفير رضا الطايفى

taifyreda@yahoo.com

حتى لا ننسى.....

يسعدنى وأســـرة تحرير مجلة «الدبلوماسى» ونحن نصدر أول أعداد المجلة فى عـــام 2021، أن نتوجه إلى قرائنا الأعزاء بأصـــدق التهانى وأخلص الأمنيات، داعين الله العلى القديـــر أن يحمل لنا العـــام الجديد كل خير وسعادة، وللدبلوماســـية المصرية كل التوفيق والنجاح فى جهودها الدؤوبة لرفعة شـــأن الوطـــن والدفاع عن مصالحه فى كل المحافل والمنتديات الثنائية والإقليمية والدولية، ولمصرنا الحبيبة قيادة وحكومة وشـــعباً كل بشائر الخير والاســـتقرار والتقدم والازدهار ومزيداً من الإنجازات القومية التى تؤســـس لنهضة مصرية حديثة فى كافة المجالات التنموية..

ولعالمنـــا العربى اســـتعادته لأمنه واســـتقراره ووحدته ووضـــع حد لما يـــدور فى بعض أرجائـــه من صراعات وخلافـــات وحـــروب أهليـــة، وانتهاء ظاهرة التدخلات الخارجية فى شـــئونه والاســـتقطابات الإقليميـــة التى باتت تتعرض لها بعض دوله، حتى يســـترد عافيتـــه وأمجاده التى كانـــت ... وأن تستعيد مسيرة الســـلام وعملية تسوية القضية الفلسطينية الزخم الذى افتقدته طوال السنوات الســـابقة سواء نتيجة الانقســـامات التى تشـــهدها الساحة الفلســـطينية، أو نتيجة انشغال العديد من دول المنطقة بمشـــكلاتها المستجدة منذ أحداث ما ســـمى «الربيع العربى» أو نتيجة ممارســـات وقرارات الإدارة الأمريكية السابقة التى تجاهلت الثوابت والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى والتى انحازت على طول الخط لإسرائيل بل وشـــجعت الأخيرة على سياســـاتها التوسعية ســـواء بضم هضبة الجولان السورية أو بالتمادى فى استفزاز الجميع وتجاهل القرارات الدولية والاستمرار فى الاستيلاء على مزيد من الأراضى العربية وطمس الهوية الفلسطينية ببناء المزيد من المستوطنات، وكذا القرار المتعسف بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، هذا فضلاً عن الظرف الدولى والإقليمى غير المواتى. كما نأمل أن يشهد العام الجديد إســـكاتاً للبنادق فى قارتنـــا الإفريقية وتسوية كل ما يدور فيها من صراعات بالطرق والوســـائل السلمية من خلال الآلية الإفريقيـــة لفض المنازعات، حتى تتفرغ دول القارة وحكوماتها لتحقيق خططها وبرامجها ومشروعاتها التنموية بما يحقق للقارة الواعدة كل ما تستحقه وتصبو إليه من نماء وتقدم ورفاهية..

ولعلّ العام الجديد 2021 يشـــهد استمرار تضافر وتكليل الجهود الدولية من أجل تحقيق الأمل العزيز لكل دول وشـــعوب العالم بإحـــداث اختراق فى مواجهة فيروس كورونا الغامض سواء بتوفير مـــا يكفى من لقاحـــات فعالة للوقاية منه أو باكتشاف الدواء المناسب للعلاج من هذا الفـــيروس القاتل الذى تسبب فى إصابات فاقت حتى الآن المائة مليون نســـمة وأدى إلى حدوث وفيات بلغت حوالى 2 مليون نســـمة فى مختلف أنحاء العالم. هذا الوباء الذى شلّ حركة البشرية وغيّر من أنماط الحياة التقليدية والذى ســـيطرت أحداثه عـــلى وقائع وجلســـات الـــدورة 51 لمنتدى دافوس خلال يناير 2021، الذى لم يســـلم هو الآخر مـــن تأثيرات الوبـــاء حيث عقد المنتدى هذا العام بصورة افتراضية عن بعد لأول مرة فى تاريخه الممتد منذ حوالى نصف قـــرن، والذى تحـــدّث فيه أمين عام الأمم المتحـــدة أنطونيو جوتيريش مشـــيراً إلى أن فيروس كورونا قد كشف هشاشـــة النظام العالمى وأدخل العالم فى نفق أسوأ أزمة اقتصادية منذ حوالى مائة عام. هذا وقد شهدت بدايات العام الجديـــد تبنى الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة القرار الذى قدمته كل من مصر والسعودية والإمارات العربية والبحرين بإعلان 4 فبراير من كل عام ليكون اليوم العالمى للأخوة الإنسانية والأمل كبير فى أن يشهد العالم خلال السنوات القادمة تفعيلاً لهذا القرار حتى تســـود مفاهيم وممارسات الأخوة كل أرجاء المعمورة.

ومع بـــزوغ فجر العـــام الجديد 2021 يتطلع كل مـــصرى ويحلم بغد أكثر إشراقاً وأكثـــر أماناً وأكثر رفاهية واســـتقراراً على المســـتويين الشخصى والوطنى، ولا شـــك أن مصر قد قطعت شوطاً كبيراً على طريق التعافى السياسى والاجتماعى والإصلاح الاقتصادى، هذا التعافى الـــذى بدأ منذ عام 2014، وبعد استكمال خارطة الطريق سواء بوضع دستور أو بإجراء الانتخابات الرئاسية والتشريعية، حيث تسير مصر منذ ذلك التاريخ وكأنها فى سباق مع الزمن ومع العالم لمعالجة الآثار السلبية الناجمة عن ثورة يناير 2011، وأولها استعادة الأمن والأمان فى الشـــارع المصرى واستعادة هيبة الدولة والنظام الذى كان قد غاب تلك الفترة وجعل الكل يستشعر بأن عقد الوطن وسلامه الاجتماعى قد انفرط ولن يعود قبل مـــرور فترة طويلة من الزمن نتيجة تولى التنظيم الإخوانى الســـلطة واختطافه لأحلام الشـــباب الذين ثاروا وهتفـــوا فى الميدان مطالبـــين بالعيش والحرية والعدالـــة الاجتماعية والكرامة الإنسانية.

ناهيك عمّا شـــهدته تلـــك الفترة من أحداث الســـلب والنهب وترويع الآمنين،

والعنف الطائفى، والمظاهرات الفئوية والمليونيات وترويج ونشر الشائعات لإعادة تدوير حالة الفوضى والنيل من الاستقرار فى عموم الوطن، وثانياً مكافحة ودحر الإرهاب ومطاردة فلوله أينما وجدوا وتطهير جيوبه أينما كانت بفعل عمليات وبطولات ويقظة رجال الجيش والشرطة البواسل وتضحيات شهدائنا الأبرار. وثالثاً التعافى الاقتصادى، حيث نجحت مصر خلال السنوات الست الأخيرة فى اجتياز أصعب محنة وجودية فى تاريخها الحديث على الصعيد الاقتصادى والاجتماعى حيث خرجت مصر من أحداث يناير 2011 بخزينة خاوية بعد نفاذ وتبديد كل احتياطيها من النقد الأجنبى الذى كان قد بلغ حوالى 40 مليار دولار وتزامن ذلك مع تراجع معدل النمو إلى حد الصفر بعد أن كان قد وصل إلى حوالى 7٪، وتزايد معدل البطالة إلى درجة غير مسبوقة لتوقف عجلة الإنتاج وارتفاع معدلات التضخم وتراجع بل توقف الصادرات وارتفاع أسعار السلع والخدمات، وتراجع أرقام وعوائد السياحة وكذا تحويلات المصريين فى الخارج وغيرها من مصادر إيرادات الدولة.

وللتاريخ والإنصاف، لم يكن أكثرنا تفاؤلاً يتوقع أو يتخيل أن تخرج مصر من تبعات أحداث يناير 2011 السلبية قبل مضى عدة عقود من الزمان اللهم إلا بمعجزة من السماء. وهو ما يؤكده حالة العديد من دول المنطقة التى مازالت منذ ذلك التاريخ غارقة فى مستنقع الفوضى ودوائر العنف والعنف المضاد ومخاطر التقسيم والتى بدأت تعانى منه منذ تعرضها لأحداث موجة ما بات يعرف بالربيع العربى ومحاولات رسم خريطة سياسية وربما جغرافية جديدة للمنطقة تنفيذاً لأجندات خارجية لإقامة ما سمى بالشرق الأوسط الجديد أو الشرق الأوسط الكبير الذى بيّت أنصاره النية لتقسيم العديد من الدول - بما فيها مصر - إلى دويلات صغيرة ذات طبيعة دينية أو مذهبية أو عرقية.

إلا أن تلاقى إرادة الشعب والجيش المصرى فى يونيو ويوليو 2013، قد أجهض كل هذه السيناريوهات وأدى إلى إزاحة هذا الكابوس من المشهد المصرى. بحيث لم تمض إلا سنوات قليلة حتى عادت عجلة التعافى إلى الدوران فى عملية تنموية شاملة وغير مسبوقة شهدت إنجاز العديد من المشروعات القومية العملاقة فى كافة المجالات الصناعية والزراعية والبنى التحتية فى خطة طموحة تسعى بالوصول بمصر إلى تصدر قائمة الاقتصاديات البازغة فى العالم قبل 2030. هذا بالتوازى مع توجهات ومبادرات الدولة لتبنى سياسة تنموية متوازنة تراعى البعد الاقتصادى جنباً إلى جنب مع البعد الاجتماعى، مع مراعاة العدالة التنموية ما بين الريف والحضر سعياً إلى رفع مستوى معيشة الإنسان المصرى الذى تحمل ولايزال فاتورة الإصلاح الاقتصادى والذى يقف مسانداً للدولة فى معركتها نحو البناء والتنمية. ومن ذلك مشروع حياة كريمة الذى يهدف إلى تطوير 4500 قرية وتقليل الفجوة النوعية بين الريف والحضر وبين محافظات الصعيد ومحافظات الدلتا والذى يجرى حالياً تنفيذ مرحلته الثانية ومن المقرر استكماله فى غضون ثلاث سنوات تنتهى فى 2024 ويستفيد منه حوالى 50 مليون نسمة، بتكلفة يبلغ إجماليها حوالى 500 مليار جنيه وفق ما ورد بالإحصائيات الرسمية.

وتجدر الإشارة فى هذا الصدد إلى أن مصر شرعت فى إدراج معايير الحوكمة كهدف أساسى فى إستراتيجيتها لتحقيق التنمية المستدامة - رؤية مصر 2030 - من خلال تطوير التشريعات السارية أو اقتراح تشريعات جديدة، وتعزيز سيادة القانون، وغرس قيم النزاهة والشفافية ومكافحة الفساد وتعزيز المساءلة، والمشاركة المجتمعية وقيم المسئولية المجتمعية، بالإضافة إلى التوجه نحو جهاز إدارى فعّال وكفء ومنفتح ومستجيب فى ظل آليات جيدة للمتابعة والتقييم على كافة المستويات. علماً بأن جهوداً كبيرة قد بذلت خلال السنوات الماضية فى مجالات الإصلاح الإدارى والتحول الرقمى وتطوير النظم المعلوماتية للرصد والمتابعة وتطوير الخدمات وتحسين الأداء الاقتصادى وبيئة الأعمال وتعزيز الشفافية ومكافحة الفساد وسيادة القانون، برغم ما يزال يواجه هذا التوجه من تحديات.

يزيد من قيمة مثل هذه المشروعات النوعية أنها تتحقق على أرض الواقع برغم التحديات التى يواجهها الوطن - دولياً وإقليمياً وداخلياً - فضلاً عن جائحة كورونا التى حدّت بدرجة أو بأخرى من وتيرة عمليات التنمية المستدامة - إذ لا يروق للبعض فى الداخل أو الخارج أن تمضى مصر فى عملية البناء والتنمية بخطى سريعة ومستقرة أو أن يهنأ أبناؤها باستقرار جدير بهم ويستحقونه وازدهار وتقدم يتطلعون إليه مع كل إنجاز يتحقق على أرضها مع كل طلعة شمس، ومكانة إقليمية ودولية شاءت إرادة الله وموقع مصر الإستراتيجى أن تتبوأها وتضطلع بها على مدار العصور والأزمان، وشاءت الأقدار أن تحتفظ لمصر بمكانتها بفضل وحدة شعبها وإصراره على استمرار تضحياته وصموده وعطائه الإنسانى.

وبفضل رؤية قيادتها الوطنية الواضحة والصائبة التى تسعى باستمرار إلى إزاحة التحديات من طريقها حتى لا تحجب رؤيتها تجاه المستقبل المزدهر الذى تعمل من أجله وتجاه طموحات لا حدود ولا سقف لها بأن تعود مصر لتحتل مكانة متقدمة فى قوائم الريادة العالمية فى كافة المجالات.

حقيقة، وحتى لا ننسى، فقد واجهت مصر خلال السنوات القليلة الماضية العديد من التحديات وتغلبت عليها وقهرت معظمها، وحقيقة أن التحديات القائمة قد تكون كبيرة ومتعاظمة ومنها أحلام اليقظة التى عادت مؤخراً لتراود دراويش وكهنة ما سمى بالربيع العربى بالتزامن مع تسلم الإدارة الأمريكية الجديدة وادعاءاتهم بأن الربيع العربى المزعوم لم يكتمل فبدأوا يعبئون شراذمهم سعياً لإعادة الكرّة من جديد غير عابئين بالآثار السلبية الكارثية التى أحدثوها فى بلادهم، وكأن الأوطان أصبحت حقل تجارب لمثل هذه المغامرات العبثية الممولة والمدبرة بفعل قوى مغرضة. إلا أن الحقيقة الأخرى أن هناك رؤية واضحة وقناعة راسخة وإرادة حديدية صلبة للتعاطى مع أى تحديات وقهرها طالما أن الشعب المصرى بكتلته الصلبة وبإرادته الجمعية وكل أطيافه يقف صفاً واحداً خلف قيادته يؤازرها، لا تهزه شائعة ولا تنال من وحدته وصلابته أبواق العمالة والخيانة وطيور الظلام التى تنعق ليل نهار خلف الحدود، فقد يكون من الطبيعى والمفهوم ظهور آراء موضوعية أو اختلافات حول أولويات بعض برامج ومشاريع التنمية، إلا أن ذلك لا يعنى الشك والتشكيك فى أى شيء وكل شيء ولا يعطى أى مبرر للدعوة لإعادة تدوير الأحداث والعودة بعقارب الساعة إلى الوراء.

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

شكرى يستقبل السكرتير العام لاتفاقية التجارة الحرة القارية الإفريقية

استقبل وزير الخارجية سامح شكرى، «وامكيلى مينى» السكرتير العام لاتفاقية التجارة الحرة القارية الإفريقية.

صرح السفير أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن وزير الخارجية أعرب خلال اللقاء عن التقدير لقيام السكرتير العام بزيارة مصر فى مستهل جولاته الخارجية بعد إطلاق منطقة التجارة الحرة، وحرصه على التشاور مع الجانب المصرى والاستماع لرؤيته حول الموضوعات المتعلقة بالاتفاقية.

وأوضح المتحدث الرسمى، أن الوزير شكرى قد أوضح خلال اللقاء الأهمية الكبيرة التى توليها مصر لنجاح هذه الاتفاقية، أخذاً فى الاعتبار أن الإعلان عن تدشين منطقة التجارة الحرة قد تم إبان الرئاسة المصرية للاتحاد الإفريقى فى عام ٢٠١٩، مبرزاً كون مصر من أوائل الدول الموقعة والمصدقة على الاتفاقية.

وزير الخارجية يشهد مراسم تخرُّج دبلوماسيين جُدد

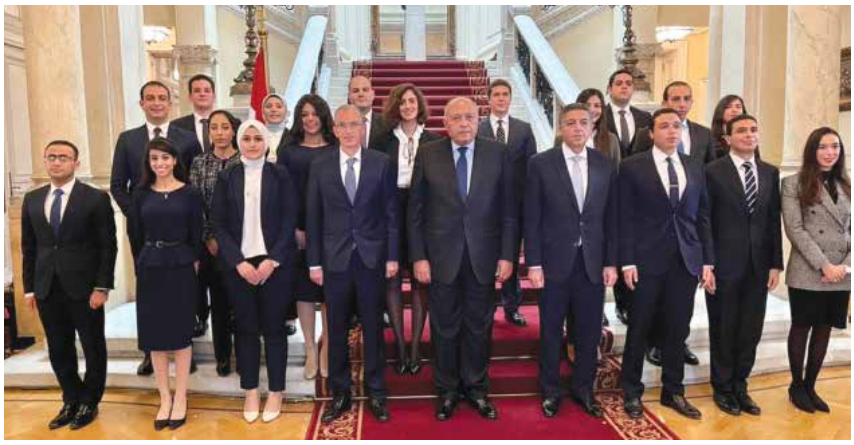

شهد وزير الخارجية سامح شكرى مراسم تخرُّج الدفعتين ٥٢ و٥٣ من المُلحقين الدبلوماسيين الجُدد بقصر التحرير، وذلك بحضور السفير عمر عامر، مساعد وزير الخارجية للسلك الدبلوماسى والقنصلى، والسفير خالد راضى، مساعد وزير الخارجية مدير معهد الدراسات الدبلوماسية؛ حيث شملت مراسم تخرج الدفعتين قيام المُلحقين الجدد بحلف اليمين الوظيفى أمام وزير الخارجية.

وصرح السفير أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية أن الوزير شكرى هنّأ الدبلوماسيين الجُدد على انضمامهم لوزارة الخارجية، ونقلَ لهم صادق تمنياته بالسداد والتوفيق فى مهامهم المستقبلية؛ مؤكدًا، فى السياق ذاته، على حجم المسئولية المُلقاة على عاتقهم لاستكمال مسيرة هذه المؤسسة العريقة فى الدفاع عن مصالح مصر فى الخارج وتمثيلها خير تمثيل.

وزير الخارجية ورئيس المخابرات العامة يلتقيان رئيس الوزراء اللبنانى المُكلف

فى أعقاب استقبال السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى رئيس الجمهورية لرئيس وزراء لبنان المُكلف سعد الحريرى، التقى وزير الخارجية سامح شكرى والوزير اللواء عباس كامل رئيس جهاز المخابرات العامة، بالسيد سعد الحريرى، وذلك بوزارة الخارجية بقصر التحرير، ثُم أعقب ذلك مأدبة غداء لاستكمال المُباحثات بمشاركة الوفدين.

وصَرَّح السفير أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن اللقاء تناول التأكيد على موقف مصر الثابت من دعم أمن واستقرار لبنان الشقيق ومساندة مساعيه الرامية إلى تجاوز التحديات الراهنة، بما يُحقق تطلعات لبنان فى تحقيق الاستقرار ودفع عجلة التنمية وصون مقدرات شعبه الشقيق.

وزير الخارجية يستقبل نظيره اللبناني

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية شربل وهبة وزير الخارجية والمغتربين اللبنانى للتباحث حول مُجمل العلاقات الثنائية، وسبل تحريك الجمود الحالى فى المشهد اللبنانى.

وصرّح السفير أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية أن الوزير شكرى أعرب لنظيره اللبنانى عن دعم مصر الكامل للبنان الشقيق وصولًا إلى حلحلة الجمود الراهن الذى يعرقل تشكيل الحكومة اللُبنانية، حيث أكد شكرى على رؤية مصر القائمة على ضرورة تشكيل حكومة كفاءات وطنية تُعلى من مصلحة لبنان العُليا، وتحظى بدعم المجتمع الدولى على نحو يتسق مع الأسس الدستورية دون غيرها من المعايير التى أنتجت الأزمة الممتدة فى لبنان.

وزير الخارجية يؤكد على موقف مصر من دعم اليمن ومساعيه لتحقيق الاستقرار والتنمية

استقبل وزير الخارجية سامح شكرى، وزير الخارجية وشئون المُغتربين بالجمهورية اليمنية الشقيقة الدكتور أحمد عوض بن مبارك، وذلك بمقر وزارة الخارجية.

وصرح السفير أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى استهل اللقاء بتقديم التهنئة للوزير اليمنى على توليه المنصب، مُعربًا عن ثقة مصر فى أن يُسهم النجاح فى تشكيل الحكومة الجديدة فى توحيد الجهود ودعم مسار الحل السياسى الشامل للأزمة اليمنية. كما أكد وزير الخارجية على موقف مصر الثابت من دعم وحدة الدولة اليمنية واستقلالها وسلامة أراضيها، وأن الحل السياسى هو السبيل الأمثل لتسوية الأزمة فى اليمن استنادًا إلى المرجعيات المُتفق عليها، لاسيما المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية، ومخرجات الحوار الوطنى الشامل، وقرارات مجلس الأمن ذات الصِلة وخاصة القرار رقم ٢٢١٦.

سامح شكرى يبحث دفع علاقات التعاون مع نظيره البرتغالى

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً من وزير الخارجية البرتغالى «أوجستو سانتوس سيلفا»، فى إطار التنسيق المستمر حول سُبل دفع العلاقات الثنائية، فضلاً عن التشاور حول الموضوعات والقضايا الإقليمية والدولية محل الاهتمام المُشترك بين الجانبين.

وفى تصريح للسفير أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، ذكر أن الوزير «شكرى» قدم خلال الاتصال التهنئة لـ«سيلفا» على تولى بلاده رئاسة الاتحاد الأوروبى اعتباراً من الأول من يناير ٢٠٢١، معرباً عن تطلع مصر إلى مواصلة التنسيق مع البرتغال لدفع العلاقات مع الاتحاد الأوروبى، والارتقاء بمستوى التعاون الأوروبى الإفريقى الذى يحظى باهتمام كبير من الجانبين.

وأضاف حافظ، أن وزير الخارجية أعرب خلال الاتصال عن تقدير الجانب المصرى للعلاقات الثنائية المتميزة التى تجمعه بالبرتغال، مؤكداً على تطلع مصر إلى تعزيز آفاق التعاون الثنائى مع البرتغال فى شتى المجالات.

الوزير سامح شكرى يتلقى اتصالاً من نظيره البرازيلى عبر الفيديو كونفرانس

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى اتصالاً، عبر الفيديو كونفرانس من نظيره البرازيلى «إرنستو آراوجو»، تبادلا خلاله الرؤى حول الفرص المتاحة لتعزيز علاقات التعاون الثنائية، فضلاً عن التباحث بشأن عدد من القضايا الإقليمية والدولية.

وفى تصريح للسفير أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، ذكر أن الوزيرين أكدا على قوة العلاقات التى تجمع الدولتين على مختلف المستويات، وتطلعهما لتعزيزها إلى آفاق أرحب من خلال تكثيف المشاورات الثنائية لتتناول كافة المسائل والقضايا محل الاهتمام المُشترك. كما اتفق الوزيران على بذل المزيد من الجهود لتشجيع التفاعل بين القطاع الخاص فى البلدين وخاصةً فى مجالات الأعمال الزراعية، والبحوث الطبية والصيدلانية، والعلوم والتكنولوجيا، بالإضافة إلى العمل على تعزيز العلاقات التجارية والاستثمارية بين مصر وتجمع الميركوسور.

وزير الخارجية أمام البرلمان:

أزمة السد على رأس أولويات وزارة الخارجية

أكد وزير الخارجية سامح شكرى، خلال بيان وزارة الخارجية أمام مجلس النواب، أنه ليس من قبيل المبالغة أن يصف ملف مياه النيل بأنه الأهم على أجندة السياسة الخارجية المصرية، وأن تأمين مصالح مصر المائية وصون حقوقها، يأتى على رأس أولويات وزارة الخارجية وكافة مؤسسات الأمن القومى المصرى التى تعمل بدأب وإخلاص من أجل حماية مقدرات الشعب المصرى والذود عن المصدر الأوحد لحياة ملايين المصريين منذ فجر التاريخ، وذلك إعلاءً لما التزمت به الدولة المصرية فى دستورها الذى أقرته الأمة بحماية نهر النيل والحفاظ على حقوق مصر التاريخية المتعلقة به.

وأضاف وزير الخارجية، أمام البرلمان، «تسعى مصر من خلال المفاوضات الممتدة حول السد الإثيوبى التى شاركت فيها إلى التوصل لاتفاق عادل ومتوازن يحقق مصالح الدول الثلاث التى تتشارك فى النيل الأزرق بما يتيح لشركائنا فى إثيوبيا تحقيق أهدافهم التنموية، ويقى شعبيّ مصر والسودان المخاطر، ويحفظ حقوقهما التى أقرتها الاتفاقيات والأعراف الدولية.

وتحدث الوزير عن دور وزارته أكثر فى هذا السياق قائلاً: «ومن هنا، فقد قدمت وزارة الخارجية الدعم اللازم لوزارة الموارد المائية والرى واشتركت بجانب أجهزة الدولة المصرية المعنية بهذا الملف فى مختلف جولات المفاوضات التى جرت على مدار السنوات الأخيرة، ومن بينها تلك التى أفضت، فى واشنطن، إلى صياغة مشروع اتفاق متكامل لقواعد ملء وتشغيل السد والذى وقعته مصر بالأحرف الأولى تأكيداً لجديتها ولتوافر الإرادة السياسية لديها لإبرام اتفاق يراعى مصالح وحقوق الدول الثلاث.

وتابع: «إلا أن إثيوبيا تحفظت على هذا الاتفاق ورفضته وقاطعت مسار المفاوضات التى تمت فى واشنطن، بل وشرعت فى ملء خزان سد النهضة بشكل أحادى دون اتفاق حول قواعد الملء والتشغيل».

وأضاف الوزير: «وهو ما حدا بالدبلوماسية المصرية – انطلاقاً من حرصها على صون حقوق مصر ومصالحها المائية – إلى التحرك بفاعلية من أجل حشد الدعم الدولى للموقف المصرى ولجذب انتباه المجتمع الدولى للمخاطر المرتبطة بقيام إثيوبيا باتخاذ إجراءات أحادية فى تعاملها مع سد النهضة».

وتابع الوزير: «إن هذا ما أسفر عن إحالة الملف إلى مجلس الأمن بالأمم المتحدة الذى عقد جلسة تاريخية يوم ٢٩ يونيو ٢٠٢٠ لمناقشة هذه القضية فى سابقة هى الأولى من نوعها لقيام مجلس الأمن ببحث الآثار السياسية والأمنية لمشروع مائى مقام على نهر دولى، وذلك تقديراً لمكانة مصر ودورها واقتناعاً بعدالة الرؤية المصرية فى ملف سد النهضة وإدراكاً لخطورته على الأمن والاستقرار فى المنطقة بأسرها».

وواصل وزير الخارجية، أن مصر قد أوضحت بجلاء خلال جلسة مجلس الأمن – وعلى مرأى ومسمع من المجتمع الدولى بأسره – أن مياه النيل تمثل قضية وجودية لمصر وشعبها، وأن مسألة سد النهضة ترتبط وتؤثر على مستقبل ومصير أكثر من ٢٥٠ مليون مواطن فى مصر والسودان وإثيوبيا.

كما أكدت مصر أنها – مع إيمانها بأن نهر النيل ليس حكراً على أحد – لن تفرط فى حقوقها ولن تتهاون مع أى ضرر يطال مصالحها أو يمس مقدرات شعبها الذى يرتبط وجوده وحياته بنهر النيل وخيراته.

وأشار وزير الخارجية إلى أن مصر شاركت منذ جلسة مجلس الأمن فى المفاوضات الجارية برعاية الاتحاد الإفريقى، إلا أن مشاركتها فى هذه المفاوضات وانخراطها فيها لا يعنى أننا نتفاوض من أجل التفاوض، فالتفاوض ما هو إلا وسيلة وأداة للوصول للاتفاق المنشود وليس هدفاً وغاية فى حد ذاتها.

وشدد وزير الخارجية على موقف مصر قائلاً: «فنحن لم ولن نقبل بأن ننجرف فى مناورة لإطالة أمد المشكلات أو لترسيخ واقع على الأرض وفرضه على الآخرين، كما أننا لم ولن نقبل بأن يقع هذا النهر الذى تتعلق به مصائر الملايين رهينة لمساعى البعض لفرض سيطرته أو هيمنته عليه، وإنما سنستمر فى سعينا للتوصل لاتفاق يحقق الخير والتنمية لشعوب وادى النيل جميعها ويضمن حياة كريمة ومستقبلاً آمناً لأجيالها القادمة.

نشاط السفارات

بلجراد

شارك سفير مصر فى صربيا «عمرو الجويلى» فى احتفالية لمتحف الكتاب والأدب والثقافة «أدليجات» فى بلجراد، بالتعاون مع جمعية الصداقة المصرية الصربية، حيث قدم كتابين موقعين مهديين من الكاتب الكبير محمد سلماوى، الأول للأديب المصرى الكبير نجيب محفوظ بعنوان «أصداء السيرة الذاتية» والثانى لروايته «أجنحة الفراشة». وتحدث فى الاحتفالية ممثلون عن كبرى الدوائر الثقافية الصربية على رأسها «دوبرافكا فيليبوفسكى» رئيسة جمعية الصداقة البرلمانية المصرية الصربية و«برانكيتسا يانكوفيتش»، رئيسة مفوضية المرأة والمساواة و«فوك ميرشيتش»، نائب رئيس لجنة الثقافة بالبرلمان والسفيرة «أنيتا جيرمانوفيتش» رئيسة جمعية الصداقة المصرية الصربية والمضيف «فيكتور لازيتش» رئيس جمعية متحف الكتاب «أدليجات».

ميلانو

نقل القنصل العام فى ميلانو إيهاب أبو سريع تهنئة السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى إلى الجالية المصرية القبطية بشمال إيطاليا بمناسبة عيد الميلاد المجيد، وذلك خلال الزيارة التى قام بها لنيافة الأنبا أنطونيو أسقف إيبارشية ميلانو وتوابعها بمقر كنيسة السيدة العذراء مريم والقديس الأنبا أنطونيوس فى ميلانو.

وأكد القنصل العام حرص القنصلية على مشاركة أبناء الجالية المصرية القبطية بشمال إيطاليا فى الاحتفال بمناسبة عيد الميلاد المجيد. كما تقدم بخالص التهنئة نيابة عن أعضاء القنصلية لجميع الإخوة الأقباط بشمال إيطاليا. ومن جانبه، وجه الأنبا أنطونيو أسقف إيبارشية ميلانو خالص الشكر والتقدير للسيد رئيس الجمهورية على التهنئة وحرص سيادته الدائم على مشاركة الأقباط داخل وخارج مصر احتفالاتهم بالأعياد.

أوغندا

استقبل الرئيس الأوغندى «يورى موسيفينى» السفير أشرف سويلم، حيث تسلم أوراق اعتماده سفيراً لجمهورية مصر العربية لدى جمهورية أوغندا. وقد شارك فى مراسم تسليم أوراق الاعتماد والتى جرت بقصر الرئاسة بمدينة عنتيبى السكرتير الدائم لوزارة الخارجية الأوغندية السفير «باتريك موجويا»، ومدير إدارة المراسم «تشارلز سونتونجو».

أعرب الرئيس الأوغندى خلال المقابلة عن تقديره للسيد الرئيس عبدالفتاح السيسى، مشيراً إلى ما يجمع شعبيّ البلدين من صداقة وعلاقات تاريخية، مبدياً اهتمامه بتعزيز العلاقات بين الدولتين، لاسيما فى المجال الاقتصادى والاستثمارى، وموجهاً مساعديه بتسهيل استكشاف فرص الاستثمار الواعدة فى أوغندا للمستثمرين المصريين، وخاصةً فى القطاعين الصناعى والزراعى. كما تطرق اللقاء لبحث سُبُل تعزيز التعاون بين دول حوض النيل، والملفات الإقليمية محل الاهتمام المشترك.

يانجون

استقبل رئيس جمهورية اتحاد ميانمار «وين مينت» السفير شريف الليثى، حيث تسلم أوراق اعتماده سفيراً فوق العادة مفوضاً لجمهورية مصر العربية لدى جمهورية اتحاد ميانمار. وقد شارك فى مراسم تقديم أوراق الاعتماد التى جرت بالعاصمة السياسية «نيبيدو» وزير التعاون الدولى الميانمارى «جو تين»، والمدير العام لإدارة البروتوكول بوزارة الخارجية الميانمارية «ونا هان».

وقد أعرب الرئيس الميانمارى عن تقديره للسيد الرئيس عبدالفتاح السيسى، مشيداً بتميز علاقات بلاده الثنائية مع مصر التى تعود لخمسينيات القرن الماضى، مؤكداً على رغبته فى تعميق مفهوم التعاون مع مصر فى كافة المجالات.

ومن جانبه هنأ السفير شريف الليثى الرئيس الميانمارى لفوز الحزب الحاكم بأغلبية كبيرة فى الانتخابات العامة التى جرت فى نوفمبر ٢٠٢٠.

طوكيو

التقى سفير مصر فى اليابان، أيمن كامل، مع Minoru Kihara، المستشار الخاص لرئيس الوزراء اليابانى، حيث أعرب الأخير عن تهانيه على النجاح الذى أحرزته مصر فى تنظيم بطولة العالم لكرة اليد، مشيراً إلى أن ما تحقق يعد نموذجاً يُحتذى به فى إطار الاستعدادات الجارية لاستضافة الدورة الأولمبية فى طوكيو خلال الصيف القادم. تناول اللقاء الإشادة بالمستوى المتميز الذى تتسم به العلاقات بين مصر واليابان، وكذا استعراض أوجه التعاون العديدة التى تغطى مختلف المجالات، ومن بينها المتحف المصرى الكبير والشراكة المصرية اليابانية فى مجال التعليم EJEP.

بوجمبورا

قدّم السفير ياسر العطوى سفير جمهورية مصر العربية لدى بوروندى أوراق اعتماده للرئيس البوروندي Evariste Ndayishimiye، حيث أكد السفير ياسر العطوى للرئيس البوروندى خلال المقابلة على عمق ومتانة العلاقات بين البلدين الشقيقين وعلى تطلعه للعمل لنقل مستوى علاقات الدولتين فى كافة المجالات إلى مصاف أفضل تعكس خصوصية وتميز هذه العلاقات التاريخية، مشيراً إلى الجهود المبذولة من جانب جمهورية مصر العربية لدعم جمهورية بوروندى الشقيقة فى عدد كبير من المجالات، من بينها الكهرباء والطاقة، والصحة، والبيئة والمياه، وغيرها.

كما قدّم السفير ياسر العطوى شرحاً مفصلاً لآخر تطورات ملف سد النهضة، مؤكداً على ثوابت الموقف المصرى فى كافة جوانبه وأبعاده، ومنوهاً إلى مساندة مصر لحقوق التنمية والتقدم لكافة دول حوض النيل الشقيقة مع عدم الإضرار بالمصالح الحيوية لكافة الأطراف.

أبوجا

استقبل الرئيس محمد بوهارى، رئيس جمهورية نيجيريا الاتحادية، السفير إيهاب عوض، حيث تسلم الرئيس النيجيرى أوراق اعتماده سفيراً فوق العادة مُفوضاً لجمهورية مصر العربية لدى جمهورية نيجيريا الاتحادية. وجرت مراسم الاستقبال بمقر القصر الرئاسى بالعاصمة النيجيرية أبوجا.

وأعرب السفير إيهاب عوض عن سعادته البالغة بحفاوة استقبال الرئيس النيجيرى، مُثمناً مُجمل ما يربط بين البلدين والشعبين الشقيقين من علاقات تاريخية مُمتدة، ومؤكداً على تطلعه للعمل مع الحكومة النيجيرية بشكل وثيق لخدمة المصالح والأهداف المُشتركة بين الدولتين والدفع بها إلى آفاق أرقى على كافة المستويات، لتحقيق تطلعات الشعبين الشقيقين نحو التنمية المُستدامة والرخاء، فضلاً عن التعاون الثُنائى مع نيجيريا فى مجالات مُكافحة الإرهاب والتعاون الفنى ونقل الخبرات.

الكويت

استقبل سمو الشيخ صباح الخالد، رئيس مجلس الوزراء الكويتى، السفير طارق القونى سفير جمهورية مصر العربية لدى دولة الكويت.

وقد استهل السفير القونى اللقاء بتسليم رسالة خطية من رئيس مجلس الوزراء الدكتور مصطفى مدبولى إلى الشيخ صباح، كما تناول اللقاء بحث مُجمل العلاقات الثنائية والقضايا ذات الاهتمام المشترك بين البلدين الشقيقين.

كوريا الجنوبية

استقبل الدكتور حازم فهمى، سفير جمهورية مصر العربية لدى كوريا الجنوبية، الدكتور «كوى تشـــان بارك» رئيس المعهد الكورى للتنمية البشرية فى مجالى العلوم والتكنولوجيا، وهو مؤسســـة حكومية معنية بالتدريب والتأهيل والارتقاء بالقيادات والكوادر البشريـــة فى مهارات التعامل مع أحدث التطورات العلمية والتكنولوجية لخدمة جهود التنمية.

صرح الســـفير حازم فهمى فى هذا الســـياق بأن اللقاء جاء فى إطـــار متابعة نتائج زيارة الدكتورة رشـــا راغب، المدير التنفيـــذى للأكاديمية الوطنية لتدريب الشـــباب، إلى كوريا الجنوبية فى أكتوبر ٢٠١٩، والمباحثات التى أعقبتها على مدى عدة شـــهور لعقد اتفاق تعاون بين المعهد الكورى للتنمية البشرية فى مجـــالى العلوم والتكنولوجيا والأكاديمية الوطنية لتدريب الشباب.

اليونسكو

قدم السفير علاء يوســـف أوراق اعتماده مندوباً دائماً لجمهورية مصر العربية لدى اليونســـكو إلى المديرة العامة للمنظمة «آودريه آزولاى».

وقد تلا مراســـم تقديم أوراق الاعتماد اجتمـــاع مع المديرة العامة لليونسكو، حيث تم خلاله بحث سبل توثيق العلاقات الثنائية بين مصر والمنظمة فى مختلف مجالات عملها، لاســـيما فى ضوء عضوية مصر الحالية بالمجلس التنفيـــذى للمنظمة ولجنة التراث العالمى.

كما تناول اللقاء ســـبل تعزيز مكتب اليونسكو الإقليمى بالقاهرة فى المنطقة العربية، والذى يُعـــد أول مكتب خارجى قامت المنظمة بإنشـــائه خارج مقرها فى باريس. واستعرض السفير علاء يوسف خلال اللقاء الجهود الوطنية المبذولـــة فى مجالات التعليم والعلوم والثقافة، والبرنامج الذى أطلقته الحكومة المصرية لإصلاح منظومة التعليم الأساسى.

بودابست

استقبل السفير أشرف الموافى ســـفير جمهورية مصر العربية لدى المجر، بمقر الســـفارة المصرية فى بودابست، وفد هيئة سكك حديد مصر الذى زار مصنع «دونـــاكاسى» وذلك فى إطار بدء إنتاج أولى عربات ســـكك الحديد بالمجر ضمن صفقة تصنيع وتوريد ١٣٠٠ عربة جديدة بواسطة التحالف المجرى الروسى لصالح مصر.

وأكد السفير الموافى على الأهمية التى تمثلها هذه الصفقة ليس فقط لكونها الأكبر فى تاريخ التعاون الاقتصادى بين مصر والمجر وأكبر مشروع فى المجر فى هذا القطاع من حيث عدد العربات وحجمه المالى، بل لأنها تمس الحياة اليومية للمواطنين المصريين ولما ستحدثه من نقلة نوعية فى مرفق حيوى يرتاده ملايين المصريين يومياً.

كما أجرى الســـفير الموافى زيارة إلى مصنع «دوناكاسى» فى حضور وفد هيئة سكك حديد مصر، حيث التقى بمدير المصنع والمسئولين المجريين والروس بالشركة.

الخرطوم

التقى السفير حســـام عيسى، ســـفير جمهورية مصر العربية فى الخرطوم، بوزيرة التعليم العالى الســـودانية «انتصار صغيرون»، وذلك فى إطار مُتابعة علاقات التعاون الثُنائى بين البلدين، وبحث سُبل المُضى قُدماً بها فى شتى المجالات.

تم خلال اللقاء اســـتعراض الخطوات المُتخذة من الجانبين لتنفيذ ما تم التوافُق عليه خلال زيـــارة الدكتور مُصطفى مدبولى رئيس مجلس الوزراء إلى الســـودان فى أغسطس الماضى فى مجال التعليم العالى والبحث العلمى، بما فى ذلك إعادة افتتاح مقر جامعة القاهرة – فرع الخرطـــوم. كما تم التطرُق إلى آفاق التعاون المُتاحة بقطاع التعليـــم العالى والبحث العلمى، وإمكانيـــة بلورة شراكات فى هذا الصدد، وبما يُسهم فى بناء الكوادر السودانية الشابة وتأهيلهم على النحو المطلوب بمُختلف المجالات.

حصاد الفرص والتحديات - 2020

عـــام مضى

أمطرتنا ســـنة 2020 بأحداث وتطورات كاد المرء أن يلهث لمتابعتها، وتطلبت الكثير من الجهد والعمل والحوارات والمناقشـــات والاختيارات والقرارات. وبفضل الله فإن مصر عبرت الســـنة بكل إيجابياتها وتحدياتها بأفضل ما يمكن أن تقوم به دولة عريقة قديمة قدم التاريخ. ويلاحظ أكثرنا أننا نسير على الدرب الســـليم، وأن كل يوم يأتى، هو بإذن الله أفضل من ســـابقه. أخذاً فى الاعتبار أنه مازالت أمامنا أشواط طويلة لمراعاة الطبقات الأكثر احتياجًا وتحقيق العدالة الاجتماعية.

سفير جمال الدين البيومي
gbayoumi@hotmail.com

ولقـــد توزعت أحداث الســـنة بين المجالات العالمية والإقليمية. كما أن الكثير منها - وكان محل اهتمامنا الأكبر - هو ما جرى داخل حـــدود الوطن بأحداثه وتأثيراته.

أكثر ما شغل العالم كله، هى جائحة الكورونـــا التى اخترقت ســـور الصين العظيم ولم توقفها أعتى وسائل دفاعات وصواريخ القـــوى العظمى، وكان فيها عبرة لمن ظن أن قـــواه يمكن أن تحميه من كل أنـــواع المخاطر. فـــإذا بالعالم تنطبق عليـــه الآية الكريمة التى حذرتنا من أكثر من 1400 ســـنة، بســـم الله الرحمن الرحيم «يَـــا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْـــتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَـــن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِـــبُ وَالْمَطْلُوبُ» (73) صدق الله العظيم.

لم يســـفر وباء كوفيد 19- عن عام مـــن الاضطراب الاقتصادى فحســـب، بل ألحق تغيـــيرات جذرية بعيدة المدى بأسلوب معيشتنا وعملنا. ولا أحد يعرف على وجه اليقين كيف انتشر الوباء. وقد أخذ الفيروس فى الانتشار بلا هوادة عن طريـــق أحد أعظم إنجـــازات البشرية، وهو الســـفر العالمى السهل والرخيص والمتكرر.

تراوح التعامل الـــدولى مع الكارثة بين التعاون لاحتـــواء التهديد وعلاجه، والتوصل للقـــاح يقى منـــه، ومصل لعلاجه، وبين تبـــادل الاتهامات حول مســـئولية انطلاق المرض وانتشـــاره. وشـــغل العالـــم بالآثـــار الاقتصادية للمرض الناتجة عن إجراءات مكافحته بالإغلاق وتوقف كم كبير من الأنشـــطة الاقتصادية. وجاءت المواصلات والطيران والســـياحة والمؤتمـــرات، فى طليعـــة القطاعات المتضررة وبنسبة إغلاق بلغت نحـــو 70٪. وفقد الملايـــين وظائفهم. ويقدر صنـــدوق النقد والبنك الدوليين، والكثير من مؤسسات التمويل والتقييم الدولية، أن اقتصادات أغلب دول العالم سوف تنكمش، باســـتثناء عدد محدود من الدول، من بينهـــا مصر التى تأتى كتجربة فريدة فى منطقتها. فالمتوقع أن يبلغ معدل النمو فى مصر للسنة الجديدة مـــا بـــين 3.5٪ و4.5٪. وهى نســـبة جيـــدة، وإن كانـــت لا تغطى تحديات الزيادة الســـكانية وطموحات التنمية ورفع مستوى الطبقات الأكثر احتياجًا. ويرجـــع الفضل الأكبر فى مواصلة مصر للنمـــو الإيجابى إلى قرارهـــا الجريء بالبدء مبكرًا فى عملية شـــاقة للإصلاح الاقتصادى. جعلتنا نواجه آثار الجائحة واقفين على أقدام ثابتة.

تابع العالم كله الحروب التجارية بين أكبر الاقتصادات. وذلك بمبادرات أمريكية ازدادت حدتهـــا وقت إدارة الرئيـــس «ترامـــب»، بـــدأت بفرض عوائق ورسوم جمركية وغير جمركية على واردات الولايـــات المتحدة من أهم حلفائهـــا فى أوروبـــا واليابان، وعلى الصين أكبر شركائها فى التجارة. ولكن الذى لم تدركه تلـــك الإدارة الأمريكية أن عالمنـــا المعـــاصر صـــار يشـــهد حركـــة تداخل متزايـــدة بين المصالح فى العلاقـــات السياســـية والمســـائل الأمنية، وفى أمـــور الاقتصاد والتبادل التجارى ونفاذ الخدمـــات، والحوار بين الحضـــارات. وأدت هذه الحركة إلى الاتجاه نحو الاندماج على مستوى الدول والمؤسسات والهيئات، والدخول فى اقتصاديات الســـوق الكبير وعالمية الأسواق. والتيقن من أن أحدًا لا يملك أن يفرض قيودًا على الآخرين دون أن يصاب بنتائـــج أفعاله وردود أفعالهم التى مارستها كل من الصين والاتحاد الأوروبى بفرض قيـــود على وارداتهم من الولايـــات المتحدة. وقـــد امتدت سياســـة التمييز الأمريكية لتصل إلى جـــيران حدودها المباشرين، عندما تنصلت مـــن التزاماتها تجـــاه كندا والمكسيك شريكيها فى منطقة التجارة الحـــرة لأمريكا الشـــمالية NAFTA حتى أنها بنت ســـوراً على الحدود مع المكســـيك لمنع هجـــرة مواطنيها إلى الولايات المتحدة.

وبهذا وغيره برزت الخشـــية من أن الأنظمة التجارية والمالية العالمية لا تعمل لصالح الفقراء والأقل تقدمًا، ونشـــأت أزمة ثقة فى النظام الاقتصادى العالمى، الذى صار أكثر ســـوءًا، نتيجة اختلال عملية صنع القرار. ممـــا يدفع الدول النامية نحو اتباع سياســـات قد تكرس عزلتها. وتزداد الحاجة إلى تبنى مفهوم «الصفقة العالمية» فى مجالات السياسة والديمقراطية والاقتصاد والتنمية. وذلك بتشجيع مراعاة الأبعاد الاجتماعية عند صياغة السياسة العالمية الكلية. فمطلوب من الدول الصناعيـــة والمجتمع النامى المتقدم والمنظمات الدولية أن تعلن عن التزامها بأهداف الأجندة الألفية للتنمية، بتعبئة الموارد الاقتصادية والسياســـية

افتتاح الرئيس لبعض المشروعات

لإزالة الفقر المدقع.

النطاق الإقليمى

شهدت سنة 2020 ازدياد تشكيل التحالفات واتساع وتعميق العلاقات فيما بين أعضاء التجمعات الإقليمية، وظهور أنماط وتطبيقات مختلفة لمفاهيم السيادة. فقد تخلت أغلب دول الاتحاد الأوروبى عن سلطة إصدار النقود وأسندتها إلى البنك المركزى الأوروبى فى فرانكفورت، ليصدر العملة الموحدة «اليورو»، ويراقب السياسات المالية والنقدية للدول الأعضاء. كما أوكلت دول الاتحاد سلطة إصدار تأشيرات الدخول إلى آليات «معاهدة شينجن». فإذا قاد مسافر سيارته من مدريد غربًا حتى بوخارست شرقًا فإنه لن يصادف سلطة حدود واحدة تراقب مسيرته. وأوكلت دول الاتحاد الأوروبى تحصيل الرسوم الجمركية إلى آليات الاتحاد الجمركى. كما أن السياسات التجارية للاتحاد لا تتقرر فى عواصم الدول، وصارت من اختصاص المفوضية الأوروبية.

وبهذا اتسعت إمكانية الحوار بدلاً من المجابهة، وصار من المتاح توثيق العلاقات السياسية والأمنية، وتنمية التبادل التجارى والثقافى والإنسانى كبديل للانغلاق. بل وصار الأمن تتولاه شركات خاصة، وانتقلت المواصلات لنشاط القطاع الخاص، وبدأ جانب من القضاء يتحول إلى نظم للتحكيم. وتطورت سلطة الدولة فى إصدار النقود لتسمح بنظام الشيكات وبطاقات الائتمان وتحويل النقود بشبكات الاتصال.

غير أن نصيب العالم الثالث والدول النامية مازال مهمشًا، ونسبة إسهامها فى العمل الاقتصادى الدولى ضئيل للغاية، وفى هذا قال باسكال لامى «مدير عام منظمة التجارة العالمية السابق» أنه يشعر بالتعاطف مع مصالح الدول الخمسين الأقل تقدمًا، التى مازالت تحتل جميعها نسبة 1٪ فقط من التجارة العالمية. أما العالم العربى (415 مليون نسمة) فقد زاد وزنه مجتمعًا فى التجارة العالمية بعد تحسن أسعار البترول، ليصل لنسبة 4٪ تصديرًا، و2.2٪ استيرادًا من إجمالى تجارة العالم.

ويجب أن يتحول العالم من المواجهة إلى التوافق بين مختلف القوى للحفاظ على المركب الذى يركبه الجميع. فلو أن جانبًا من السفينة أصيب بعطب فالكل غارق لا محالة. ويدور الصراع الأكبر حول العدالة والحوار بين الطبقات. وأصبح تجاهل طبقة أو دول غنية لمصالح الآخرين رهانًا خطيرًا. ويحتاج العالم النامى للتقدم فى ثلاثة مسارات:

1. مواصلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمعدلات أسرع، لتحقيق التوازن بين مصالح الطبقات، والتحول نحو مجتمع تسوده العدالة.
2. دفع النظام العالمى ليراعى مصالح كل القوى، دون أن تخسر إحداها لحساب الأخرى، والحد من تنامى القوى المركزية الحاكمة فى مؤسسات الاقتصاد العالمى. وتخفيف آثار انفراد قوة عظمى بالسيطرة العسكرية والاقتصادية بصورة تغريها على تبنى معايير مزدوجة تعد من أسباب تفاقم الإرهاب.
3. إصلاح النظام العالمى وإدماج القوى المستبعدة.

إفريقيا وآسيا

تطورت العلاقات الإقليمية فى نطاق القارة الإفريقية خلال عام 2020. واتفقت دول الاتحاد الإفريقى على توحيد تجمعات التجارة الحرة المتعددة فى «منطقة تجارة حرة إفريقية كبرى» تضم نحو 54 دولة إفريقية كانت تجمعها ثلاثة تكتلات هى «الكوميسا، والسادك، ودول شرق إفريقيا». ويبلغ تعداد سكانها نحو 1200 مليون نسمة. وبالتوازى أعلنت 15 دولة فى آسيا عن إنشاء تكتل تجارى جديد كبير.

المنطقة العربية

واصلت «منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى» نشاطها واستكملت إلغاء الرسوم والعوائق الجمركية بين 17 دولة عربية (باستبعاد الدول الأقل تقدمًا). غير أن التجارة العربية استنفذت أغلب سبل توسعها. وصار الأمر يتطلب التركيز على جانب الاستثمارات العربية المتبادلة. لأن نحو 70٪ مما تستورده الدول العربية لا تنتجه المنطقة. وهنا تبرز أهمية الاستثمار فى المجالات التى تحتاجها الدول العربية كسبيل أساسى لزيادة التجارة البينية. وتتركز القطاعات المرشحة لمزيد من تدفقات الاستثمار حول:

- صناعة الآلات.
- صناعة وسائل النقل.
- الزراعة وإنتاج الغذاء.

واجهت المنطقة العربية وشرق المتوسط تهديدات نابعة من الأحلام والأطماع الإمبراطورية لرئيس تركيا تجاه شمال العراق وسوريا، وليبيا، وسعيًا وراء اكتشافات البترول والغاز فى شرق البحر المتوسط. وهنا جاءت أهمية اتفاقية ترسيم الحدود البحرية الاقتصادية بين مصر وكل من قبرص واليونان لضمان مصالح الأطراف فى منطقة شرق البحر المتوسط والتى تخص كل بلد وفقًا للقانون البحرى الدولى. والتى توجت بإنشاء منظمة إقليمية للدول المنتجة للغاز فى شرق

المتوسط مقرها القاهرة.

فى نفس الاتجـــاه جاء التحذير الذى أطلقه السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى بتحديد خطوط حمـــراء لحدود مصر الغربية ولمـــن يتجاوزهـــا. وجاء ذلك بنتيجة واضحة فى تأمين الحدود. ومازال الأمر يخضع للمتابعة والمراقبة والترقب. ثم تطورت الأمور إيجابيًا بإطلاق حلف الأطلنطى والاتحاد الأوروبى والولايات المتحـــدة تحذيرات لأردوجـــان / تركيا للتوقف عن مناوشاته.

وتميز عام 2020 فى المنطقة العربية بحصيلة مـــن التوترات عـــلى البعدين الســـياسى والأمنى. فقد اشتبك مواطنو بعض البلدان العربية فى نزاعات داخلية، بلغت أحيانًا حد الحرب الأهلية (سوريا – لبنان – ليبيا – العـــراق – اليمن – الســـودان – الصومـــال). والخطير فى هـــذه الصراعات، هو لجـــوء كل طرف من أطرافهـــا «الوطنية» للاســـتقواء بقوة أجنبيـــة خارجية. فتعذر التوصل لتســـوية، لأن الاتفاق أصبـــح خاضعًا لأولويات القـــوى الأجنبية التى تكاثرت فى المنطقة (تركيا – إيران – فرنســـا – روسيا – أمريكا).

وفى اتجـــاه آخر شـــهدت المنطقة العربيـــة تطورين يتفـــق البعض على إيجابيتهما. التطور الأول هو المصالحة الرباعية العربية مـــع دولة قطر، التى نكن لشـــعبها كل المودة. لكننا نطالب بالبحث عن دور إيجابى لقطر فى نطاق الأسرة العربية ولأن تدرك قطر حجمها فى ضوء حقيقة أن مصر تنجب ســـنويًا خمس مرات تعداد قطر.

أما التطور الثانى فقد تمثل فى قيام علاقات رســـمية بين عدد مـــن الدول العربية وإسرائيـــل. تصدرتها الإمارات والبحرين وعمان والســـودان والمغرب، بدعم ومساندة أمريكية مباشرة. وتقبلت مصر ـــ وعدد ممـــن ينظرون لتحليل الفترة الطويلـــة ـــ هذا التطور بوصفه نوعًا من الاســـتثمار فى العلاقات يمكن أن يجذب رأياً عامًا فى إسرائيل يســـعى للاســـتفادة مما يتيحه السلام، بدلًا من الرهان على العدوان.

فلسطين

حدثـــت تطورات ســـلبية فى قضية العرب الأولى، القضية الفلســـطينية، فى اتجاهـــين: الأول عندما أقـــدم الرئيس الأمريكى الســـابق «دونالد ترامب» على مبادرته بنقل سفارة بلاده من تل أبيب إلى القدس، والاعتراف باحتلال إسرائيل للجولان السورية، وبتوسعها فى أراضى الضفة الغربية الفلسطينية، ونبذ اتفاقها مع الفلسطينيين فى أوسلو. والملفت للنظر أن الجمعية العامة للأمم المتحدة صوتت حول هـــذا الموضوع بأغلبية ســـاحقة ترفض اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل. مما يؤكد سلامة وعدالة القضية.

وشـــجّع الموقف الأمريكى إسرائيل، على ارتكاب جرائم خلال الســـنة كشف عنها تقرير فلســـطينى. حيث أقدمت ســـلطات الاحتلال على ارتكاب جرائم القتل وحجز الجثـــث واعتقال الأطفال والنســـاء وهدم المنازل واقتحام المسجد الأقـــصى. ووفـــق التقرير فـــإن 43 فلسطينيًا استشـــهدوا وأصيب 1650 آخرين على يد قوات الاحتلال فى الأراضى الفلســـطينية خلال الســـنة. بينهم 9 أطفال و3 ســـيدات. واعتقلت إسرائيل 4634 مواطنًا فلســـطينيًا، بينهم 543 قاصرًا، و128 سيدة. وتوفى 4 أسرى فى السجون.

وأطلقت القوات الإسرائيلية النار على المدنيين العزل، عند الحواجز العسكرية للمدن الفلســـطينية، وعلى المشاركين فى المسيرات الســـلمية المناهضة لممارسات إسرائيل. وحفل عام 2020 بالمشروعات الاســـتيطانية وبنـــاء آلاف الوحدات فى الضفة الغربيـــة والقـــدس. وهدمت جرافات الاحتلال 976 بيتًا ومنشـــأة. وشـــهدت الســـنة اقتحامات للمسجد الأقصى بلغت أكثر مـــن 27 ألف مرة، ارتكبها مســـتوطنون وطـــلاب معاهد ورجال شرطـــة ومخابـــرات وأعضاء بالكنيست. واستولت سلطات الاحتلال على نحو تســـعة آلاف دونم من أراضى الفلســـطينيين، ونحـــو 11 ألف دونم لصالح محميات طبيعية فى الأغوار.

كشف التقرير الفلسطينى أيضًا عن أكثر من ألف اعتداء ضد الفلســـطينيين وممتلكاتهـــم تحت حمايـــة الشرطة الإسرائيلية. وفى غزة، وأشـــار إلى تنفيذ القوات الإسرائيلية حـــوالى ألفى اعتداء على القطاع، وشـــن 331 غارة جوية، وأكثـــر من ألف عمليـــة إطلاق نار على الحدود الشرقية للقطاع، و107 عمليات قصف مدفعى، و78 عملية توغل برى، و339 عملية إطـــلاق نار تجاه مراكب الصيادين. وأسفرت تلك الاعتداءات عن مقتل واعتقال عـــشرات المواطنين من القطاع.

وقد تزامن مع إصـــدار هذا العدد من «الدبلومـــاسى» تصريحات «دونالد بلينكن» وزير خارجية الولايات المتحدة الجديد فى إدارة الرئيس «بايدن»، والتى قال فيها أن أمريكا مازالت تفضل حل الدولتين. فيما يمثـــل نصف خطوة فى الاتجاه الســـليم. كما عدل موقف بلاده من احتلال إسرائيل للجولان الســـورية بالقـــول إن الجولان لازمة لأمن إسرائيل (بدلًا من القول أنها تدخل تحت السيادة الإسرائيلية) ومازال موقف مصر يراهن عـــلى أن الكثيرين من أقـــرب المؤيدين لإسرائيل من اليهود يرون أن حل الدولتين هو ضمان مستقبل الدولة العبرية. وغير ذلك سيســـفر عن دولـــة أغلبيتها من العرب. كما أن التقدير السليم للموقف، لا يرى «مســـتقبلاً باهرًا» لدولة تقوم وجميع حدودها محاطة بعداء كامل لها.

اختيارات مصر

انشـــغلت الســـاحة المصرية سنة 2020 بالكثير من المسائل على المستويين الخارجى والداخـــلى. ولخص الرئيس عددًا مـــن تلك الانشـــغالات فى حديثه للإعلامى عمرو أديب والذى قال فيه:

«تنســـق مصر مواقفهـــا دائمًا مع أشقائنا العرب وفى الخليج، ومستعدون لدور إيجابى لخفض حرارة المشكلات فى المنطقة العربية».

ومن الواضح دور مصر ومساندتها للمصالحـــات العربية وللم الشـــمل فى الدول التى تعانى من النزاعات الداخلية. كما تابعت مـــصر ـــ إيجابيًا وعن قرب ـــ عمليـــة إقامة عدد من الدول العربية لعلاقات مع إسرائيـــل كجزء من عملية السلام وتخفيف معاناة الفلسطينيين.

وواصل الرئيـــس بالقول، إن مصر صارت فى حالة تفاوض مســـتمر حول سد النهضة قد تطول. وقمنا بإجراءات لتنويع مصادر المياه كالمعالجات وغيرها، وســـنصل لنتيجة حول ســـد النهضة بالصبر وليس علينا القلق أبدًا.

نشـــعر من كلام الرئيس أن مصر مدركة جيدًا لأبعاد القضية، وأن النواحى الفنية للمشكلة غير مقلقة فمياه الهضبة الإثيوبيـــة تكفـــى كل الأطـــراف. ولا تستخدم إثيوبيا مياه النيل الأزرق لأنها تعتمد بالأســـاس على الرى بالأمطار. ولهذا فليـــس لديها نظام للرى. وتكمن

حصاد ٢٠٢٠.. التعليم والثقافة بصدارة المشروعات القومية الكبرى

المشـــكلة فى الاتفاق على سرعة تخزين الميـــاه، وكيفية التصرف فى الســـنوات منخفضة الفيضان، وأخطار وزن كتلة مياه السد واحتمالات عدم صمود التربة لهذا الثقل من الماء. وفى التقدير فالمشكلة تاريخية وسياسية فى المقام الأول. وعلينا أن نثق فى سياســـة مصر ودبلوماسيتها المتفوقة.

وقـــال الرئيس إن مـــصر تحتاج إلى 4000 مليـــار جنيه لحل مشـــكلة العشوائيات فى ضوء أن 40٪ إلى 50٪ من مصر عشوائيات. ومحافظة الإسكندرية ـــ مثلًا ـــ تحتاج إلى 400 مليار جنيه لحل أزمة المبانى المخالفة. وســـنبدأ فى تطوير 4500 قرية على مدار 3 سنوات. ونعتزم إنشاء 500 ألف وحدة سكنية فى الأراضى الفضاء التابعة للدولة.

وليت إعلامنا يهتم بهذه القضية التى تثير الكثير من التساؤلات المشروعة حول تكاليف البناء، وجدوى إنشـــاء عاصمة جديدة لتخفف الضغط عن القاهرة التى صار تعدادها يتجاوز تعداد دول كثيرة. ولإيضاح أن كثيرًا من الدول ســـبقتنا فى نقل عواصمها مثل البرازيل وأســـتراليا وكندا.

وأضاف الرئيس – فى مداخلته – أن تنظيم الأسرة على رأس أولويات الدولة. ولن نفرض إجـــراءات عنيفة لمواجهة الزيادة السكانية.

وقد أحسن الرئيس بطرح المشكلة. فنحن لـــن نعاقب الطفل الـــذى يولد بالزيادة، وإنما نعالج المشكلة بالتعليم والتثقيف وتحسين مســـتوى المعيشة الذى يمثل أحد أهم أســـباب الإقبال على الإنجاب. ويحتاج الرأى العام لمزيد من التعريف بالمشـــكلة. وقد لخصها مرة ســـفير للنرويج بالقاهـــرة فى أن مصر والنرويج كانتا بنفس التعداد – 5 ملايين – وقت حكم محمد على، وكان تعداد كل من القاهرة وأوسلو مليونًا واحداً. وبينما ظلت النرويج وعاصمتها بنفس التعداد للآن، شـــهد جيلنا تعداد مصر يصل إلى 18 مليونًا فى بداية ثـــورة 1952 وإلى 30 مليوناً بنهايـــة حكم الرئيس جمال عبدالناصر و41 مليونـــاً بنهاية حكم الرئيس أنور السادات. وتضاعف العدد ليتخطى المائة مليون مع ثورة 2011. ويقـــارن البعض ذلك بتعـــداد الصين والهنـــد، ولا يريد المقارنـــة بألمانيا أو هولندا. ولا يدرك هؤلاء الأبعاد الســـلبية للزيادة السكانية، وأبســـطها أن بلدنا صار ينتج الأطفـــال بمعدلات أكبر من إنتاج غذائهم وكسائهم ومستلزماتهم. بل إن مصر منذ ثـــورة 2011 أنجبت 22 مليون طفل يتخطون تعداد اليونان مرتين. ويتخطى عددهم زيادة المواليد فى سبع دول أوروبية مجتمعة.

كذلك انشـــغلت الحياة السياســـية والاقتصاديـــة والاجتماعية والثقافية فى مصر طوال العام بالعديد من الأنشطة، فى الداخل والخارج. واســـتعادت مصر حيويـــة دبلوماســـية الرئاســـة التى افتقدناها لسنوات طويلة، وبخاصة فى العلاقات الخارجية. ومازال هناك الكثير المطلوب فى هـــذا المجال. وتتوزع جهود مـــصر فى الداخل على البنـــاء والتنمية المتواصلـــة للبنية الأساســـية وزيادة الإنتاج الصناعـــى والزراعى والخدمى وعدالة التوزيع وجذب الاستثمار وتوفير الوظائف للشـــباب. وفى هذا يدور حوار مجتمعى واســـع حول الطريق الأمثل لنهضة اقتصادية، يرى البعض أن تقوم بهـــا الدولة، ويرى آخـــرون أنها قد لا تكون أفضل ما تجيده الحكومات. وهو أمر لم تحسمه علوم السياسة والاقتصاد والإدارة. وسوف يتوقف القرار فى النهاية على الاختيار السياسى الذى تتوافق عليه غالبية المجتمـــع. والمفروض أن الحوار حول مثل هـــذه الأمور شىء حميد. لولا أن نســـبة كبيرة من المتحاورين خرجت عن أصل الموضوع لتبـــادل الاتهامات العقائديـــة بين الأطراف. وقد أحســـن الرئيس مؤخرًا بتأكيـــد ترحيب مصر بالاســـتثمار المصرى والعربى والأجنبى لسد فجوة تمويل طموحات الاستثمار، والتـــى لا تكفى لتغطيتهـــا مدخراتنا الوطنية.

تدخل فى الحوار حول العام والخاص كثير من العقلاء فى محاولة للتوصل لحل يحافظ على مصالـــح المجموع، خاصة عندما اندلع الاعتراض على تصفية شركة الحديد والصلب. ولم يقل أحد أن مصر ســـتتخلى عن تلك الصناعـــة أو غيرها. فالقطاع العام المصرى قام بدور عظيم حتى حرب أكتوبر 1973 وكان المصدر الكبير للكثير من احتياجات مصر. لكننا حملنا هـــذا القطاع بأعبـــاء التوظيف والبطالة المقنعـــة، ودفع أجور و»أرباح افتراضية» لعمالة مكدسة فى مؤسسات خاسرة. ولهذا فنحـــن بحاجة إلى قرار ســـياسى يحســـم الأمر، والتوجه للرأى العام لتوضيح الحقائق.

والمهـــم أننا نرجو أن تثـــق أجيالنا الجديدة فى وطننا، وفى أن مصر ليســـت فى عـــداد الدول الفقـــيرة. وإنما هى فى منتصف جدول الدول متوسطة الدخل. كما أنها ليســـت من فئـــة الدول الأكثر مديونية أو المثقلة بالديون. وســـتظل مصر أكبر الشعوب العربية وتمتلك أقوى جيوشها، ومن أكبر اقتصاداتها، ولديها أكبر اقتصاد متنوع وأكبر قاعدة صناعية وأكبر مصـــدر للقوة العاملة فى المنطقة. كما أنها دولة شابة يمثل الشباب أغلبية سكانها. وبهذا نأمل فى مستقبل مشرق بإذن الله.

حول قمة تجمع بريكس (BRICS) الثانية عشرة

فى 17 نوفمبر 2020 عقدت القمة الـ12 لمجموعة دول «بريكس» (روسيا، الصين، الهند، البرازيل وجنوب إفريقيا)، عبر تقنية الفيديو كونفرانس، تحت شعار: «شراكة بريكس لصالح الاستقرار العالمى والأمن المشترك والنمو المبتكر». وقد عُقِدت برئاسة الرئيس الروسى فلاديمير بوتين، ومشاركة كل من: رئيس الوزراء الهندى ناريندرا مودى والرئيس الصينى تشى جين بينغ ورئيس جنوب إفريقيا كيريل رامافوزا ورئيس البرازيل جاير بولسونارو.

سفير د. عزت سعد
saad.ezzat@gmail.com

وتبادل المجتمعون وجهات النظر حول آفاق التعاون المشترك واستعرضوا ملخّص نتائج الرئاسة الروسية للمجموعة لهذا العام، وبحثوا فى القضايا الملحّة على الساحة الدولية، وتطرَّقوا لأوضاعهم عشيّة انعقاد قمة العشرين فى 21 – 22 نوفمبر2020 برئاسة المملكة العربية السعودية.

وعلى مدار السنوات الخمس الماضية، نما الناتج المحلى الإجمالى للدول الخمس بشكل أسرع من الناتج المحلى الإجمالى العالمى ومن ناتج مجموعة السبع بمتوسط سنوى بلغ 5.31 ٪ وفقاً لصندوق النقد الدولى، كما قامت دول البريكس بتوسيع نطاق التعاون الشامل فيما بينها، لاسيما فى القطاعات الاقتصادية والتجارية، ما أدى إلى نمو حركة الصادرات بين بعضها البعض بنسبة 45 ٪، ورفع بدوره حصة الصادرات البينية من إجمالى التجارة الدولية للبريكس من 7.7 ٪ إلى 10 ٪.

أهم نتائج القمة:

تضمَّن البيان الختامى للقمة «إعلان موسكو» الذى شمل 97 بنداً خُصّصت لمجمل التحديات والقضايا العالمية التى تواجهها دول بريكس والعالم ورؤية دول التجمع لموضوع الحوكمة السياسية والاقتصادية العالمية وللأمن الدولى وللاقتصاد والتجارة الدولية وكيفية التعامل مع تداعيات وباء كورونا وسبل دعم البلدان النامية والأكثر فقراً لمواجهة هذه التداعيات. ومن بين أهم ما أشار إليه إعلان موسكو، ما يلى بصفة خاصة:

1 – ضرورة الالتزام بعالم يسوده السلام والاستقرار والازدهار والاحترام المتبادل والمساواة والتمسك بالقانون الدولى وبمبادئ ومقاصد الأمم المتحدة والدور المركزى الذى تؤديه فى نظام دولى تتعاون فيه الدول ذات السيادة لصون السلام والأمن والنهوض بالتنمية المستدامة.

2 – دعوة المجتمع الدولى إلى الاحتفال بالذكرى الـ75 لإنشاء الأمم المتحدة من خلال تعزيز الجهود الرامية إلى إقامة نظام دولى متعدد الأقطاب وأكثر إنصافاً وعدلاً وشمولاً وتمثيلاً، يقوم على المساواة فى السيادة بين جميع الدول، واحترام وحدة أراضيها والاحترام المتبادل لمصالح وشواغل الجميع. ويعيد الإعلان التأكيد على مبادئ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول وحل المنازعات الدولية بالوسائل السلمية وبما يتفق مع مبادئ العدل للقانون الدولى، وكذلك عدم جواز التهديد بالقوة أو استخدامها ضد الوحدة الإقليمية أو الاستقلال السياسى لأية دولة، أو بأية طريقة أخرى تتعارض مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها. ويؤكد الإعلان أهمية الامتناع عن أية تدابير قسرية لا تستند إلى القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة (فى إشارة إلى العقوبات الأمريكية المفروضة على روسيا والصين).

3 – تأكيد الالتزام بالتعددية ومبادئ الاحترام المتبادل والمساواة فى السيادة والديمقراطية والشمول والتعاون المعزز. وتعهد أعضاء التجمع بمواصلة العمل من أجل تعزيز وإصلاح الحوكمة الدولية بحيث تكون أكثر شمولاً وتمثيلاً وديمقراطية، مع مشاركة هادفة وأكبر للدول النامية فى صنع القرار الدولى، وأكثر انسجاماً مع الحقائق المعاصرة.

4 – اهتم الإعلان بالدعوة إلى إصلاح الأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة، والإصلاح الشامل للمنظمة، بما فى ذلك مجلس الأمن، بهدف جعل المنظمة أكثر تمثيلاً وفعالية وكفاءة، وزيادة تمثيل الدول النامية، حتى تتمكن المنظمة من الاستجابة بشكل مناسب للتحديات العالمية.

ومن المعروف أن هناك ثلاث دول أعضاء فى التجمع تسعى إلى عضوية دائمة فى مجلس الأمن لدى توسيعه هى كل من البرازيل والهند وجنوب إفريقيا، ومن ثم تستخدم التجمع كمنصة للدفع بمطالبها فى هذا الشأن.

5 – تناول الإعلان فى الفقرات 16 و17 و18 قضايا الاستقرار الإستراتيجى وأنظمة الحد من التسلح ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل بما فيها الأسلحة البيولوجية. وفى هذا السياق أكد الإعلان الأهمية الأساسية للمعاهدة الروسية/ الأمريكية لعام 2010 بشأن تدابير خفض الأسلحة الهجومية الإستراتيجية والحد منها، ودعوة الأطراف لتمديد العمل بها.

6 – شدد البيان على أهمية ضمان سلامة وأمن أنشطة الفضاء الخارجى

واســـتخدامه للأغراض السلمية ومنع سباق تســـلح فى الفضاء الخارجى. كما شدد على الحاجة الملحة للتفاوض بشأن معاهدة دولية متعددة الأطراف وملزمة قانوناً لســـد الفجوة فى النظام القانونى الدولى المطبق على الفضـــاء الخارجى، بما يشمل منع نشر الأسلحة فى الفضاء الخارجى والتهديد باستخدام القوة أو استخدامها ضد الأجســـام الموجودة فى الفضاء الخارجى.

7 – دعا الإعلان إلى توفير الدعم الدولى للمبـــادرات الإقليميـــة ودون الإقليمية الساعية إلى تعزيز السلام والأمن بالقارة الإفريقية، كما أكد دعم المجموعة لأجندة الاتحـــاد الإفريقـــى 2063 والجهود الخاصـــة بالدمج المكثـــف والتنمية فى القارة، بما فيها تطبيق اتفاقية منطقة التجارة الحرة القارية.

ومـــن المعـــروف أن دول التجمع الخمس – عدا جنوب إفريقيا – تجمعها شراكات بالقـــارة الإفريقيـــة، أبرزها الصين وأحدثها روســـيا (قمة روسيا/إفريقيا 2019).

8 – أعلـــن البيان تبنّـــى المجموعة إســـتراتيجية الشراكة الاقتصادية حتى عام 2025، وإســـتراتيجيتها لمكافحة الإرهاب بكافة أشـــكاله ومظاهره متى وأينما وقع وأيـــاً كان مرتكبوه ووجوب عدم الربط بينه وبين أى دين أو جنسية أو حضـــارة أو مجموعة عرقية (الفقرة 37 من إعلان موسكو). وفى هذا السياق رحب الإعـــلان بنتائـــج مجموعة عمل البريكس الخامسة لمكافحة الإرهاب.

9 – أكـــد البيان الحاجـــة إلى تبنى نهج شامل ومتوازن لتطوير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وأمنها بما يشمل التقدم التقنـــى وتنمية الأعمال وحماية أمن الدول والمصالـــح العامة واحترام حقوق خصوصية الأفراد. ويؤكد الإعلان على الدور القيادى للأمم المتحدة فى دعم الحوار لدفع التفاهمات المشتركة بشأن أمن تكنولوجيـــا المعلومات والاتصالات وفى استخدامها، وتطوير أعراف وقواعد ومبادئ متفـــق عليها عالمياً للســـلوك المســـئول للدول فى مجـــال تكنولوجيا الاتصـــالات والمعلومات، دون الإجحاف بمحافل دولية أخرى (الفقرة 39). كذلك أكد الإعلان أهمية إنشـــاء أطر قانونية للتعاون بين دول بريكس بشأن ضمان الأمن فى استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

10 – تطـــرَّق البيـــان إلى مجموعة واسعة من القضايا التى تعكس توافق دول المجموعـــة حـــول مجموعـــة من المرتكزات، مـــن بينها: ضرورة الحفاظ على المؤسسات الدولية التى نشأت بعد الحرب العالمية الثانية، والعمل على إيجاد منصّـــات للحوار تجمـــع الدول لإيجاد أرضية مشتركة لتقريب وجهات النظر والتوفيق بين المصالح، فيما أكَّدت دول المجموعة مجدداً تمسكها بالعالم متعدد الأقطاب القائم على احترام سيادة الدول وعدم التدخل فى شـــئونها، وذكّرت بأن النصر على الفاشية إرثٌ مشترك ينبغى الحفاظ عليه بشكل جماعى.

وأعاد البيـــان التأكيد على جملة من المواقف فيمـــا يخص الأزمات التى يعج بها العالـــم، إذ أكَّد مجدداً ضرورة دفع العملية السياسية فى سوريا على أساس قرار مجلـــس الأمن 2254، وتمســـك المجموعـــة بقرارات الشرعيـــة الدولية المنوطة بالقضية الفلسطينية وضرورة تطبيقها، بوصفها الطريق الوحيد لحل هذه القضية. كمـــا أكَّد ضرورة خفض التوتـــر فى منطقة الخليـــج، عن طريق المفاوضات والوســـائل الدبلوماســـية لوضع أجنـــدة إيجابيـــة وبنَّاءة يمكن العمـــل من خلالهـــا، هـــذا بالإضافة إلى الترحيـــب بالاتفـــاق الثلاثى الأخير الذى جرى التوقيع عليـــه بين أرمينيا وأذربيجان برعاية روسية لوضع نهاية للحرب بين البلدين وتسوية النزاع حول إقليم «ناجورنوكاراباخ».

11 – يُضَاف إلى ما تقدم الكثير من المواقف حول جملة من الملفات الساخنة من اليمن إلى أفغانستان وليبيا والقارة الإفريقيـــة، والتى أكـــدت جميعها على ضرورة البحث عن التســـوية السلمية لحل هذه الخلافات واستبعاد الخيارات العسكرية.

وقد وقع ممثلـــو دول التجمع 31 اتفاقية رســـمية على هامـــش القمة، بالإضافة إلى عدد من الاتفاقيات لشركات وأفراد وكيانات تـــدور فى فلك مجموعة البريكس، والتى تـــرى فى انعقاد القمة مناسبة لتعميق شراكاتها.

أولوية مكافحة وباء كوفيد-١٩ وتنسيق الجهود للسيطرة عليه:

كان طبيعيـــاً أن يهيمـــن موضوع وباء كوفيد 19- وكيفية السيطرة عليه واللقاحات اللازمة للقضـــاء عليه على أعمال القمة ومداخلات الرؤســـاء. وعلى ســـبيل المثال تحدث الرئيس الصينى شى جين بينغ فى كلمته بشـــكل مفصل حول جملة مـــن التحديات، كان أبرزها ما يعانيه العالـــم جرَّاء فيروس كورونا

المستجد، وأعلن أن: «الشركات الصينية تعمل مع الشركاء فى روسيا والبرازيل فى المرحلة الثالثة من التجارب السريرية للقاحات»، وأكد استعداد بلاده للتعاون مع الهند وجنوب إفريقيا فى السياق ذاته، وأضاف أن بلاده انضمَّت إلى منصة «COVAX»، حيث ستشارك ما توصَّلت إليه فى موضوع لقاح الفيروس التاجى مع البلدان الأخرى، وتحديداً البلدان النامية. وقال: إن الصين ستعمل بجدية لتوفير اللقاحات لدول بريكس عند الحاجة، بالإضافة إلى العمل على تطوير مركز أبحاث وتطوير مشترك لدول المجموعة يمكن من خلاله النهوض بالأبحاث الطبية وإجراء تجارب جماعية على اللقاحات بالإضافة إلى إنشاء المصانع وتوسيع الإنتاج.

وقد وقَّع الصندوق الروسى للاستثمار المباشر «RDIF» اتفاقية مع شريكيه الهندى والبرازيلى لإجراء المزيد من الاختبارات السريرية على اللقاح «سبوتنيك V- Sputnik»، وأيضاً مع مجموعة من الشركات الصيدلانية فى الصين والهند من أجل افتتاح مركز لإنتاج اللقاحات الروسية فى هاتين الدولتين، ليس لتغطية احتياجاتهما فحسب، بل للتصدير إلى الدول النامية أيضاً. وإجمالاً، تم الاتفاق من قِبَل الدول الخمس على توصية تقضى بتعهّد «بنك بريكس الجديد للتنمية» (BNDB) برصد 10 مليارات دولار لتغطية نفقات الحرب ضد الوباء.

وكان الرئيس الروسى أكد ضرورة التعاون لمواجهة الوباء العالمى، داعياً إلى توحيد جهود دول «بريكس» لإنتاج كميات كبيرة من اللقاحات مشيراً إلى إمكانية إنتاج اللقاح الروسى على الأراضى الصينية والهندية. من جانبٍ آخر، أعلن بوتين عن الاقتراب من عملية تشكيل بنك مشترك لدول المجموعة للتعامل مع برامج الإقراض فى جميع أنحاء الفضاء الأوروبى - الآسيوى.

آليةBRICS + وفكرة توسيع عضوية التجمع:

يرجع الفضل فى ابتداع آلية «بريكس+» إلى الصين(1) التى تبنتها فى رئاستها للمجموعة قبل عامين (2018)، والتى على أساسها قامت بدعوة الرئيس عبدالفتاح السيسى للمشاركة فى القمة التاسعة فى الفترة من 3 إلى 5 سبتمبر فى مدينة «شيامن»، فى سابقة هى الأولى من نوعها فى الممارسة الدولية للدول الأعضاء فى التجمع حيث دعيت دولة من خارج الإقليم الذى تنتمى إليه دولة رئاسة التجمع. وتقوم الآلية على دعوة دول أخرى للمشاركة فى حوار الاقتصاديات البازغة والدول النامية لتعزيز عملية الاندماج العالمى والعولمة الاقتصادية، على أساس أن للمجموعة حضوراً فى كافة القارات أو مناطق العالم النامى، وهو ما يمكن أن يكون أساساً لإطار عالمى جديد شامل للتكامل، وتحويل التجمع إلى إطار أكثر تأثيراً بالنسبة للتعاون جنوب جنوب على المستوى العالمى.

وهكذا فإنه بدلاً من توسيع عضوية المجموعة، الأمر الذى يتحفظ عليه كل الأعضاء، تسعى مبادرة «بريكس+» إلى إنشاء إطار لبناء تحالفات إقليمية وثنائية عبر القارات وتستهدف جمع تكتلات التكامل الإقليمى معاً، والتى تلعب فيها اقتصاديات البريكس دوراً رائداً. وفى قمة «شيامن» أكد الرئيس السيسى نقطتين فى غاية الأهمية ارتباطاً بتوجهات وأجندة بريكس: الأولى: أنه بدون نظام اقتصادى عالمى عادل وشفاف، وتعزيز مشاركة الدول النامية فى أطر الحوكمة الاقتصادية العالمية، ودون نظام تجارى متعدد الأطراف يقوم على احترام القواعد وتمكين الدول النامية، فإنه لن يمكن الوصول إلى معدلات ومؤشرات الأداء الاقتصادى للدول النامية، أما النقطة الثانية فهى أهمية توفير التمويل الكافى محلياً وعبر البنوك متعددة الأطراف لمشروعات البنية الأساسية، التى تعد أفضل سبيل لتحقيق طفرة حقيقية فى مستوى النمو الاقتصادى الحقيقى، مشيراً إلى أن مسألة تمويل التنمية مشكلة لا تخص الدول النامية وحدها دون سائر المجتمع الدولى.

وقد اقترح الرئيس السيسى النظر فى تكوين مجموعة اتصال مصغرة تضم الدول المشاركة فى الحوار لتتولى وضع بدائل لتنفيذ كل الأهداف السبعة عشر لأجندة التنمية المستدامة 2030 من ناحية التمويل ومسائل التطبيق، حالياً ومستقبلاً.

نعود إلى الرئاسة الروسية، وفى تقريرٍ صادر عن مركز PIR الروسى للدراسات الأمنية بعنوان «الرسالة السادسة لبريكس: الأمن الدولى ومصالح روسيا» (2)، تم تناول فرص توسعة عضوية تجمع BRICS، أخذاً فى الاعتبار الأبعاد المنوطة بكيفية تعزيز الأمن الدولى بما

يراعى المصالح الروسية، حيث تمَّت الإشارة إلى أنه من الأهمية بمكان تعزيز الحوار مع الشركاء الخارجيين، خلال الفترة الانتقالية التى يعيشها العالم جرَّاء وباء Covid -19، لا سيَّما فى إطار آلية BRICS+. وأشار التقرير إلى أن غياب دول الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا عن التجمع فى الوقت الحالى يحد من إمكانية تشكيل شبكة لشركاء بريكس. ففى حين أن «النادى» لديه عضوية قوية بشكل عام، إلا أنه لم تنضم إليه أية دولة من دول العالم الإسلامى حتى الآن، وهو ما يشير إلى وجود خللٍ ما، لاسيَّما وأن السكان المسلمين يشكلون حصة لا يستهان بها فى اثنتين من دول البريكس الخمس (الهند وروسيا).

هذا، ونظراً لاهتمامه بقضايا عدم انتشار أسلحة الدمار الشامل، واستخدام الطاقة الذرية والفضاء الخارجى للأغراض السلمية، وأمن المعلومات الدولى، والتقنيات الجديدة، فقد ركَّز تقرير المركز الروسى بشكل أساسى على دور مجموعة البريكس فى معالجة هذه القضايا، إلى جانب فحص الآثار المحتملة لتوسيع المجموعة على دورها فى هذا الشأن. وأخذاً فى الاعتبار النتائج العامة للرئاسة الروسية للمجموعة، والتى انتهت بانعقاد قمة الرؤساء، فقد انتهت ملاحظات التقرير إلى عدة نقاط، يمكن تلخيصها فيما يلى:

• من ناحية، يبدو أن موقف التنظيم الراهن القائل بلسان حاله «دع النادى يستقر فى شكله الحالى» أمر معقول تمامًا. لكن فى الواقع، من ناحية أخرى، من شأن الديناميكيات العالمية التأثير على جاذبية البريكس، بل وتعريضه للانحدار والفشل إذا لم تتم توسعة عضويته.

• وفى هذا السياق، تُظهِر مراجعة أولويات البلدان المحتمل ترشيحها فى مجال السياسة الأمنية أن أكبر الفوائد التى تعود على دول البريكس كمجموعة ستأتى من توسيع نطاق الشركاء فى مواجهة التحديات الجديدة العابرة للحدود (الإرهاب، والجريمة المنظمة، والتهديدات الإلكترونية، وتهريب المخدرات).

• من جهة أخرى، فإن الآفاق المرتبطة بالاستخدام السلمى للفضاء الخارجى والطاقة النووية لا تزال أقل وضوحًا. وعلى الرغم من أنه يُتوقع أن تكتسب هذه المجالات أهمية مؤكدة مستقبلاً، فمن الأفضل فى الوقت الحالى مواصلة التعاون حصراً مع الدول الأعضاء الحالية فى تلك المجالات.

• عندما يقرر أعضاء البريكس مستقبلاً إيلاء المزيد من الاهتمام لأطر التعاون المختلفة بشأن تلك المجالات، فسيكون من المناسب حينها الانخراط والتعاون مع بلدان أخرى فى أطر مثل BRICS+، لأجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الانسجام ودون الافتئات على الكيان الأساسى للتنظيم القائم.

• من جهة أخرى، أشار التقرير إلى أن إندونيسيا قد تبدو المرشح الأنسب على المدى المتوسط، فى حال تبنِّى اقتراح توسعة التنظيم من قِبَل دوله الخمس؛ إذ إن إندونيسيا تبنَّت نهجًا متوازنًا ومدروسًا لقضايا الأمن الدولى الرئيسية، كما أنها تتمتع فى الوقت نفسه بثقل ونفوذ بين دول العالم الإسلامى وحركة عدم الانحياز. وإجمالاً، يعتقد التقرير أن كل العوامل السياسية والاقتصادية تعضِّد الخيار الإندونيسى.

• أشار التقرير فى نهاية المطاف إلى أن توسعة تنظيم بريكس لتشمل إندونيسيا، وتحويل هذا التجمع من BRICS إلى BRICSI سيحافظ على الديناميكيات اللازمة لتنمية التنظيم دون تقويض آلياته التوافقية، وسيُظهر بشكل أوضح تأثير هذه المنظمة على الشئون السياسية العالمية، بما فى ذلك القضايا الإستراتيجية الدولية المنوطة بمجتمعات المال والأعمال.

والخلاصة أن الدول الخمس التى تشكل تجمع BRICS تتمتع بقدرات هائلة، وتمتلك من المقومات التى تجعلها قوة لا يُستهان بها على الساحة العالمية؛ إذ يبلغ مجموع سكان دول التنظيم نحو 45٪ من إجمالى عدد سكان العالم. ووفقاً لمقياس القوة الشرائية، تحتل الصين – التى تعد القوة الدافعة للتجمع ولاعبه الرئيسى – المرتبة الأولى عالمياً فى إجمالى الناتج المحلى، فيما تحتل الهند المرتبة الثالثة وروسيا السادسة والبرازيل السابعة وجنوب إفريقيا الـ13. ومنذ إنشاء المجموعة فى عام 2009، عززت الدول الأعضاء مشاركتها فى الاقتصاد العالمى، حتى أصبح إجمالى الناتج المحلى للتنظيم يشكل نحو 25٪ من الناتج المحلى الإجمالى العالمى (21 تريليون دولار أمريكى) فى عام 2020، فيما بلغت حصته فى التجارة الدولية حوالى 20٪ (6.7 تريليون دولار أمريكي).

ومما لا شك فيه أن صيغة «بريكس+» يوفر إمكانات لتكامل تجارى واستثمارى أكبر، كما يوفر إطاراً مؤسسياً داعماً للتنسيق فيما بين بنوك التنمية الإقليمية ونظم مالية للتنمية. والمبدأ المفتاح فى هذه العملية هو السماح بمرونة جوهرية فى تعددية أطراف التحالفات لتشمل تجارة أو استثماراً وأيضاً إمكانية قيام تحالفات إقليمية وثنائية. وفى هذا السياق ووفقاً لبعض خبراء بريكس، يمكن تقسيم الشركاء وثيقى الصلة بالتجمع لمجموعتين:

مراقبين، وهى الدول التى يمكنها المشاركة فى قمم بريكس، وفى الاجتماعات القطاعية، على أساس دائم، وشركاء حوار. ويدخل فى عداد المجموعة الأولى مصر (بجانب كل من المكسيك والأرجنتين ونيجيريا وإندونيسيا) وهى دول يعتقد أن مشاركتها فى صيغة «بريكس+» واعدة جداً.

---

1 – اقترح هذا المفهوم وزير الخارجية الصينى "وانج يي" بمجرد تولى الصين رئاسة المجموعة، وتم التأكيد عليه خلال اجتماع وزراء خارجية التجمع فى يونيو 2017.

2- Brics Summit under Russia's Chairmanship، Nov 26،2020 http://mail.google.com/mail/u/0?ik=5935309d57&viwe=pt&searc 3A168.٪h=all&permthid=thread -f 4414680521979136&simpl=msg.f .3a16844146805٪

أزمة سد النهضة بين الانسداد والانفراج 1 / 2

لاتزال أزمة سد النهضة تراوح مكانها وعلى طريق شبه مسدود، ويبدو أنه لا فكاك منه إلا بخيارات بديلة وعاجلة تحدث اختراقاً لتغيير المسار نحو الهدف المنشود، بعد أن تم تقريبًا استنفاذ آليات ووسائل فض المنازعات بالطرق السلمية، على مدى ما يقرب من أكثر من نصف عقد من الزمان، عبر مفاوضات ثلاثية - مصر والسودان وأثيوبيا - بحضور مراقبين من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى والاتحاد الإفريقى .

سفير د. صلاح حليمة
salah_halima@hotmail.com

وتحت رعاية أمريكية والبنك الدولى فى مرحلة من المراحل اضطلع فيها بدور الميسر/ الوسيط فى الإطارين القانونى والفنى (يناير/ فبراير 2020)، وفى مرحلة أخرى لم تزل قائمة، تحت رعاية إفريقية لرئاسة الاتحاد الإفريقى (جنوب إفريقيا)، لتتوقف المفاوضات أمام معادلة صعبة مستعصية على الحل بين موقف مشترك مصرى سودانى، وآخر أثيوبى. وبينما يطالب الأول باتفاق قانونى فنى ملزم استناداً إلى القانون الدولى والاتفاقات الدولية ذات الصلة، والتى تبلورت فى مجملها فى إعلان المبادئ عام 2015، يتمسك الثانى - الأثيوبى- بنهج يرفض الالتزام باتفاق قانونى، وإنما فقط بقواعد عامة استرشادية لعمليتى الملء والتشغيل يمكن تغييرها مستقبلاً بمجرد الإخطار دون التقيد بأى شروط أو استحقاقات مصرية سودانية.

يتأسس موقف مصر على عناصر أربعة رئيسية، الوضعية القانونية لنهر النيل فى إطار القانون الدولى كنهر دولى بامتياز، الأحكام الواردة فى الاتفاقات المبرمة ذات الصلة، الحقوق التاريخية المكتسبة، الاسترشاد بالتجارب الناجحة لدول متشاطئة على نهر. وفى هذا الصدد، يؤكد القانون الدولى للأنهار لسنة 1977 فى المواد 5، 6، 7، على مبادئ، الاستخدام المنصف والعادل، عدم التسبب فى إحداث ضرر ذى شأن، الأخذ بمعايير اجتماعية واقتصادية عند تطبيق المبدأ الأول. بينما تؤكد الاتفاقات المبرمة بصدد نهر النيل بين الأطراف المتشاطئة على النيل الأزرق- ونهر السوباط- مصر والسودان وأثيوبيا (12 اتفاقية أهمها 1902، 1906، 1929، 1959، 1993، 2015)، والتى تبلورت فى مجملها فى إعلان المبادئ 2015 - محور المفاوضات الجارية-، عدم إقامة مشروعات تعترض سريان مياه النيل دون موافقة مسبقة، إقرار بحصة مصر المكتسبة، وحق الفيتو على إنشاء أى مشروع، الامتناع عن أى نشاط يسبب ضرراً من إحداها للأخرى، التعاون لزيادة حجم التدفقات المائية وتقليل الفواقد، قواعد لملء وتشغيل السد، آلية تنسيقية لتشغيل السد، آليات لحل النزاعات، تبادل المعلومات والبيانات. ويؤكد القانون الدولى للأنهار على مشروعية الحقوق التاريخية المكتسبة مثلما اعترفت بها اتفاقات دولية، وأحكام محكمة العدل الدولية فى بعض النزاعات.

يتأسس موقف أثيوبيا بصدد سد النهضة على مفاهيم خاطئة وانتهاك صارخ للقانون الدولى ولإعلان المبادئ، ومن قبل للاتفاقات المبرمة بينها وبين الأطراف المعنية بل وعدم الاعتراف بها، بدعوى اتفاقات فى عهد الاستعمار، رغم أن أثيوبيا كانت آنذاك وفى جميعها دولة ذات سيادة سواء فى فترة الاستعمار، أو فى فترة كانت الأطراف الأخرى - مصر والسودان- ذات سيادة أيضاً- (اتفاقية 1993، واتفاق إعلان المبادئ 2015). تجسد الموقف الأثيوبى بمفاهيمه الخاطئة وانتهاكاته الصارخة فى التصرفات الأحادية فى عملية بناء السد وملئه، والسعى نحو فرض أمر واقع، وينطلق من الادعاء بأن نهر النيل الأزرق نهر داخلى رغم أنه نهر دولى بامتياز، وعلى حق السيادة المطلق رغم أنه حق مقيد بالعضوية فى المجتمع الدولى وبالمواثيق والاتفاقات الدولية ذات الصلة.

الموقف الأثيوبى بمجمل ما تقدم من مفاهيم وانتهاكات، وممارسات، وبمثل هذا النهج، يضع أثيوبيا بجدارة واستحقاق على قائمة الدول المارقة. ويتعزز هذا التقدير - كدولة مارقة- بتواصل أثيوبيا لذات النهج فى نزاعها الحدودى مع السودان بعدم الاعتراف بالاتفاقات الدولية التى تحكم وضعية النزاع (اتفاقية 1902، 1903، 1995) لتعكس أطماعاً أثيوبية فى أراضى سودانية، بل ويتعزز التقدير أيضاً بأن هذا النهج يدفع إلى القول وبحق أن الهدف المعلن من سد النهضة، وإن كان تنموياً، وهو ما رحبت به مصر إلا أنه يتجاوزه لآخر حقيقى، وهو سياسى بالدرجة الأولى، يستهدف تحجيم قوة مصر بالتحكم المنفرد فى تدفقات المياه لدولتى المصب وإلحاق أضرار جسيمة

السيسى يدعو المجتمع الدولى للقيام بـ «دور بناء» لحل أزمة سد النهضة

من حيث الطبيعة والحجم تمس الحياة والوجود، للثروات الطبيعية والبشرية والحيوانية، قد تصل إلى حد الاقتراب من مفهوم الإبادة. (انخفاض حصة مصر من 11 ـ 19 مليار متر مكعب، تأثر 2 مليون فدان، 10 ملايين مزارع، تقليل إمدادات الكهرباء بنسبة 25٪ – 40٪، انخفاض منسوب المياه فى بحيرة ناصر، تأثر قدرة السد العالى على إنتاج الكهرباء، فجوة غذائية، تأثر الثروة السمكية(، هذا فضلاً عن الخطر الأكبر وخاصة بالنسبة للسودان مصر على التوالى، وهو معامل أمان السد الذى لم تتم مراعاة المعايير الدولية بصدده.

تتعاظم المخاطر العديدة على دولتى المصب، ليس فقط مع تواصل الموقف الأثيوبى المتعنت والمتسم بالمماطلة والتسويف، والتصرفات الأحادية لفرض أمر واقع يتعذر تغييره والرجوع عنه، خاصة بعد إقدام أثيوبيا على الملء الأول دون اتفاق مسبق منتهكة بذلك إعلان المبادئ فى مادته الخامسة، ومشروع اتفاق مسار واشنطن المتسم بالتوازن والشمولية والعدالة ومراعاة مصالح الأطراف الثلاثة فبراير 2020، بل وأيضاً من جراء انخفاض معامل الأمان للسد المفتقر إلى المعايير الدولية بما يهدد الوجود والحياة فى السودان ومصر، وهو أمر يثير هواجس شديدة ومخاوف حقيقية ربطاً بإعلان أثيوبيا عن نيتها منفردة بدء الملء الثانى خلال الأشهر القادمة، والتأكيد على لسان كبار المسئولين الأثيوبيين أن النيل الأزرق سيصبح بحيرة أثيوبية.

وفى التقدير، يستوجب مجمل ما تقدم بصدد الموقف الأثيوبى، ومع ضغوط عامل الوقت فى ظل تواصل عمليات بناء السد وعمليات الملء وصولاً للتشغيل، تحركاً مصرياً (سودانياً)، لدرء تلك المخاطر المدمرة، بكافة الوسائل والسبل فى إطار القانون الدولى والاتفاقات والمواثيق الدولية، ومن بينها مشروعية اللجوء لاستخدام القوة، لإجهاض أية خطوات أثيوبية تعظم من تلك المخاطر الجسيمة، والتى يمكن أن تعد من قبيل أعمال الحرب أو العدوان، والتوصل لتسوية للأزمة تتخذ من مشروع اتفاق مسار واشنطن أساساً ومنطلقاً، خاصة وأنه سبق مشاركة الدول الثلاث فى إعداده، بوساطة وتأييد أمريكى والبنك الدولى، مع الأخذ فى الاعتبار أن موقف الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة خاصة (فرضتا عقوبات على أثيوبيا)، والمجتمع الدولى عامة، يتسق لحد كبير مع موقفى مصر والسودان، وهو الأمر الذى يمكن تحقيقه بإعادة فرض وليس مجرد طرح القضية أمام مجلس الأمن بوضعية تجعل معالجتها فى إطار الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، سواء تم ذلك من الناحية الإجرائية بتحرك ثنائى مباشر من جانب مصر والسودان أو من خلال الرئاسة الجديدة – الكونغو – للاتحاد الإفريقى.

سلسلة مقالات بعنوان «فى أروقة الأمم»

فى الذكرى الستين لأول قمة فى بلجراد:

مجموعات عمل الخبراء مقياس لقدرة عدم الانحياز على الحركة (1)

يشـــهد هذا العام الجديد، ٢٠٢١، الذكرى الستين لانعقاد أول قمة مكتملة لحركة عدم الانحياز فى بلجراد. ولا توجد مناسبة أفضل لإحياء تلك الذكرى من مراجعة التاريخ الحديث لحركة عدم الانحياز، لاستخراج الدروس المســتفادة واستنباط أفضل الممارسات. ولعل تكون فائدة فى المشاركة بتجربتى الشخصية خلال فترة عملى كمستشـــار ووزير مفوض ببعثة مصر لدى الأمم المتحدة فى نيويورك. وكم تســعدنى أن تتاح لى هذه الفرصة، ليس فقط لأنها تعيد الحنين إلى التجربة الغنية للعمل كدبلوماسى فى معقل الدبلوماســية متعددة الأطراف، ومشـــاركتها مع القراء المتخصصين لمجلة «الدبلوماسى» المرموقة، ولكن أيضًا لأنها قد تلقى الضوء على هذا التجمع من زاوية مختلفة تســتكمل المقاربة التقليدية لدراســة إسهام حركة عدم الانحياز فى العلاقات الدولية.

إن صـــورة حركة عـــدم الانحياز التى يـــرد صداها تلقائيـــاً إلى أذهاننا هى صورة قادة العالم فى الســـتينيات فصاعدًا يعملون معًا عن كثب من أجل نظام عالمى أكثر تشاركية وعدالة. ومنذ أن ســـافرت اســـتلمت عملى فى بلجراد كســـفير لمصر لدى صربيا، بدت صور الرئيســـين الراحلين «ناصر» و«تيتو» فى المبانـــى الحكومية والمتاحف على حد سواء تذكيرًا دائمًا بالدور القيادى الذى لعبه كلا البلدين فى تأسيس ورعاية تلك المبادرة الدبلوماسية المبتكرة التى أثرت مســـار العلاقات الدوليـــة إلى الأبد. ولا تكاد توجد مهمة دبلوماسية أشرف فيها بتمثيل بلادى بدولة الاعتماد، إلا ويروى المحاورون مشـــاركتهم الشخصية أو ذكريات طفولتهم عـــن قادة البلدين فى لقاءاتهم من خلال حركة عدم الانحياز. بل، وحدث ذلك خـــلال زيارة مجاملة لبعثة صربيا إلى الأمـــم المتحدة الطالة على «سنترال بارك» فى منتصف الطريق تقريبًـــا بين نهرى الشرق وهدســـون بجزيـــرة مانهاتن، أو لقـــاء التعارف بالسفارة الصربية فى القاهرة التى تطل تقريبًا على ضفاف نهر النيل فى جزيرة الزمالك، وكلتاهما تشهد بالقاعات التى التقى فيها الزعيمان وجلســـا وتحدثا وشكلا معاً حقبة فريدة من حقب تاريخ العلاقات الدولية.

سفير عمرو الجويلى

نيويورك: حركة عدم الانحياز «العاملة»

بينما كنت دائمًا مفتونًا بهذه الصورة لقادة العالم والعلاقة الشخصية الوثيقة بينهم مثلهم مثل الدبلوماســـيين بالأمم المتحدة، يمثلون أعلى مستوى من التمثيل الدبلوماسى لحركة عدم الانحياز، إلا أنه لم يتح لى مشاهدته بنفسى بحكم الفترة الزمنية واختلاف الأجيال. لكن مع التقدم فى العُمر، والتدرج فى الوظيفة، أتيحت لى الفرصة لاكتشاف بُعد آخر لحركة عدم الانحياز فى ســـياق مختلف كثيرًا، أقرب إلى المســـتوى التنفيذى، وبالتالى الأقل «شهرة» إذا جاز التعبير، باعتباره الأقل اجتذاباً لاهتمام الإعـــلام. والمعروف أن المعايير والإرشادات والتعهدات الدولية، بل والالتزامات والقواعد القانونية، يتم التفاوض عليها فى أطر متعددة الأطراف، مركزها الأمم المتحدة. وبينما تتقاســـم الدول النامية، بشـــكل عـــام، العديد من المخاوف وتتشـــارك فى العديد من المصالح، فإنها قد تفتقر إلى القدرة على الدفاع عن مصالحهـــا وتعزيز وجهات نظرهم بشكل فردى، خصوصاً مع تزايد تعقد العلاقات الدولية والكثافة المتزايدة من الاجتماعات متعددة الأطراف. وهنا تظهر التكتلات مثل حركة عدم الانحياز ومجموعة الـ77، كمنصة عملية لتطوير المطالب المشتركة وتقسيم المهام البينية ومضاعفـــة التأثير الفـــردى. وبالتالى تستمر تلك المجموعات، لتضطلع بدور فاعـــل فى التفاوض فى الأطـــر متعددة الأطراف، وبالتالى المســـاهمة فى تشكيل الخطاب حول القضايا العالمية وتحديد الموضوعات ذات الأولويـــة على جدول أعمال العلاقات الدولية.

الشـــكل المعتاد لمثل ذلك التنسيق فى إطار حركة عـــدم الانحياز فى نيويورك يكون من خـــلال «مجموعة (أو فريق) العمـــل»، التـــى تنفرد بتعيـــين بعثة دبلوماسية معينة من الأعضاء فى الحركة كرئيس لهـــا، أى كمنســـق دائم لذلك الموضـــوع الفنى، بما يتبعـــه ذلك من استضافة لاجتماعاتها، باستثناء تلك التى تعقد فى مقر الأمم المتحدة ذاته. ويمنح هذا الترتيب، أن يتم تنسيق أنشطة حركة عدم الانحيـــاز بالجودة التى قد يصعب

مؤسسو حركة عدم الانحياز الثلاثة الكبار ناصر و تيتو و نهرو

على البعثات الفردية القيام بها. وأختص بالذكر هنا الذاكرة المؤسسية، باعتبار أن العديد من الأجهزة الدبلوماسية، إن لم يكن أغلبيتها الساحقة، لا سيما فى الدول النامية، لا تكرس مسارات وظيفية متخصصة، بما فى ذلك للمسائل الفنية التى أصبحت تقريبًا هى السمة المميزة للعلاقات متعددة الأطراف. فعادة ما يضحى الدبلوماسيون، الوافدون حديثاً إلى نيويورك، غارقين فى المهام التى يتعين عليهم القيام بها، والمعرفة التى من المتوقع أن تتراكم لديهم. وكلما كان اختصاصهم فنياً بقدر أكبر، كلما أصبحت مرحلة بدء عملهم أكثر صعوبة وتحدياً.

لذا تصبح المشاركة فى مجموعات عمل حركة عدم الانحياز هذه بمثابة ملجأ لهؤلاء الدبلوماسيين «المستجدين» على الصعيد متعدد الأطراف. ولا شك فى أن أوراق الخلفية القابعة فى أرشيف المنسق هى بالتأكيد مصدر غنى، بيد أنها ليست المصدر الوحيد، إذ أن المنابع الأخرى لتبادل المعرفة ولتدفق الخبرات المتراكمة، والتى لا تقل أهمية عن الوثائق المكتوبة، تمتد لتشمل المناقشات التى عادة ما تكون تفاعلية نظرًا للعدد الأقل من المندوبين الذين يحضرون خاصة وأن التمثيل يكون على مستوى الخبراء؛ مقارنة بالاجتماعات العامة الأكبر لحركة عدم الانحياز والتى تكون عادةً على مستوى السفراء لنطاق أوسع من أعضاء الحركة. وتستند هذه المناقشات المبدئية على الفور إلى وجهات النظر المشتركة، ثم تكشف تدريجيًا عن الملامح الرفيعة للآراء المتباينة. وتتم عادة بروح جماعية، إن لم يكن فى سياق ودى، تستفيق فيه روح التضامن، تُعضد دوافع الدفاع عن وجهة نظر «المجموعة» عند التفاوض مع الأطراف الأخرى. وبالنظر إلى أن العديد من هذه الاجتماعات يُعقد فى دار المكاتب لبعثة دولة المنسق، وليس فى مقر الأمم المتحدة، فإن ضيافة منظم الاجتماعات تضيف جوًا ملائمًا مهمًا لتطوير المواقف المشتركة؛ فى علاقة عمل وثيقة، لا يجب إغفال مدى أهميتها، تنجح عادة فى تطوير رابطة عابرة للبعثات الوطنية، بل حتى عابرة للمجموعات الإقليمية الفرعية، لتبنى «هُوية» أشمل لفرق عمل حركة عدم الانحياز.

وبما أن العديد من مهام مجموعات العمل تلك متكررة بصفة دورية، فإن ذلك يجعلها أكثر ملاءمة للمندوبين الجدد بما يسهل عليهم الاندماج فيها. ومع ذلك، لمن المسلم به أن تصبح فى بعض الأحيان رتيبة بعض الشيء بالنسبة لممثلى البعثات الدائمة الأكثر خبرة. وتُسهل مهام التفاوض على الصياغة، المتكررة فى العديد من المواضع، بهدف التأكيد على المواقف المشتركة، بالاستناد إلى «لغة متفق عليها سابقًا» ورثتها أجيال من الخبراء، وبما يُمكن من «استعارتها» بسهولة من منتدى إلى آخر، لا سيما لو كانت مقتبسة، أو حتى مستوحاة، من وثائق معتمدة على مستوى القمة، «لإقراضها» لمحافل أخرى على المستوى التقنى لفائدة المفاوضين على مستوى الخبراء بشكل أكثر يسراً. أما عن «التكلفة» التى يتكبدها المفاوضون فى ذلك، والثمن الذى يتعين عليهم سداده، فهو أن ذلك يحد بقدر ما، من مساحة الإبداع فى اللغة التفاوضية، وإثرائها بالأفكار الجديدة، وصعوبة تعديل المواقف الراسخة مع بيئات التفاوض المتغيرة، ولا سيما تلك التى نراها تبزغ بشكل متزايد فى المرحلة الحالية الصعبة التى تمر بها التعددية نتيجة حالة الاستقطاب التى تسود المنظومة الدولية، بما فى ذلك الأطر الأممية.

وتعود السهولة النسبية التى تتسم بها قدرة مجموعات العمل تلك فى تطوير مواقف مشتركة إلى أن كل مجموعة من هذا القبيل عادة ما تكون مكرسة لمسألة فنية معينة، فى الأرجح تكون أقل «تلوثًا» بالانقسامات السياسية. وأود هنا أن أذكر مشاركتى الشخصية فى نيويورك فى كل من الفريق العامل المعنى بنزع السلاح الذى تنسقه إندونيسيا والفريق العامل المعنى بحفظ السلام الذى ينسقه المغرب. تلك هى مسائل تقنية، تحظى بدرجة عالية من «الانتماء» والفخر بين الدبلوماسيين العاملين فيها. وحتى أولئك الذين يتم تكليفهم لأول مرة بذلك الموضوع عند انضمامهم إلى بعثاتهم فى الأمم المتحدة، فإنهم سرعان ما يطورون «العلامة التجارية» الخاصة بهم، وينضمون إلى «نادى الخبراء» المعتز بعضويته، وذلك بمجرد أن يصبحوا على دراية بالمصطلحات الفنية وفك رموز اللغة المشفرة المشتركة من الاختصارات والاختزالات التى عادة ما تطغى على قرارات ومقررات الأمم المتحدة فى هذه المجالات.

إضفاء روح نيويورك على المسئولين الوافدين لحركة عدم الانحياز

بالتأكيد تلك ميزة إضافية لمجموعات العمل، كونها تجمع الخبراء من البعثات، مما يؤدى تقريبًا إلى نشوء مجتمع معرفى epistemic community، يراكم العلم ويعزز الخبرة ويعزز الانسجام بين

المشاركين. ومع ذلك، يعد هذا أيضًا أحد أوجه القصور فى هذا النمط من التفاعل بين الدول، حيث قد لا يمتد هذا القدر من القواسم المشتركة بالضرورة إلى ما وراء حدود هذا المجتمع المترابط بشكل وثيق. وربما يمكن، بل ينبغى، أن يمتد إلى اجتماعات المندوبين الدائمين، حتى لو لم يكن بنفس الدرجة من الانسجام الذى يربط ما بين الخبراء. وحتى عندما يرتقى إلى مستوى السفراء، ونقر هنا بأنه قد يحدث بدرجات متفاوتة، فإنه يبقى حبيساً لدائرة الممثلين الدبلوماسيين بحركة عدم الانحياز، ولا يمتد فى كثير من الأحيان إلى الدوائر الأخرى لممثلى الوزارات القطاعية أو التنفيذية. وتجدر الإشارة إلى أنه نادراً ما تجمع منتديات حركة عدم الانحياز، بشكل منتظم ومؤسسى، خبراء تقنيين «حقيقيين»، وليس «الخبراء الدبلوماسيين» المنتسبين إلى حقل القضايا الفنية خلال عملهم بالبعثات الدائمة لدى مقار المنظمات الدولية. وحتى المبادرات التى تحاول تجميع الخبراء الفنيين والوزارات القطاعية، فقد اقتصرت على الانعقاد لمرة واحدة، أو فى أحسن الأحوال، بوتيرة متقطعة غير كافية لتأسيس الرابطة التى تنتج عن مجموعات العمل المؤسسية، والتى لا تستفيد فقط من كثافة وانتظام الاتصال، ولكنها تزدهر بالاعتماد على الثقافة المهنية الراسخة للدبلوماسية المحترفة.

ويظهر هذا الخلل بشكل أكثر حدة كلما أضحت المفاوضات فنية بشكل أكبر، مما يستدعى مشاركة من الوزارات الفنية، أو كلما أطلقت مبادرات تهدف لتجاوز هذا «المجتمع المعرفى» من الخبراء الدبلوماسيين الفنيين، بما فى ذلك من خلال إشراك ممثلين عن «الثقافات المهنية» الأخرى. وبالتالى، يفقد «الدبلوماسيون المتخصصون»، ممن كرسوا مشوارهم المهنى للتفاوض بشأن القضايا الفنية فى مقرات الأمم المتحدة، جزءًا من نفوذهم فى تسيير المفاوضات، أو على الأقل قد لا يتمتعون بنفس النفاذ إلى صيغ الاجتماعات الأكثر تقييدًا، والمخصصة بشكل أساسى للمسئولين الجدد الذين انضموا من الوزارات المختصة القادمين من العاصمة. ومن هنا، تصبح الشبكات القائمة للمفاوضين الدبلوماسيين المستندة إلى مجموعات عمل حركة عدم الانحياز أو غيرها، أقل مركزية فى توجيه عمليات التفاوض، وأقل قدرة على المشاركة أو جذب انتباه « المندوبين الجدد»، القادمين من خارج محيط مقر المنظمات الدولية.

واللافت للنظر أن كان هناك عدد من المبادرات من قبل حركة عدم الانحياز للتكيف بسرعة مع هذا التحدى الجديد. وأتذكر واحدة ساهمتُ فيها بنفسى عندما كرس الفريق العامل المعنى بحفظ السلام أحد اجتماعاته لرؤساء أركان القوات المسلحة لأعضاء حركة عدم الانحياز، عند وصولهم إلى نيويورك للمشاركة فى اجتماعهم الأول على الإطلاق بشأن حفظ السلام الذى دعا إليه الأمين العام للأمم المتحدة. ومما أضاف إلى قدر التعقيد لذلك النوع من الاجتماعات، هو أنها لا تتبع عادة الشكل التقليدى لإخضاع المسودة لمفاوضات مكثفة على مستوى الخبراء ثم كبار المسئولين المفاوضين. وبدلاً من ذلك، يمكن أن تكون النتيجة المتوقع صدورها هى وثيقة أعدتها الجهة الداعية، ومطروحة فقط لتبنيها كما هى دون تعديل، بحيث تنضم إليها البلدان التى ترغب فى التوقيع عليها كما هى، ولا يترك هذا مجالًا كبيرًا لإجراء تعديل حقيقى على مسودة الوثيقة، إذا ثبت أنها تختلف اختلافًا جوهريًا عن الموقف الوطنى أو موقف المجموعة. ويصبح الأمل الوحيد إذن أن يكون الداعى قد أجرى مشاورات غير رسمية لضمان مشاركة المسودة مع اللاعبين الرئيسيين، أو أن الداعى إلى الاجتماع قد احتفظ بصياغة النتيجة المقترح صدورها عن الاجتماع على مستوى من العمومية بما لا يجعلها تتناقض مع أى من مواقفهم المحددة. وفى كلتا الحالتين، لم تعد الديناميكيات «التقليدية» لمساهمة حركة عدم الانحياز والتفاوض على النتيجة قابلة للتطبيق كما هو الحال فى الأطر التقليدية الأخرى.

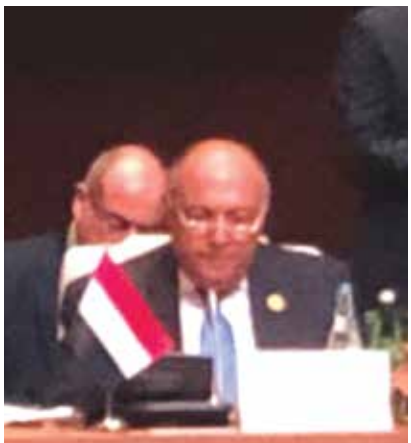

شكرى يشارك فى أعمال قمة «حركة عدم الانحياز» المنعقدة فى باكو

مجموعات عمل حركة عدم الانحياز من بداية المفاوضات وحتى اختتامها

إن الأفرقة العاملة التابعة لحركة عدم الانحياز هذه مفيدة للغاية فى حشد مواقف الحركة بشأن القضايا التقنية المدرجة فى جدول أعمال الأمم المتحدة، ولا سيما الجمعية العامة وأجهزتها الفرعية. وتعد مساهماتها الأكثر فاعلية فى صياغة المواقف الأولية، والتى يتم التعبير عنها كخطابات افتتاحية أو بيانات موضوعية. وعادة ما تتم ترجمتها أيضًا إلى أوراق عمل يتم تضمينها بعد ذلك كجزء من الوثائق الرسمية للعمليات التفاوضية. ومع تقدم المفاوضات، عندما تصبح الحلول الوسط مطلوبة، تتغير ديناميكيات المجموعة بما فى ذلك دور المنسق أو رئيس المجموعة.

وهذا أمر معتاد فى المفاوضات، ولكنه أكثر صعوبة لمواقف تكتلات الدول التفاوضية. وربما أن هذا من الأسباب التى من أجلها تقوم مجموعات العمل بتعيين ميسرين للموضوعات الفرعية، والذين يقدمون تقاريرهم إلى المجموعة بكامل عضويتها بهدف عرض كيفية تطوير المواقف بشكل أكبر لاستيعاب التقدم الذى يطرأ على المفاوضات، بعد المرحلة الافتتاحية. ومع ذلك، وفى بعض المراحل المتقدمة، قد تصبح الوفود الفردية أكثر نشاطًا للدفاع عن القضايا ذات الأولوية القصوى لمصالحها الوطنية. ولا يعنى هذا أنها تتصرف بالضرورة بشكل مخالف للموقف المشترك للمجموعة، إذ أن عادة ما يتم

إدراج مواقفهـــا فى الأوراق الجماعية فى المقام الأول. كل ما فى الأمر أن الحماس فى الدفاع عنها، أو درجة المرونة فى تعديلها، يقع بطبيعة الحال على تلك الوفود التى اقترحتها فى المقام الأول، وبالتنسيق مع بقية المجموعة بالطبع. وهذا هو زيادة التنســـيق عبر الإنترنـــت والاجتماعات المرتجلـــة التى تصبح أكثـــر أهمية فى المراحل المتقدمة من المفاوضات.

حركة عدم الانحياز فى العصر الرقمى ومقاربة أصحاب المصلحة المتعددين

لقد طـــورت مجموعات عمل حركة عدم الانحياز بالفعـــل تقليدًا متواصلاً للتنســـيق بـــين خـــبراء المجموعة عبر البريـــد الإلكترونى، بمـــا يعزز السرعة فى التنســـيق، وهو أمر ضرورى بشدة للمفاوضات المتواصلـــة. ومع ذلك، فلا تزال هناك مساحة أكبر لتطوير المنصات عبر الإنترنت للتنســـيق الجماعى. فعلى ســـبيل المثال، يمكن التفكير فى تطبيق للهاتـــف المحمول يســـهل الوصول إلى وثائق حركة عدم الانحياز بشـــكل عام، خاصة وثائق مجموعات العمل التابعة لها التى تركز على القضايا المتخصصة متعددة الأطراف. وســـيكون لمثل هذا الأرشـــيف عبر الإنترنت للوثائق العامة للحركـــة إضافة عظيمـــة لقدرة حركة عدم الانحيـــاز على تطويـــر مواقفها المشتركة وتعزيز أســـاليب عملها. وقد يعكس ذلك احتياجـــاً خاصاً للحركة، بالنظر إلى تقليدهـــا المتمثل فى أن تتولى الرئاســـة المهام الرئيسية للأمانة. ومع مثل هذه «المقرات» المتغيرة باســـتمرار للسكرتارية، يصبح من المهم أن يكون للحركة أرشيف تراكمى موحد، خاصة إذا كان إليكترونيًـــا. وأذكـــر أن إحدى المؤسسات البحثية حاولت القيام بذلك فيما يتعلق بوثائق حركة عدم الانحياز المتعلقة بنزع السلاح[2] . ويمكن للمرء بسهولة التفكير فى منصة مماثلة لجميع «أدبيات» حركة عدم الانحياز، بالإضافة إلى منصة أكثر تفاعلية تســـهل «البحث والإنقاذ» للمفاوضين الذين قد يكونون فى أمس الحاجة إلى مثل هذه المساعدة فى مفاوضات ضيقة الوقت.

من خلال القيام بذلك، فإن المعرفة الثريـــة المتبقية للدبلوماســـيين الذين يطورون مواقف حركـــة عدم الانحياز

المفوض العام للأونروا بيير كرينبول

عبر الأجيال ســـتكون متاحة ليس فقط للدوائر المتخصصـــة، ولكن للجمهور الأوســـع، الذى من شأنه أن يساهم حقًا فى تشـــكيل الخطاب العالمى، من خلال الوســـائط التفاعلية. كما سيسمح ذلك بمزيد من المشـــاركة مـــع الأكاديميين والبحثيين والمجتمع المدنى. وسوف يعزز البعد الدبلوماسى لأصحـــاب المصلحة المتعددين multistakeholder، وهى ســـمة تتوسع باســـتمرار فى العلاقات المتعددة الأطراف اليوم. وبطبيعة الحال، فإنه من شأنه أن يضفى طابعاً مؤسسياً، حتى وإن كان غـــير مرئى إلى حد كبير لحركة عدم الانحيـــاز بما يظل متوافقاً مع مفهومها المســـتقر عن دور الرئاسة كأمانة وأعضائها وأساليب عملها.

أفكار للمتابعة

غالبًا ما يتم انتقاد المنتديات متعددة الأطراف بســـبب ما لا تقـــوم به، أو فى بعض الأحيان يمكـــن للمرء أن يجادل بأنه ما لا يمكنها القيام به؛ بينما لا يتم، فى كثير من الأحيـــان، تقييمها لما تنجح فى القيام بـــه، فغالبًا ما يتم التقليل من شأن الآليات العاملة، وهو ما نحاول هنا التركيز عليه، المستوى العملى لحركة عدم الانحياز، الذى يقوم بمهامه على أفضل وجه ممكن، مع الاعتراف بالمجالات التى يمكن فيها إجراء تحسينات من ناحية، وتحديد أســـاليب العمـــل التى تؤدى بالفعـــل إلى نتائج محـــددة من ناحية أخرى، دون التضخيم بالقول بأن هذه هى أهم إنجـــازات حركة عدم الانحياز، ولا أنها كافيـــة لتحقيق أهداف وغايات الحركة.

الهدف من هذه الورقة الموجزة التى تســـلط الضوء على الدروس المستفادة، وتعزيز أفضل الممارســـات، وتقديمها للمســـتويات الأخرى مـــن حركة عدم الانحيـــاز، أو حتـــى المنتديات الأخرى خـــارج الحركة. وظل مفتـــاح فعالية العمل الجماعى، بما فى ذلك على المستوى متعدد الأطراف، هو تطوير ديناميكيات عمل واضحـــة، وإدارة فعالة، وثقافة «مهنية» متماســـكة معـــززة بالتفاعل المكثف الموجه نحو الأهداف المشـــتركة التى يتـــم وضعها من خـــلال عملية تشاركية قائمة على أسس فكرية صارمة تدير عملية تنغيـــم المصالح مع ضمان ملكية جماعيـــة حقيقية. وأزعم أن هذه المفاهيم، التى قد تبـــدو معقدة عندما نصيغها بتلـــك المفاهيم المعقدة، إلا أنها سهلة التطبيق فى الواقع. ويمكن القول إنها تظهر بشـــكل أفضـــل من خلال الزمالة من المندوبين الحاضرين كخبراء فى الموضوع. والمأمـــول أنه يمكن أيضًا محاكاتها على مســـتوى أعلى، إذا ما تم اتباع نفس النهج فى الإدارة. وفى مثل هذه اللحظة، قد يؤدى «المستوى العامل» إلى أن «تعمل» حركة عدم الانحياز بشـــكل أفضل لتحقيق مُثُلها التى تشتد الحاجة إليها فى عالم اليـــوم وفى الوضع الحالى للعلاقات متعددة الأطراف.

الآراء والانطباعـــات الشـــخصية للمؤلف الناتجة عـــن ما يقرب من 30 عامًا من الخـــبرة المهنية والأكاديمية فى مجال العلاقات متعددة الأطراف.

[1] تستند إلى نص محاضرة للكاتب أمام مؤتمـــر بعنوان «عـــدم الانحياز الحركة - من بلجـــراد 1989 إلى باكو 2019: 30 ســـنة من التحول» نظمته سفارة جمهورية أذربيجان لدى صربيا فى أكتوبر ٢٠١٩ فى بلغراد بمناسبة تولى بلادها رئاسة الحركة.

[2] http://cns.miis.edu/nam/#&panel1-1

شهادة مصداقية لمصر ودبلوماسيتها الإفريقية

فى ذكرى اغتيال الزعيم لومومبا

شهد الوطنيون الأفارقة يوم 17 يناير 2021 الذكرى الستين لاغتيال الزعيم الكونجولى الوطنى باتريس لومومبـــا. ويهمنا نحن كمصريين بصفة خاصة، ظهور العديد من الحقائق التاريخية الموثقة التى أكدت نقـــاء ونزاهة الدور الذى لعبته مصر وقيادتها وقواتها المسلحة التى شاركت فى عملية الأمم المتحدة لحفظ السلام فى الكونجو.

سفير هشام الزميتي
hisham_elzimaity@yahoo.com

فبرغم العديد من الكتب والدراسات التى سعت خلال الســـتين سنة الماضية للإجابة على الســـؤال البسيط: من الذى قتل لومومبا؟ فإن كتاب: اغتيال لومومبا، لعالم الاجتماع البلجيكى لودو دى ويت اكتسب مصداقية خاصة، إذ تمكن المؤلف من الحصول عـــلى تصريح خاص لنشر وثائق من الأرشـــيف الملكي، ومراسلات وزارة الخارجية البلجيكية، إلى جانب ما أفرج عنه من وثائق وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ومـــا صدر من كتب تغطى تلك الفترة، وحتى بعض سجلات الأمم المتحـــدة. فقد فجـــرت الأدلة على تورط قـــوى غربية كـــبرى ووكالاتها المخابراتيـــة فى عملية اغتيـــال لومومبا دوياً هائلاً حتـــى أن البرلمان البلجيكى شـــكل لجنة تحقيق فى تلك الأمور. فلقد أمضى المؤلف أكثر من ســـت سنوات بين الوثائق بحثاً عن الحقيقة، حيث أثبت أن من شاركوا فى تنفيذ هذه المؤامرة نجحوا فى إلصـــاق التهمة بمعـــارضى لومومبا من الكونجوليـــين، إلا أن مرور الوقت، وصدور مؤلفات عديدة وبعض المذكرات السياسية، أكد مدى عمق المؤامرة الدولية التى نفـــذت بإحكام ضد أحد أهم رموز التحرر الإفريقي.

وكان تصاعد حـــدة الحركة الوطنية الكونجولية المنادية بالاســـتقلال قد دفع بلجيكا للإعلان عن منح أكبر مستعمراتها الاستقلال اعتباراً من 30 يونيو 1960، ثم تلاحقت الأحداث متسارعة بعد ذلك، إذ فوجئت بلجيكا بالفوز الكاسح للمناضل باتريس لومومبا وحزب الحركة الوطنية الكونجولية الذى يرأســـه فى الانتخابات التى جرت فى آخر مايو 1960، وبالتالى أحقيته فى تشـــكيل أول حكومة وطنية برئاســـته، فما كان من برلمان بلجيكا إلا أن أصـــدر قانوناً يســـمح للعميل موبز تشـــومبى بتشـــكيل حكومة برئاسته فى إقليم كاتانجا حيـــث مناجم الألماس والمعادن النفيســـة وحيـــث الاحتكارات العالميـــة والمصالـــح التجاريـــة للقوى الغربية، وذلك حتـــى لا تكون للحكومة الوطنية سلطة على هذا الإقليم الغني. وفى 24 يونيو 1960 حازت حكومة لومومبا على ثقة البرلـــان، وتقرر تعيين جوزيف كاسافوبو أول رئيس للبلاد التى استقلت رسمياً يوم 30 يونيو 1960.

ويذكر الوطنيون الأفارقة بكل فخر وقفـــة لومومبا الشـــامخة خلال الحفل الرسمى للاســـتقلال، حيث رد على كلمة الملك بودوان ملك بلجيكا التى اســـتفزت مشـــاعر الكونجوليين حين طالبهم الملك بعدم اتخاذ أية خطوة متسرعة، أو قرار غير مدروس بمـــا يغير ما خلفته بلجيكا لهم، وذلك رغم علمه أن عدد الخريجين الجامعيين يعد على أصابع اليد الواحدة، وليس بالبلاد كـــوادر فنية، بل إن جميع ضباط الجيش كانوا من البلجيكيين. فقد نهض لومومبا موجهاً حديثه للمواطنين الحاضرين، رغـــم أن برنامج الحفل لم يكن يتضمن كلمة لرئيـــس الوزراء، إذ قال: أيها المناضلون من أجل الاستقلال.. واليوم منتصرون.. أتذكرون الســـخرة والعبودية التى فرضها علينا المســـتعمر الذى أهاننا وصفعنا طويلاً لأننا زنوج فى نظره، لقد استغلت أرضنا ونهبت ثرواتنا اســـتناداً لنصوص ادعـــوا أنها قانونية رغم انحيازها الصـــارخ للرجل الأبيض ضد الإنسان الأسود. لقد تعرضنا طويلاً للرصاص، وكان السجن من نصيب من سعى للحفاظ على كرامته كإنسان.

وعلى النقيض من كلمـــات لومومبا التاريخية، ومواقفه الشجاعة، كان العميل تشـــومبى يردد مفاخراً، مقولات فرضها عليه أسياده بأن العنصر الأسود ليس له تاريخ لأنه شعب جاهل لايعرف الكتابة، وليست له فلسفة، ولابد من استمراره فى استرضاء هؤلاء الشجعان الذين قدموا من أوروبا ليعاونوه على الخروج من مستنقع التخلـــف. وكان طبيعياً أن تنحاز القوى الغربية لتشـــومبي، وأن تتكالب للقضاء على لومومبا المنتخب من الشعب. فكانت المؤامرة.

إذ أعلن تشـــومبي، مدعوماً بالقوات البلجيكية انفصال إقليـــم كاتانجا يوم 11 يوليـــو 1960، أى بعد الاســـتقلال بأحد عشر يوماً فقـــط، وفى اليوم التالى طلب الرئيس كازافوبو، ورئيس وزرائه لومومبا من الأمم المتحدة التدخل للتعامل مع المؤامرة التى تعـــرض لها الكونجو، فأصدر مجلس الأمن قرار إرســـال قوات لحفظ الســـلام، والتى واجهت معارضة من تشـــومبى حالت دون انتشـــارها فى إقليـــم كاتانجا. وبعـــد مفاوضات بين سكرتير عام الأمم المتحدة داج همرشولد وتشومبى رضخ السكرتير العام لشروط زعيم الانفصال، ووافق على دخول القوات الدولية للإقليم بعد التعهد بعدم التعرض للانفصـــال، ومن هنا كانـــت القطيعة السياسية بين همرشولد ولومومبا، خاصة وأن القوى الكـــبرى بمجلس الأمن أيدت

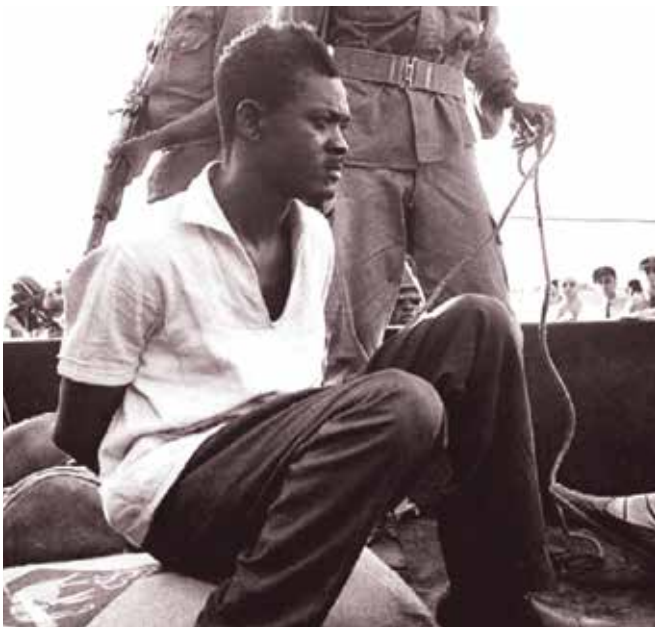

زوجة الثائر لومومبا تصافح الرئيس جمال الذى أمر بأن تعيش فى القاهرة بعد إغتيال زوجها

موقف السكرتير العام بما يعنى تكريس انفصال كاتانجا عن باقى الكونجو بدلاً من الحفاظ على وحدة أراضيها.

وإثر ذلك كما هو معروف، فقد أرسل ألن دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تعليمات لمندوب الوكالة بالكونجو جاء فيها أن استبعاد لومومبا يعد أهم أهداف واشنطن، ويجب أن يحظى هذا الهدف بالأولوية المطلقة فى عمل الوكالة السري. كما وضعت بلجيكا من ناحيتها الخطة باراكودا ونفذت العملية 58316 للتخلص من لومومبا، وتمكنت هذه القوى، والتى ساندتها وتسترت عليها الإدارة العليا للأمم المتحدة، من اختطاف لومومبا ورفاقه بعد أن صدرت تعليمات صريحة من نيويورك للقوات الدولية بعدم توفير أية حماية لرئيس الوزراء المغضوب عليه، وقد نقل لومومبا ورفاقه إلى مدينة إليزابيث فيل أو لومومباشى حالياً حيث نفذ فيهم الحكم بالإعدام بحضور مسئولين بلجيكيين وبعض قادة الأمم المتحدة الذين أداروا وجوههم حين وضعت جثته فى برميل من الحامض لإخفاء معالمها. وكان ذلك يوم 17 يناير 1961.

وكانت مصر فى طليعة الدول التى سارعت بإرسال قوات للإسهام فى حفظ السلام والحفاظ على استقلال الكونجو، فأوفدت كتيبة بقيادة العقيد سعد الشاذلي. ورغم كونها المرة الأولى التى تشارك فيها مصر فى إحدى عمليات الأمم المتحدة، إلا أن حسن تنظيم وانضباط قواتنا فى ظل الظروف السياسية المتوترة والعوامل المناخية الصعبة كان مثاراً للتقدير. كما

أوفدت مصر أيضاً بعثة عسكرية بقيادة العميد أحمد إسماعيل لتدريب الجيش الوطنى الكونجولى، وقامت بدور معروف للحفاظ على استقرار كينشاسا خلال الفترة المضطربة. وتشاء الأقدار أن يكون الرجلان من أبطال نصر أكتوبر العظيم.

وحين اتضحت ملامح المؤامرة الغربية ضد القيادة الوطنية لهذه الدولة الإفريقية الشقيقة الشابة وزعيمها المناضل لومومبا، وحين اختار سكرتير عام الأمم المتحدة الانحياز للجانب الآخر بما يتناقض مع الولاية القانونية والمهام المحددة التى من أجلها جاءت القوات الدولية، فقد اتخذت مصر القرار الصحيح بعدم المشاركة فى أية خطوة من شأنها تكريس انفصال إقليم كاتانجا، والتزمت بالمباديء والقيم الراسخة التى تتميز بها دبلوماسيتنا فكان موقفها ناصعاً، بينما أيادى الآخرين ملوثة بدم المناضل لومومبا. وفى إطار المغالطات المتعمدة لتشويه هذا التاريخ الناصع والموقف الشجاع، فإنه يحلو للبعض من المغرضين القول بأن القوات المصرية خرجت عن مهام ولاية الأمم المتحدة فى الكونجو بدلاً من أن يقولوا إن الأمم المتحدة هى التى تساهلت فى تكريس انقسام الكونجو لحساب المصالح الاحتكارية للدول الكبرى، ونذكر فى هذا المقام ما كتبه محمد حسنين هيكل بعد اغتيال لومومبا، إذ طالب باستقالة همرشولد من منصبه لأنه فقد ثقة جميع الدول الإفريقية.

أما لومومبا ذاته، فقد ذكر فى رسالته الأخيرة إلى زوجته بولين: «لقد جاهدنا من أجل الكرامة والاستقلال غير المشروط، ولكن الاستعمار البلجيكى والإمبريالية وحلفاءهم الغربيين وجدوا دعماً مباشراً وغير مباشر، متعمداً وغير متعمد، من كبار المسئولين بالأمم المتحدة، تلك المنظمة التى وضعنا فيها ثقتنا حين طالبناها بالتدخل للحفاظ على وحدة أراضينا فخذلتنا وتخلّت عنا. وحين يكتب التاريخ الحقيقى لقارتنا فلن يكون ذلك التاريخ الذى يدرسونه فى واشنطن أو بروكسل أو باريس أو الأمم المتحدة، وإنما ستكتب إفريقيا تاريخها بنفسها وسيكون مليئاً بالأمجاد والانتصارات والكرامة».

ولعلّ فى كلمات المناضل لومومبا شهادة مهمة على نزاهة ومصداقية الدبلوماسية المصرية.

الحرب العالمية الثانية

ويوم فارق ، متعدد الآثار !

قبعت مذكرات ونستون تشرشـــل - تعريب خيرى حماد، فى مكتبى قرابة نصف قرن، لم تمتد إليها يدى إلاّ لتعيدها، وأخيرًا عَنَّ لى أن أعكف عليها لأرى حياة هذا الســـياسى الإنجليزى العتيد، والحياة السياســـية فى بلده، وتضاعيـــف الحرب العالمية الثانية التى صرح فى مقدمته أن مجلـــدات مذكراته هى تكملة لقصة الحـــرب العالمية الأولى التى سطرها فى كتبه: «الأزمة العالمية» و«الجبهة الشرقية» و«الثمار».

رجائى عطيـة
rattia2@hotmail.com

مبديًا أنه حاول فى هذه السلســـلة الجديدة، كما حاول فى ســـابقاتها، أن يتبع - قدر ما يستطيع- أسلوب دانيال ديفو فى كتابـــه «يوميات فارس» بحيث يربط بين تاريـــخ الأحداث ذات الأهمية العسكرية والسياســـية القصوى وبين خيـــط تجاربه الشـــخصية التى عبرها كفرد، ومبديًا أيضًا - دون تفاخر- أنه لعله الوحيد الذى مرّ بجائحتى الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهو يتبوأ فى كل منهما منصبًا كبيرًا مسئولاً، ولكن بينما كان ما يشغله فى الحرب الأولى من مراكز مسئولة، كانت مناصب تابعة، لا يمتلك فيها القـــرار الأول، فإنه صار فى الحرب الثانيـــة، ولمدة خمس ســـنوات، رئيس حكومة بريطانيا التى يطلق عليها دومًا حكومة «صاحبة الجلالة». ثم يقول إن ما يكتبه لا يزعم أنه تاريخ، فهذا شـــأن الأجيـــال القادمة، ولكنه يســـتطيع أن يدعى - فى غير تواضـــع - أن ما يكتبه إسهام فى التاريخ، قد يكون كبير النفع فى المستقبل.

وظنى أن ما كتبه - اتفقت أم اختلفت معه - كبير النفع فعلاً، وظنى - بصدق - أننى اســـتفدت وانتفعـــت كثيراً من مذكرات هذا الســـياسى الداهية، وعرفت لماذا قد تبـــوأ ما تبوأه، والملكات العديدة التى تمتع بها، فضلاً عن الدهاء والصبر والمثابرة، والموضوعيـــة أيضًا، والفصل بقدر مستطاعه كإنسان، بين الموضوعى والشخصى، وبين العام والخاص، وعرفت أيضًا كيف تسير الحياة السياسية فى تلك البلاد، بلا فهلوة، ولا ادعاء، ولا تخوين، ولا إسفاف، ولماذا - من ثم- استطاعت رغـــم محاصرتها بالبحـــر من جميع النواحى، أن تصير قوية مســـموعة فى أوروبا، وقوية مسموعة فى العالم قبل أن تسحب الولايات المتحدة البساط منها فى وقت تآكلت فيه تباعًا أجزاء الإمبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس!

ليـــس فى نيتى، ولا هـــو متاح، أن أعرض هـــذه المذكرات، فهـــى بالغة العراضة والدســـامة، ولم أســـتطع شخصيًّا أن أمضى فيها دون أن أرجع من وقت لآخر إلى الموســـوعات، وظنى أن جوجل والإنترنت ســـاعدانى كثيرًا، لمعرفة الشخصيات التى ترد أسماؤها والوقائع أو الأماكن التى يشـــير إليها دون شرح، لأنها معروفة - فى الغالب- للقـــارئ الغربـــى أو الأوروبـــى على التخصيص، فكان استكمال المعلومات لازمًـــا لأتمتع - وقـــد تمتعت- بهذه المذكرات.

وأقتـــصر فقط - فى هذه الســـطور القليلـــة- على «يوم فـــارق» وقعت فيه مأساة أسماها ونستون تشرشل «مأساة ميونخ»، وهى فى الواقع مأساة متعددة الآثار، عـــلى بريطانيا، وعلى ألمانيا، وعلى أوروبـــا، وتداعيات هـــذه الآثار كانت مؤثرة فى اندلاع الحـــرب العالمية الثانية وما خالطها من مآسٍ كابدها العالم.

لقـــد تتبع ونســـتون تشرشـــل فى المذكرات، مقدمات الحرب العالمية الثانية، وما قاد إليها بعد الحرب العالمية الأولى، وتتبع فيما تتبعه صعود نجم «العريف الألمانـــى» أدولف هتلـــر، منذ أصيب فى أكتوبر 1918 بالعمى المؤقت، من جراء غاز الخردل، أثناء هجوم بريطانيا خلال الحرب الأولى التـــى وضعت أوزارها فى نوفمـــبر 1918، إلى أن صار العريف - الفوهرر، الحاكم الأوحد والمستبد الأوحد بألمانيا، ومخططه المتنامى لتسليح ألمانيا وزيادة قوتها العسكرية رغم المعاهدات والالتزامات والقيود الواردة فيها، وتردد وتراجع بريطانيا وفرنسا وغيرهما مما أدى إلى قلب الموازين التى ظن الحلفاء أن معاهدات الحرب الأولى كفيلة بحفظها فى الإطار الذى أرادوه للسيطرة على جموح ألمانيا.

تضاعيف هـــذه وتلـــك عديدة فى المذكـــرات، بيد أن اللقطـــة التى أردت الوقوف عندها وطرحهـــا هنا، هى ما أسماه تشرشل «مأســـاة ميونخ» التى فيها تمت التضحية بتشيكوســـلوفاكيا، وانطـــلاق الديكتاتـــور الألمانى، مقابل انخذال فـــرد فى بريطانيا العظمى، أدى استقلاله بما فعل، إلى تخاذل عام أصاب بريطانيا وفرنســـا والمعسكر الأوروبى الذى تقفان فيـــه، وإلى تهيئة الظروف، فى هذه اللحظـــة الفارقـــة - لانطلاق

ونستون تشرشل

الديكتاتور النازى الذى تسبب فى الحرب العالمية الثانية.

إن اليوم الفارق سبقته أيام، ولكن تركز المشهد المأساوى فى يوم 30/ 9/ 1938.. بدأت المقدمات بغزو واحتلال النمسا، وإفصاح الفوهرر لقادته العسكريين عن نيته مهاجمة تشيكوسلوفاكيا، بيد أن القادة نقلوا إليه مخاوفهم من أن الجيش التشيكى من أحدث الجيوش سلاحًا ومعدات، وأكثرها كفاءة، وتخوفهم من مثل هذه المجازفات. فى الوقت الذى أسفرت تحركات بنيش الرئيس التشيكى، عن إفصاح ستالين زعيم روسيا السوفيتية عن وقوفه إلى جانب تشيكوسلوفاكيا، وتجديد ديلاديه رئيس وزراء فرنسا الجديد، عهد سلفه، وإعلانه أن التزامات فرنسا نحو تشيكوسلوفاكيا «مقدسة ولا يمكن تجاهلها أو التنكر لها».

بيد أنه، وبرغم أن هتلر كان قد أفصح فى 18 يونيو 1938، عن توجهه النهائى بالهجوم على تشيكوسلوفاكيا مطمئنًا قادته العسكريين بأنه لن يبدأ العمل إلاّ بعد التأكد بصورة جازمة، فإن اللورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانى بوزارة تشمبرلين (بعد استقالة إيدن من وزارة الخارجية)، أعلن فى مجلس العموم فى 26/ 7/ 1938 بأنه «لا يعتقد أن المسئولين فى أية حكومة من حكومات أوروبا اليوم يريدون الحرب حقًا».

وبدا أن رئيس الوزراء البريطانى المتبنى سياسة الملاينة طلبًا للسلام، لم يقرأ ما يجرى من حوله قراءة جيدة، فقد أعلن فون ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا ما تلقاه من سفيره فى إيطاليا أن موسوليني يطلب إبلاغه فى الوقت المناسب بالموعد المحتمل للعمل العسكرى ضد تشيكوسلوفاكيا. وفى 2 سبتمبر 1938 نقل مايسكى السفير السوفيتى فى لندن أن موسكو ردت على استفسار فرنسى «بأن الاتحاد السوفيتى عازم على الوفاء بالتزاماته قبل تشيكوسلوفاكيا، وأنه لا محل للقلق من موقف بولندا ورومانيا إذا كان لعصبة الأمم موقف واضح، ولهذا فإن موسكو تنصح بدعوة العصبة للانعقاد بموجب المادة 11 من الميثاق، لوجود خطر بنشوب حرب، ووجوب أن تعقد فورًا اجتماعات بين رؤساء أركان الحرب الروس والفرنسيين والتشيكوسلوفاكيين لدراسة طرق العون ووسائله، مع إجراء مشاورات تستهدف إصدار بلاغ مشترك من فرنسا وروسيا وبريطانيا العظمى، وعلى اعتقاد أن الولايات المتحدة ستؤيد معنويًا هذا البيان».

وفى 10 سبتمبر، أعلن بونيه وزير الخارجية الفرنسية، أنه قدم إلى السفير البريطانى فى باريس حينئذ السير إيريك فيبس السؤال التالى: «من المتوقع أن يهاجم هتلر تشيكوسلوفاكيا غدًا. وإذا هاجمها فإن فرنسا ستعلن التعبئة العسكرية فورًا» .. فما هو رد بريطانيا العظمى؟

وفى هذا الرد، بدأ مسلسل اليوم الفارق الذى اكتملت فيه فصول مأساة ميونخ فى 30 سبتمبر 1938!

بيد أن الرد البريطانى جاء مائعًا فى سبتمبر 1938، يتحدث عن عون محدد ومتواضع يقدم «فى غضون الستة أشهر الأولى للحرب» - من ثم بدا فيما يعقب ونستون تشرشل- وكأنه يعطى الفرصة ليحقق المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا «أمنيته» فى التنصل من تعهداته لتشيكوسلوفاكيا وترك التشيك يواجهون مصيرهم!

وفى المقابل، ألقى هتلر فى نفس اليوم 12 سبتمبر - خطابًا فى شبيبة الحزب النازى فى نورمبرج، هاجم فيه بعنف حكومة تشيكوسلوفاكيا، الأمر الذى اضطرها لإعلان الأحكام العرفية فى بعض المناطق، وانقطعت منذ 14 سبتمبر محادثاتها مع «هنلاين» زعيم الحزب السوديتى النازى فى تشيكوسلوفاكيا والذى فرّ فى اليوم التالى إلى ألمانيا، منحازًا لها فى تربصها وفى مطلبها ضم «منطقة السوديت» إليها، وهى شريط ضيق فى غرب التشيك على الحدود مع ألمانيا.

وبدأت الفصول الساخنة للمأساة!

بجلسة 21 سبتمبر بعصبة الأمم، ألقى لتفينوف الثورى الروسى المخضرم، والدبلوماسى السوفيتى ذائع الصيت، خطاب روسيا السوفيتية، وأعلن فيه أن تشيكوسلوفاكيا تعانى من تدخل دولة مجاورة فى شئونها الداخلية، وتتعرض لتهديد علنى وصريح بالهجوم عليها، وشعبها من أقدم الشعوب الأوروبية وأكثرها حضارة، وحصل على استقلاله بعد قرون من العبودية والإذلال، ولكنه يجبر اليوم على حمل السلاح للدفاع عن استقلاله.

وأضاف مندوب السوفييت فى عصبة الأمم، أن حكومته ردت من أيام على سؤال للحكومة الفرنسية عن موقف روسيا فى حالة تعرض تشيكوسلوفاكيا للعدوان «بأننا نعتزم الوفاء بالتزاماتنا طبقًا لميثاق العصبة، ونعتزم أن نقدم لتشيكوسلوفاكيا بالتعاون مع فرنسا كل مساعدة بالسبل المتيسرة لنا، ووزارة حربيتنا على استعداد للاشتراك فورًا فى مؤتمر يضم ممثلين عن وزارتى الحرب فى فرنسا وتشيكوسلوفاكيا لدراسة الوسائل المناسبة لمواجهة الظروف الراهنة».

على أن الغريب، فيما يبدى ونستون تشرشل، أنه لم يكن لهذا البيان الروسى الرسمى والعلنى والصريح - الصادر عن دولة عظمى- أى تأثير على المستر تشمبرلين رئيس الوزراء البريطانى

الحرب العالمية الثانية
ويوم فارق ، متعدد الآثار !

ولا على موقف الحكومة الفرنسية من الأزمة. فقد تجاهلت الدولتان الأزمة والعرض السوفيتى، ودون أى حساب لموازنة الأوضاع ضد هتلر!

وإزاء هذا التخاذل البريطانى الفرنسى، ألقى هتلر مساء 26 سبتمبر خطابًا فى برلين، أشار فيه إلى إنجلترا وفرنسا بعبارات مهدئة مناسبة، بينما حمل حملة عنيفة على التشيك ورئيسهم بنيش، وهدد بصورة جازمة بأنه على تشيكوسلوفاكيا أن تجلو فورًا عن ما أسماه «بلاد السوديت»، مع أنها منطقة تشيكية، مدعيا أنه بهذا «الجلاء» تكون القضية قد سويت، وأنه لا يوجد له - للديكتاتور- مطلب إقليمى آخر فى أوروبا!

ومع أن هاليفاكس وزير الخارجية البريطانى بوزارة تشمبرلين، قد وقع على بيان بذات اليوم تضمن أنه إذا وقع على الرغم من المحاولات التى يبذلها رئيس الوزارة البريطانية، هجوم ألمانى على تشيكوسلوفاكيا، فإن النتيجة الفورية ستكون إسراع فرنسا إلى مساعدتها، ولا ريب فى أن بريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتى سيقفان إلى جانب فرنسا.

ومع أن التشيك عبأوا مليونًا ونصف مليون من الجنود وراء أقوى خط دفاعى فى أوروبا، تسندهم قوات آلية، رائعة التنظيم والعتاد!

ومع أن الجيش الفرنسى تمت تعبئته جزئيًا!

ومع أن الأدميرالية البريطانية أعلنت فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين من صباح 28 سبتمبر - أوامرها بتعبئة الأسطول البريطانى!

ومع أنه قد بدأ فى غضون ذلك صراع قوى ومستمر بين الفوهرر ومستشاريه العسكريين الذين أفصحوا عن الخشية من وجود نحو من ثلاثين إلى أربعين فرقة تشيكوسلوفاكية محتشدة على حدود ألمانيا الشرقية، وبدء قوات الجيش الفرنسى المتفوقة على قواتهم بنسبة ثمانية إلى واحد بتوزيع وحداتها على الجدار الغربى، بينما فى وسع روسيا المعادية لهم أن تعمل من مطارات تشيكوسلوفاكيا، كما فى استطاعة الجيوش السوفيتية أن تشق طريقها للأمام عبر بولندا ورومانيا!

ومع أن بعض الجنرالات الألمان قد دبروا - فيما عُرف لاحقًا- مؤامرة لاعتقال هتلر «وإنقاذ ألمانيا من هذا المجنون». بينما أعلن آخرون أن معنويات الشعب الألمانى هابطة، وغير قادرة على الصمود فى حرب أوروبية، وأن القوات الألمانية غير مستعدة لخوض المعركة!

ومع أن الأدميرال ريدر، القائد الأعلى للبحرية الألمانية، وجه نداء عنيفًا إلى الفوهرر، سرعان ما أكدته أنباء تعبئة الأسطول البريطانى!

ومع أن هتلر إزاء هذا كله قد أخذ يتردد، وفى الساعة الثانية صباحًا، أذاعت محطة الإذاعة الألمانية فى 29 سبتمبر بيانًا رسميًّا ينفى عزم ألمانيا إعلان التعبئة العامة!

ومع أن وكالة الأنباء الرسمية الألمانية أذاعت فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح ذات اليوم 29/ 9 - بيانًا مماثلاً! وسلمته إلى الصحافة البريطانية!

إلاَّ أن تشمبرلين - فيما يبدى ونستون تشرشل- لم يقرأ كل هذا، وبدا أنه «الرجل الوحيد» الذى يوجه سياسة بريطانيا ويقود شئونها.. وأبرق إلى هتلر - دون أن يستشير أحدًا- يقترح عليه أن يقوم بزيارته! وبالفعل طار رئيس الوزارة البريطانية ثلاث مرات إلى ألمانيا، وقد اقتنع هو ومستشاره اللورد راسيمان - بأن «فصل منطقة السوديت» عن تشيكوسلوفاكيا هو السبيل الوحيد لاقتناع هتلر الذى كان يعانى مما أسلفناه، بالعدول عن مهاجمة تشيكوسلوفاكيا!!!

وكانت المرة الأخيرة التى طار فيها رئيس الوزراء البريطانى تشمبرلين إلى ميونخ للقاء هتلر، وانضم إليه فيها ديلاديه رئيس وزراء فرنسا، وموسولينى. بينما لم توجه دعوة إلى روسيا كما لم يسمح للتشيكيين أنفسهم بحضور الاجتماعات. ولم تبلغ الحكومة التشيكية فى 28/ 9 وبعبارات جافة، إلاَّ بأن مؤتمرًا سيعقد فى اليوم التالى 29/ 9 يضم ممثلى الدول الأوروبية الأربع: بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا!

وفى سرعة هائلة - فيما يعرض تشرشل- اتفق الكبار الأربعة ووقعوا مذكرة، بقبول المطالب الألمانية، بأن يتم الجلاء عن مناطق السوديت فى خمس مراحل تبدأ اليوم الأول من أكتوبر وتنتهى فى العاشر منه، ووضعت هذه الوثيقة أمام المندوبين التشيك الذين لم يحضروا الاجتماعات، فأحنوا رؤوسهم خضوعًا وقالوا: «إنهم يريدون أن يسجلوا احتجاجهم أمام العالم على قرار لم يشتركوا فى وضعه!».

واستقال الرئيس التشيكى بنيش، وغادر بلده ليجد الملجأ فى إنجلترا!

وبدأت عجلة تقطيع أوصال تشيكوسلوفاكيا!

فلم تكن ألمانيا وحدها المتكالبة على الفريسة!

وبعثت بولندا بإنذار لمدة 24 ساعة، لتستلم فورًا «منطقة تيشين» الواقعة على الحدود بين البلدين!

وإذ لم يكن هناك سبيل لمقاومة طلب بولندا، فقد وصل المجريون يحملون ادعاءاتهم لاقتطاع جزء من الفريسة!

على أن ذلك، لم يكن كل فصول وتوابع المأساة!

هيئ لرئيس الوزراء البريطانى، المستر تشمبرلين، أن يستسلم لفكرة قفزت له، كسابقتها، فسارع دون أن يستشير أحدًا، يسأل الفوهرر الديكتاتور الألمانى عما إذا كان يرغب فى الحديث إليه حديثًا خاصًّا. كان من الطبيعى أن يهتبل هتلر هذه الفرصة، فكان أن اجتمع «الزعيمان» فى شقة هتلر الخاصة بمدينة ميونخ، صباح الثلاثين من سبتمبر 1938 ولم يرافق أيًّا منهما أحد، ولم يحضر معهما أحد إلاَّ مترجم واحد. وفى هذا الاجتماع (الخاص!) أخرج

هتلر

تشـــمبرلين الذى انفرد بقراره وفعله، قصاصة بها مسودة بيان كان قد أعده، يعلن أن «موضوع العلاقات الإنجليزية الألمانية هو أهم شىء بالنســـبة للبلدين ولأوروبا كلها، وأن الفريقين يعتبران أن الاتفاق الذى تم توقيعه بالأمس، والاتفاق البحرى الإنجليزى الألمانى، هما رمز على رغبة شـــعبيهما (كما يجرى عليه اليوم حكام العالـــم الثالث) فى أن لا يلجأ قط (على نظام آخر الحـــروب) إلى محاربة أحدهما الآخر!».

ووقع هتلر الوثيقـــة فور أن قرأها، دون ضجة ولا مناقشة ولا تردد! فماذا كان حصاد هذه الوثيقة؟

أدت، بغـــض النظـــر عـــن قدرة تشـــمبرلين الذى لا يتهمه تشرشـــل فى نواياه، على تســـويق ما استقل بقراره وفعله، فإن حصادها المؤكد كان:

• تمزق فى الرأى العام الإنجليزى، بل وبين أعضاء حزب المحافظين الذى ينتمى إليه تشـــمبرلين رئيس الوزراء رغم إجادته تبرير ما تبناه، واستقالة وزير البحرية البريطانى دافيد كوبر، الذى حافظ على كرامته واتســـق مع القرار الذى كان قد أصـــدره بتعبئة الأســـطول البريطانى، فاســـتقال فى شـــجاعة لم تبال بأنه يعارض موقف زعيمه ورئيســـه، وألقـــى - بطلاقة وارتجال - خطاب اســـتقالته فى أيام المناقشـــة الثلاثة التى دارت فى مجلس العموم حول اتفاق ميونخ!

• بعثرة الموقف الذى كان يمكن أن تتوافق عليه الدول الأوروبية المتحفظة على أطمـــاع ألمانيا النازيـــة الهتلرية، وضياع وقت بالـــغ الأهمية كان ينبغى لفرنسا وانجلترا تكريســـه للاستعداد لمقاومـــة وصد وحصار أطمـــاع هتلر التى قادت فى النهاية إلى الحرب العالمية الثانية!

• أحبطـــت الحكومـــة والشـــعب التشـــيكى، وحولت تشيكوسلوفاكيا إلى حطام!

على أن أهم هـــذه الآثار، فى نظرى وعلى ما أوضح ونستون تشرشل، أنها مكنت لهتلـــر تمكينًا تجـــاوز به كل النذر التى كانت قد بدأت تناقشـــه فى دولته، وأعطته شهادة انتصار لمنطقه وصواب تقديـــره أمام الألمان والقيادة العسكرية الألمانية العليا التى أصيبت بالخزى والخجل، حين أظهرت الوثيقة أن الفوهرر كان على حق، وأن عبقريته وإلهامه قـــد بَزَّا وحدهمـــا - تقدير القادة العســـكريين وجميع الظروف العســـكرية والسياسية المعاكسة. كان جميع الجنـــرالات الذين عارضوه من الوطنيين الصادقين، وكانوا يكرسون أنفســـهم وعملهم لقوة وصعود ألمانيا. ولكن ها هم قد أصيبوا بغصة شديدة أحســـوا بها فى قرارة قلوبهم، من أنهم ظهروا بمظهر غير اللائقين بمســـتوى الأحـــداث التى قدرهـــا الزعيم الأوحد - هتلـــر - تقديرًا فاتهـــم ولم يدركوا مراميه. ثـــم كانت الطامـــة الكبرى، أن تحول اعتراض هـــؤلاء القادة، أو معارضتهـــم - إلى نـــوع من الإعجاب بالمواهـــب الخارقة والحـــظ الخرافى للزعيم الأوحد الذى صار أخيرًا الحاكم المطلق والوحيـــد لألمانيا، ومن ثم صار الطريق مفتوحًا على مصراعيه للنهاية الدامية التى قاد العالم إليها بإشعاله نيران الحـــرب العالميـــة الثانية التى عصفت رحاها بـــأرواح مئات ملايين البشر، فضلاً عن الخراب والدمار الذى لم ينج منه حتى المنتصرون !!!

كان لافتًـــا أن يتصرف رئيس وزراء بريطانى، بأسلوب منفرد لم تجر عليه العادة فى الديمقراطيات الغربية، وأدى انفراده بقراره وفعلـــه إلى نتائج وبيلة لم تعان منهـــا دولته فقط، وإنما عانى منها العالم بأسره بعـــد إطلاق العنان - نعم بغير قصد كما شـــهد له تشرشل رغم نقده الشديد له- للديكتاتور الألمانى ليمارس جنونه المجنون، ويردى العالم فى هاوية مأساة وبيلة!!!

ثم كان لافتًا، أنه رغـــم علو موجة تشمبرلين وكثافة ما استطاع أن يكرسه لتأييد منحاه، إلاّ أن آليات الديمقراطية، وفطانة الناس، انحازت إلى الصواب فى النهايـــة، وإن كان الثمن المدفوع لحين الاستفاقة غاليًا جدًّا، ثم بقى درس آخر، لا أحب أن أتركه بغير تعليق، أن ونستون تشرشـــل، على مرارة النقد الذى وجهه إلى رئيس الوزراء البريطانى تشمبرلين، فإنه لم يتهمـــه فى مقاصده، ولم يدمغه كما يفعل السفهاء بالخيانة، بل أطرى شجاعته فى الخطاب الذى ألقاه بمناسبة وفاته بعد عامين مـــن تداعيات فصول هذه المأساة.

تتكرر المآسى بحكم أشـــياء كثيرة، ولكـــن تبقى القدرة عـــلى تجاوزها أو تجاوز آثارها وتوابعهـــا، إذا انتصرت الفطنة والمصلحة العامة، واســـتقامت النوايا والمقاصد، وصحت العزائم وقادت الأمور فى الاتجاه الصحيح!

لمحات من تجربة شنغهاى فى جذب الاستثمارات

إن التنمية القوية والسريعة التى تتم فى مصر الآن تذكرنى بالتغير المستمر فى مدينة شنغهاى فى أوائل القرن الحالى، ولذا أعتقد أنه لاتزال هناك طرق وسياسات لجذب الاستثمارات الأجنبية، اتبعتها تجارب دولية مختلفة، ويمكن أن نستفيد منها مثل التجربة المذهلة لمدينة شنغهاى فى الصين، التى تعتبر مع المحافظات الثلاث المجاورة «رأس التنين» والقاطرة الرئيسية للاقتصاد الصينى.

وضع معهد التخطيط القومى المصرى «رؤية مصر 2030» بناء على ما أسفر عنه مؤتمر دعم وتنمية الاقتصاد المصرى الذى عقد فى شرم الشيخ فى مارس 2015، وبناء على دراسة تجارب التنمية فى الهند والإمارات وزامبيا والكويت وسنغافورة وماليزيا ودول أخرى، وتهدف هذه الرؤية إلى تخطيط وتحقيق تنمية مستدامة بالتركيز على عشرة محاور للتنمية، وهى المحاور الجارى العمل على تنفيذها الآن. وأهم المشاكل التى يواجهها تنفيذ هذه التنمية هو احتياج الاقتصاد المصرى إلى استثمارات ضخمة لتمويل كثير من المشروعات الضخمة التى انطلقت خلال السنوات القليلة الماضية.

ومن أبرز الإجراءات التى تقوم بها الحكومة المصرية لمواجهة مشكلة التمويل هى:

- قيام القوات المسلحة بالتعاون مع شركات القطاع العام والخاص بإقامة بنية تحتية جديدة وتحسين البنية الموجودة.
- تشجيع مشروعات الاستثمار المتوسطة والصغيرة.
- محاولة زيادة الدخل من قناة السويس والسياحة وعوائد الصادرات، وإيجاد مجالات استثمار داخلى للمصريين الذين يعيشون فى الخارج.
- استخدام الضرائب فى الحد من الاستيراد والاستهلاك وتشجيع الإنتاج من جانب، ومحاولة جذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية، ولذا صدر قانون جديد للاستثمار فى عام 2015.

وفيما يلى أهم ملامح سياسة جذب الاستثمارات الأجنبية فى شنغهاى والتى لاحظتها أثناء خدمتى هناك «1999 – 2003» ولاحظتها فى زيارة سريعة إلى المدينة منذ حوالى ثلاثة أعوام، والتى حصلت بها هذه المدينة من الاستثمارات الأجنبية على ما بين سبعة وعشرة مليارات دولار كل عام على مدار الثلاثين عاماً الأخيرة.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

قانون الاستثمار

أهم ملامح قانون الاستثمار الصينى:

- وضع القانون حداً أدنى لرأس المال المستثمر 10 ملايين دولار أمريكى وذلك لضمان جدية الاستثمار الأجنبى.
- استخدام جاذبية السوق الضخم «4.1 بليون نسمة» لغرض نقل التكنولوجيا وتدريب العمالة وتوطين الصناعات.
- فتح مجالات محددة تدريجياً للاستثمار الأجنبى، وتحتكر الدولة المجالات التى ترى أنها ذات أهمية إستراتيجية أو تتعلق بالأمن القومى.
- تشجيع العمل بصيغة الشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص (ppp). وهنا لابد أن أشير إلى أنه عندما زرت شنغهاى عام 1990 لم يكن بها أى أبراج، بينما حين وصلتها للعمل عام 1999 كان عدد الأبراج (سكنية أو لشركات أو فنادق) فيها التى تزيد عن أربعين طابقاً حوالى30 ألف برج!!! وعلمت وشاهدت أيضاً أن الفترة منذ إخلاء الأرض إلى بدء تشغيل برج من الأبراج لا تستغرق سوى عامين فقط (سرعة الإنجاز)، وكثيراً ما كانت المحليات تشارك بنسبة معينة مع المستثمر فى رأس المال لتشجيعه وبعد الانتهاء من إقامة البرج وتشغيله تقرر إما الاستمرار أو بيع حصتها للمستثمر إن أراد أو بيعها لمستثمر آخر (الأرض فى الصين ملكية عامة ويعطى المستثمر حق انتفاع لمدة محددة طويلة نسبياً تتراوح بين49 و99 عاماً.
- فتح الباب أمام مختلف محافظات الصين ومدنها للتنافس فى جذب الاستثمارات، وذلك بتحديد ضرائب تحصل بموجب القانون لصالح الحكومة المركزية، بينما تعطى الحرية للمحافظات والمدن فى تحديد نسبة الضرائب المحلية لتمويل إعداد وإدارة المناطق الاقتصادية والمناطق الحرة.
- إعفاء الشركات من الضرائب فى حالة اتخاذها مدينة صينية كمقر رئيسى لها، أما فروع الشركات التى مقارها الرئيسية فى الخارج فلا تعفى من الضرائب، مما يشجع الشركات الأجنبية على نقل مقارها الرئيسية إلى الصين، وما يستتبعه من فوائد جمة للاقتصاد فى المدينة الصينية.
- التركيز على القطاعات الإنتاجية خاصة الموجهة للتصدير، وتشجيع الاستثمارات المشتركة مع الشركات والهيئات المحلية.

وجدير بالذكر أن التنافس بين المحافظات والمدن على جذب الاستثمارات يجعل المستثمر يفكر فى المفاضلة بين ما تعرضه عليه المحافظات، ولا ينصرف إلى التفكير فى الاستثمار فى دولة أخرى.

الاستعداد الإدارى

- هناك إدارات للاستثمار فى كل محافظة ومدينة صينية، بها موظفو استثمار متخصصون ومدربون.
- يتوافر مترجمون بين الصينية وجميع لغات العالم تقريباً تم تعليمهم وتدريبهم فى معاهد وجامعات متخصصة على مر أجيال منذ إعلان قيام جمهورية الصين الشعبية فى عام 1949.
- جهزت مناطق استثمارية ومناطق تكنولوجية ومناطق حرة يسهل الوصول إليها بالطرق والمواصلات ومزودة بما يسمونه «التوصيلات العشر» أى: المياه – الكهرباء – الصرف الصحى – التليفونات

- الإنترنت - كابلات التليفزيون - تكييفات الهواء - مياه الإطفاء - الطرق الأسفلتية - المواصلات العامة).

- تعد «دراسات جدوى تفصيلية» عن كل مشروع فى كل مدينة يتضمن بيانات شاملة عن رأس المال المطلوب، واسم الشريك المحلى إن وجد، ونسبة المشاركة، والنسبة المتوقعة للأرباح وفقاً لسنوات إقامة المشروع والانتهاء منه، ومدى توافر العمال ومتوسط أجورهم، ونسبة الضرائب المركزية والمحلية.. إلخ، وكل هذه البيانات تطبع فى دليل ضخم أو على إسطوانات تتضمن كافة مشروعات المدينة.

نماذج من إجراءات جذب الاستثمار

قامت حكومة شنغهاى بنوعين رئيسيين من الإجراءات الأساسية لكى تجذب الاستثمارات الأجنبية، وهى إجراءات فى المدينة والمحافظة لإعلاء صورة المدينة، وإجراءات لجذب التواجد الأجنبى والاستثمارات إلى المدينة.

وفيما يلى بعض نماذج الإجراءات التى قامت بها:

1 - منعت حكومة شنغهاى عادة التفل السيئة فى الشوارع والأماكن العامة، وفى غضون أسبوع اختفت هذه العادة تماماً فتحسنت الصورة العامة للمدينة وسكانها(إيماناً بأهمية سلوك المواطن وصورته فى جذب الاستثمار).

2 - تم تحديث سيارات الأجرة التى كانت قديمة ومتهالكة وتم استبدالها بسيارات جديدة بيضاء وتدريب السائقين على أعلى مستوى فى التعامل مع الركاب المحليين والزائرين (وقد نقلت التجربة بالكامل إلى الوزارة للاستفادة بها فى مصر «ربما مشروع التاكسى الأبيض»).

3 - فى ميدان الشعب بشنغهاى يوجد مبنى الحكومة المحلية «البلدية» وبه معرض يضم فى الدور الأرضى نموذجاً ضخماً مجسماً يمثل مدينة شنغهاى وتطورها وصورتها فى عام 2020 «أى قبل 20 سنة من الوصول إلى عام 2020» وفى هذا النموذج المجسم تظهر الطرق والكبارى والجامعات والمدارس والمستشفيات ومجموعات الأبراج السكنية وغيرها من المشروعات التى يرون أن المدينة تحتاجها ومفتوحة للاستثمار، وهكذا يمكن للزائر والمستثمر أن يرى صورة مبهرة ومجسمة وملونة للمدينة فى المستقبل بناء على المخطط التنموى لها.

منطقة بودونج الجديدة فى شنغهاى

4 - حسنت حكومة شنغهاى من أداء السوق المحلى والذى بالطبع يتعامل مع شركات الاستثمار أيضاً، فقامت بإنشاء شركات حكومية تقدم الاستشارات للشركات الخاسرة أو تغير إدارتها بتعيين مديرين أكفاء ذوى خبرة فى مجالها أو دمجها مع شركات أخرى أو بيعها أو إعلان إفلاسها وتصفيتها، وذلك لتسهيل توفير سلاسل تغذية أو تصريف وتوزيع للتعامل مع شركات الاستثمار الأجنبية والمختلطة بكفاءة.

5 - قامت حكومة شنغهاى بتحديث قوانين بورصة شنغهاى وشروط التسجيل فيها، وربطها ببورصات عالمية أخرى حتى أصبحت بورصة شنغهاى على كفاءة عالية فى اجتذاب التعامل فى الأسهم والسندات والأوراق المالية لحشد الاستثمارات المحلية والأجنبية.

ومن ناحية أخرى شجعت الشركات الصينية على التسجيل فى البورصات العالمية الأخرى مثل هونج كونج والبورصات الأمريكية والإنجليزية، وهكذا تداخل الاقتصاد الصينى «باعتبار شنغهاى أكبر المدن الصينية المنتجة» فى الاقتصاد العالمى وقد ساعد على ذلك حينئذ انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية.

ويلاحظ أنه فى العام الماضى حاولت إدارة الرئيس دونالد ترامب شطب شركات صينية من البورصات الأمريكية بسبب ما اعتبرته خرقاً من جانب الصين للممارسات السليمة، وقد اعتبر البعض هذه المحاولة اتجاهاً أمريكياً لفصل تداخل الاقتصاد الصينى مع الاقتصاد الأمريكى وللحد من تأثير الاقتصاد الصينى على الاقتصاد الأمريكى.

6 - قامت هيئة الاستثمار فى شنغهاى بإرسال وفود لزيارة بعض الشركات العالمية الكبرى أو المتوسطة التى تهتم بنوع معين من المشروعات مثل إقامة مجمع سيارات أو بناء ناطحة سحاب أو كوبرى على نهر مثلاً وعادة ما تسفر هذه الزيارات عن النجاح فى إقناع الشركات الأجنبية بدخول المناقصات أو الموافقة على تمويل المشروع أو جزء منه والمهم هو «مخاطبة أو الذهاب» إلى المستثمر المحتمل و«عدم انتظار أن يكتشف بنفسه» وجود مشروعات مهمة أو مفيدة له فى الصين.

7 - أنشأ عمدة شنغهاى مجلساً استشارياً من كبار المستثمرين الأجانب فى المدينة ويعقد اجتماعاً سنوياً لهذا المجلس لمدة ثلاثة أيام، توجه فيه الدعوة إلى رئيس الشركة أو مديرها العام فقط لزيارة شنغهاى وحضور الاجتماعات، وتتحمل حكومة شنغهاى كافة تكاليف السفر والإقامة فى أفخم الفنادق، ويعرض العمدة على الحاضرين ما تم إنجازه فى المدينة خلال العام المنصرم مستعيناً بالخرائط والأفلام والزيارات الميدانية لمن يرغب، ويناقش هو وفريقه من المتخصصين رأى المستثمرين فى نمو المدينة واقتصادها، وما لديهم من أفكار كما يذلل العقبات التى يشتكى منها المستثمرون، وفى أحيان كثيرة يتطوع المستثمرون باقتراح حلول للمشاكل بل والمشاركة باستثمارات جديدة سواء فى مشاريع المدينة أو يعربون عن استعدادهم للقيام بمشروعات جديدة غير موجودة فى خطط المدينة لإنجاح أو استكمال المناخ والبنية اللازمين للمشروعات الموجودة.

لمحات من تجربة شنغهاى فى جذب الاستثمارات

وقد نقلنا هـذه التجربـة المفيدة إلى مصر وطرقها السـيد محافظ الإسكندرية فى ذلك الوقت، ولكن اكتفى بإنشاء مجلس استشـارى من رجال الأعمـال المصريين فى الإسـكندرية. والأمـل أن تطبق الفكرة مع المسـتثمرين الأجانـب فى العديد من المدن المصرية لـلإسراع بنهضتها وجذب الاستثمارات الأجنبية.

8 - بدأت شنغهاى فى عام 1999 بإقامة عدد من المهرجانات العالميـة المنتظمة فى مجالات عديدة «الفنون، السياحة، السينما، الرياضة.. إلخ» ولحسـن الحظ استطاعت مصر أن تشـارك فيها منذ بدايتها، كذلك عقدت حكومة الصين مؤتمرات سياسـية واقتصاديـة فى المدينـة «اجتماعات أبك، مجموعة شنغهاى، مجموعة بريكس، قمة شرق آسيا.. إلخ» مما أعطى العالم صورة إيجابيـة عن مدينة متطـورة لها جاذبية تجمع بين التقاليد الصينية ومظاهر الحداثة حتى أن البعـض يقارنها بنيويورك ولندن وباريس رغم قصر فـترة النهضة الحديثة السريعة مقارنة بتلك المدن العتيقة.

9 - اسـتضافت شـنغهاى المؤتمـر السنوى لمجلة فورتشن (من أشهر مجلات الاقتصاد العالمية) فى عام 2002 لأكبر 500 شركة فى العالم، وكان التنظيم مبهراً، وبعد أن كان هنـاك 70 شركـة عالمية تعمل فى مدينة شنغهاى ارتفع العدد إلى 145 شركة فى العام التـالى للمؤتمر من بين أكبر 500 شركـة فى العالم، ولابد أن هذا العدد قد زاد كثيراً منذ عام 2004.

10 - فى عام 2000 عقد مكتب خارجية شـنغهاى (من فـروع وزارة الخارجية الصينيـة فى المحافظـات) اجتماعاً لممثلى القنصليات فى شـنغهاى لطلب تأييد إقامة معرض اكسـبو 2010 فى المدينة وبمجرد الفوز فى عام 2002 بتنظيم المعرض العالمى بدأت مناقشة الاسـتعدادات والتسهيلات، وفى اجتماعات عديدة تم تخصيص الأماكن والمسـاحات عـلى الخرائـط وغيرها من التفاصيل أى أن المدينة بدأت استعداداتها لإقامة المعرض قبل عشر سنوات من إقامته بالفعل.

كان موضوع المعرض التنمية المستدامة فى الحضر تحت عنوان «مدينة أفضل، حياة أفضل» وشـارك فى المعرض الذى يقام كل خمس سنوات فى إحدى المدن العالمية 192 دولـة، وهذا أكبر رقم للدول المشـاركة فى أى معرض عالمى حتى الآن، وكذلك سـجل المعرض أكبر عدد من الزوار إذ بلغ عددهم أكثر من 73 مليون زائر.

وقد شـاركت مصر بجنـاح صممته المعمارية الشـهيرة زها حديـد، وتضمن قسـمين عن التاريخ المصرى وعن مدينة القاهرة المتجددة.

اسـتمر المعرض لأطول فترة مسموح بها وهى ستة شهور، وتحولت بعده بعض الأجنحة إلى معارض دائمة للدول المشاركة «للأسف لم تواتنى فرصة زيارته» وغطى الإعلام العالمـى حفل الافتتـاح والختام المبهرين، فيما أثنى المشاركون على تخطيط المعرض وعلى تقدم مدينة شنغهاى ووسائل ومستوى المعيشة فيها.

11 - تعقد كثير من المدن حول العالم ومنها شنغهاى اتفاقات تآخى أو توأمة مع مدن أخرى حول العالم. واتفاقات التآخى هى اتفاقات بسـيطة تقوم عـلى التفاهم والتبادل وعلى أسـاس وجود تشـابه بين مدينتين أو محافظتـين «أو حتى قريتين أحياناً» مثل وجود نهر أو الإطلال على بحر أو الاشـتراك فى حدث تاريخى أو الاشتهار بصناعة أو حرفة معينة.. إلخ.

هـذه الاتفاقات تسـهل وتنظم تبادل الوفود الرسـمية ورجال الأعمال والوفود الشعبية، وتقيم قنوات اتصال بين مسئولى المدينتـين أو المحافظتين ممـا يتيح لهما عند تبـادل الزيارات الاطـلاع على التقدم بالمدينـة والأفكار الجديـدة التى تطبقها وأحدث المشروعـات وتحـاول المدينتان تدعيم علاقتهمـا عن طريق التبادل الثقافى والسياحى والاسـتثمار. وهكذا أصبحت هـذه الاتفاقات أحد أهـم أدوات التطوير والتجارة والاسـتثمار فى العالم. ولحسن الحظ فإن للمدن المصريـة عدداً كبيراً من اتفاقات التآخى والتوأمة التى تحتاج أحياناً إلى تنشيطها للاستفادة من تأثيراتها خاصة جذب السياحة والاستثمارات.

عقدت شـنغهاى اتفاقـات مع حوالى 66 مدينة حول العالـم. ويجدر هنا ذكر أنه توجد اتفاقية تآخى بين الإسـكندرية وشـنغهاى منذ عـام 1992 ومن خلالها عقدت اتفاقية تآخى بين مكتبة الإسكندرية ومكتبة شنغهاى فى عام 1999.

12 - اجتذبت شـنغهاى تمثيلاً أجنبياً كثيفاً وبعض المنظمات فقد أصبحت مقراً لبنك التنمية الجديد الذى أنشأته مجموعة بريكس، كما وصل عدد القنصليات الأجنبية فى شنغهاى إلى واحد وسبعين قنصلية عامة وخمس قنصليـات حتى عام 2020 وكلها مصادر دخل كبير وتنشيط لاقتصاد المدينة. تقـوم هذه الهيئات بدعم تعـاون بلدانها مع محافظة شـنغهاى وبعض المحافظات الأخرى.

وتثبت التجربة أن القنصليات المصرية فى الخـارج خاصـة فى المـدن التجارية والصناعيـة الكـبرى تنشـط العلاقات الاقتصادية، وتحصل دخلاً كبيراً لمصر ولذا فإن الاسـتثمار مسـتقبلاً فى قنصليات فى مدن مثل تورنتو أو سـاو باولو أو سانت بطرسبرج أو جوانجو أو مدراس أو مراكز الاسـتثمار مثل برونای أو غيرها من المدن أو الـدول يمكن أن تفيـد مصر فى جذب الاستثمارات منها.

خاتمة

يمكن أن نلخص الفكرة الأساسـية فى الاسـتفادة من تجربة جذب الاستثمارات إلى شنغهاى فى أنه تجب المبادرة بالاتصال بالشركات الكـبرى والمتوسـطة الدولية (ولهـذا أيضاً يصطحب رجـال الدولة فى زياراتهم الأجنبية رجال الأعمال المحليين)، وعرض المشروعات عليهـا والإجابة على ما تطرحه من استفسـارات تتعلق بالمشروع، «وعدم انتظار» أن يعرف المستثمر الأجنبى بفرص الاستثمار فى مصر، وتوفير مناخ من الأنشطة الدولية المتنوعة والمبتكرة التى تبرز قدرة مصر على التنظيم الدقيق، وهو ما تم منه الكثير خلال الأعوام القليلة الماضية، كما أن نجاح بعض المشروعات المبكرة سـوف يجذب المزيد من المستثمرين.

ورغم اتجاه معدلات الاستثمار العالمى إلى التراجع منـذ الأزمة الاقتصادية العالمية فى عام 2008 فإنه مـن المتوقع أن تتزايد مـرة أخرى فى أعقاب النجـاح فى مواجهة الكورونا.

وبجانـب مـا سـبق يلـزم لجذب الاسـتثمارات تحقيق الأمن والاسـتقرار، وتحسين المعيشـة فى المدن الهادفة لجذب الاسـتثمارات وصورتها العامة. وهذا ما يحـدث حالياً فى ربوع مـصر حيث تصل عمليـة التحسـين والتنميـة والتحديث والابتكار إلى قطاعـات عديدة، مما أدى إلى حل أو حلحلة العديد من المشكلات المزمنة، وإلى وضع أسس انطلاق الاقتصاد المصرى.

نهرٌ مبارك الغَدَوَات ميمونُ الرَّوْحَات

مدبولى عتمان

مدير مركز الوعى العربى للدراسات الاستراتيجية

إذا كان المؤرخ هيرودوت قال « إن مصر هبة النيل »، فإن النيل لم يجد شعباً يعشقه إلى حد التقديس مثل الشعب المصرى اعترافاً بأهميته كشريان للحياة. وتشهد على ذلك الوثائق التاريخية قديماً وحديثاً. فقد عثر على ورقة بردى عند مقبرة أحد موتى قدماء المصريين مكتوب عليها: «إنك أيها الراحل فى لحد الخلود، سيفيض عليك النيل فى مضجعك الأخير أثرًا من بركاته». مما يؤكد أنهم كانوا يقدسون النيل لكونه السبب الفعال فى صيانة أرواحهم من مهالك القحط والجدب، وانتشار الفاقة واستحكام الضيق.

وجاء فى كتاب (النيل فى عهد الفراعنة والعرب) لمؤلفه أنطوان زكرى: «ذُكر فى كتاب الموتى: إن النيل مولود من رع أى الشمس التى هى أكبر الآلهة عند المصريين القدماء، وكانوا يقدمون للنيل بعض اعتبارات كالعبادة ويسمونه «حعبى» أى الإله المقدس». وأضاف زكرى فى كتابه أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن: «النيل فيض من البركات الإلهية، يتنزل من السموات العلا إلى عالم الأرض، فيكون منها الرغد والسخاء وصلاحية الأرض لكل نبات يحتاجه الإنسان فى أدواره المعاشية».

وتؤكد الوثائق أن المصريين القدماء كانوا يعتبرون تلويث النيل أو تعويق جريانه يعد ذنباً يمنع رحمات الآلهة وسجلت على حوائط بعض المعابد الاعترافات الإنكارية للمصرى القديم تقول: «أنا لم ألوث ماء النهر... لم أمنع الفيضان فى موسمه... لم أقم سداً للماء الجارى».

ويجمع المؤرخون أن النيل هو الذى ألهم المصريين القدماء بالتقويم السنوى وأطلقوا عليه اسم «تقويم النيل». ويقول العالم الفرنسى نيقولا غريمال فى دراسة بعنوان «تاريخ مصر القديم»: «كانت نقطة الانطلاق لتحديد بداية العام الجديد هى قياس ارتفاع منسوب مياه فيضان النيل ويتفق تماماً مع ظهور نجم الشعرى اليمانية، وأحصى الفلكيون المصريون عدد الأيام بين كل ظهور للنجم فوجدوها 365 يوماً، وقسموها إلى 12 شهراً».

وأضاف نيقولا أن المصريين القدماء قسموا السنة إلى ثلاثة فصول تحددت بناء على أحوال النيل: «آخت» وهو فصل الفيضان وبذر البذور، و«برت» وهو فصل النمو، ويوازى فصل الشتاء، و«شمو» فصل الحصاد.

ووصف القائد المسلم عمرو بن العاص فاتح مصر النيل بأنه مبارك.

فنشر الكاتب الألمانى إميل لودفيغ فى كتابه (النيل: حياة نهر) نص رسالة عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جاء فيها: «اعلمْ يا أمير المؤمنين أن مصرَ تربة غبراءُ، وشجرةٌ خضراء، طولُها شهرٌ وعرضها عشرٌ، يكتنفها جبلٌ أغبر، ورملٌ أعفر، يَخُطُّ وَسَطَها نهرٌ مبارك الغَدَوَات ميمونُ الرَّوْحَات، يَجرى بالزيادة والنقصان كجَرْى الشمس والقمَر له أوانٌ».

وفى العصر الحديث ارتبطت حياة المصريين بالنيل فى أوجه كثيرة وأنشدوا فيه أفصح الأشعار وأجملها حتى حافظ إبراهيم أحد عمالقة الشعر فى مصر لقب بشاعر النيل، وتغنى به كبار المطربين المصريين من عبدالوهاب وأم كلثوم ونجاة الصغيرة وغيرهم، وصوروا فى مياهه وعلى ضفافه أشهر الأفلام والمسلسلات منها فيلم «ابن النيل» و«صراع فى النيل» وغيرها مما يضيق المجال هنا لذكرها.

وارتبطت أحلى الأوقات فى حياة المصريين بالنيل. فأفضل مكان للنزهة يكون على كورنيش النيل أو ركوب المراكب والتجول فى مياهه، وكانت ضفافه أماكن التقاء المحبين والعشاق.

ولخص الدكتور مصطفى الضبع أثر النيل فى حياة المصريين فى دراسة بعنوان (النيل فى الشعر العربى الحديث - قراءة تأسيسية) قائلاً: «ساهم الوجود التاريخى للنيل فى تشكيل وجدان الشخصية المصرية، متداخلاً فى كثير من سياقات حياته الاجتماعية والسياسية والنفسية، لنجد صداه فى فنون النظم المختلفة: شعر الفصحى - شعر العامية - الأغانى». وأضاف الدكتور الضبع: «فى رحلة بين دواوين الشعر العربى فى العصر الحديث أسفرت عن قرابة 400 قصيدة وقرابة عشرين ديواناً عن النيل».

فالنيل لم يلهم الشعراء والعشاق والفنانين فقط بل إنه ألهم كل الطوائف المصرية. وكتب أحد كبار الدبلوماسية المصرية رسالة إلى ابنه قال فيها: «لقد علمنا النيل وألهمنا، أن المجرى رغم مشاق السير وطول الرحلة، يبقى نبع رقراق أبدى دافق».

وانطلاقاً من قدسية النيل وأهميته فى حياة المصريين حرصوا على تتبعه جنوباً لاكتشاف منابعه والعمل على تأمينها سواء من خلال السيطرة عليها أو بناء صلات قوية مع المحيطين بتلك المنابع.

وتشير الوثائق إلى قيام المصريين القدماء برحلات كشفية وحملات متوالية لكشف القارة الإفريقية منذ عهد الأسرات القديمة، ولكنها تزايدت ونشطت كشوف منابع النيل فى عصور الأسرات الفرعونية الأخيرة عام 2500 قبل الميلاد. ومن أشهر رحلاتهم رحلة القائد العسكرى حرخوف فى عصر الأسرة السادسة فى ظل حكم مرن رع. والرحلة التى نظمت فى عصر الملكة حتشبسوت، وقد سجلت تفاصيل تلك الرحلة على جدران معبد حتشبسوت بالأقصر. أما أول محاولة بشرية معروفة فى التاريخ للالتفاف حول القارة الإفريقية فقد أرسلها الملك نخاو الثانى فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد. وسارت القافلة بمحاذاة شاطئ القارة الإفريقية حتى أقصى جنوبها، ثم صعدت السفن شمالاً بمحاذاة الشاطئ الغربى للقارة لتعود إلى الشواطئ المصرية على البحر المتوسط ومنها إلى النيل.

وقد استمرت الحملات المصرية لاستكشاف وحماية منابع النيل فى العصر الحديث. وذكر رفاعة الطهطاوى فى كتابه (مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية) أن محمد على أرسل فى ظرفِ أربع سنوات ثلاثَ حملات متوالية، كانت الحملة الأولى فى عام 1839. وأكمل تلك الحملات حفيده الخديو إسماعيل وكانت آخر حملاته عام 1876 بقيادة البكباشى أحمد عرابى.

واهم من يتخيل أن المصريين يمكنهم التنازل عن قطرة مياه من شريان حياتهم.

مصر والصين نموذجا

فى إطار محاولتى اقتراح بعض الأفكار والخبرات، من واقع خدمتى الدبلوماسية فى أديس أبابا ولندن وبروكسل وموسكو وغيرها، للمساهمة فى مشروع عملية التحديث وبناء مصر الحديثة وبناء الدول العربية والإفريقية والإسلامية وغيرها فى كافة المجالات، وما قدمته فى إطار رؤيتى الشخصية بشأن أسس عملية البناء وأهدافها وآلياتها فى مصر فى مقالات متعددة، وقمت بعرض كيفية الاستفادة من تجارب العديد من الدول ومن ذلك التجربة الهندية وتجربة سنغافورة، وتجربة ماليزيا ودول مجموعة البريكس وغيرها أخذاً فى الاعتبار أن لكل دولة خصوصيتها وأن عملية التقدم ليست روشتة تصلح لكل دولة.

فى رأيى أن ذلك يتم فى إطار:

- أهمية وضع إطار فكرى مرجعى يحظى بالرضا والتوافق والمنطلقات الفكرية اللازمة فى هذا الصدد.
- وضع الأسس اللازمة لحكم القانون والعدالة والتطبيق اللازم.
- منظومة إنسانية الإدارة.
- دور أساسى لمؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية.
- إيلاء دور للمؤسسات العامة.
- تشجيع قيام قطاع خاص وطنى قوى.
- أهمية العمل لقيام قطاع أهلى يتكون من العديد من المنظمات غير الحكومية التطوعية التى لاتهدف للربح والأخرى التى تحمل صفة النفع العام وفقاً لقوانين الحكم المحلى.
- الاهتمام بعمليات بناء الإنسان والشباب وكبار السن والطفولة وآليات التواصل فيما بينها ورقيها.
- أن يتم الأخذ فى الاعتبار أن عملية البناء الداخلى تتم فى إطار بناء القوة الشاملة والعملية الديمقراطية والدولة المدنية ووسط سياسة خارجية متوازنة فى دوائر متنوعة ومهمة: العربية والإفريقية والأمريكية والآسيوية والأوروبية.
- أنه فى هذا الإطار يلاحظ الاهتمام على مستويات مختلفة بدعم العلاقات بين مصر والصين فى كافة المجالات ومن مؤشرات ذلك:
- مقابلات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى مع الرئيس الصينى عدة مرات وهذا التحرك المصرى نحو الصين يكتسب أهمية كبيرة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً.
- كما أنه يلاحظ أن الانفتاح على العالم يأتى فى ضوء نجاحات التحرك الدبلوماسى المصرى عربياً وإفريقيًا حيث تولى السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى الرئاسة الدورية للاتحاد الإفريقى عام ٢٠١٩، وآسيوياً وأوروبياً فضلاً عن التحرك المتواصل صوب واشنطن بهدف توثيق عرى المصالح الإستراتيجية الوطيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

سفير د. يوسف الشرقاوى
yelsharkawy@yahoo.com

أهمية التجربة الصينية تتضح فى الآتى :

أولاً - قدرة هذه الدولة العظيمة على امتلاك كافة مقاييس القوة العظمى ومعاييرها خاصة القيادة والسيطرة وبما فى ذلك القوة الناعمة والتلاحم بين القيادة والشعب فى الداخل الصينى والانتشار التدريجى إقليمياً ودولياً.

ثانياً- اتباع نهج الإدارة الرشيدة بكافة أبعادها خاصة وفقاً للتعريف الذى وضعه برنامج الأمم المتحدة للتنمية ومكافحة الفساد والحفاظ على قوة الدولة وإعلاء قيم المواطنة.

ثالثاً- القدرة على الانفتاح السياسى وعلى الاقتصاد العالمى خاصة منذ السبعينيات وإحداث عملية نمو اقتصادى حوالى تسعة فى المائة سنوياً فى العقود الثلاثة الماضية وأصبحت الصين ثانى أكبر قوة اقتصادية فى العالم.

رابعاً- الإطار المرجعى الفكرى المتجدد فى الصين والوعى بدقة على كافة المستويات الدبلوماسية والتعليمية والإعلامية والثقافية والأمنية والعسكرية.

خامساً- إيلاء أولوية للبحث العلمى والطبى والرقمنة والتكنولوجيا والاتصالات والطاقة الذرية والفضاء.

ومن المثير للدهشة أن الناتج المحلى الإجمالى الصينى فى يوم واحد من عام ٢٠٠٨ يوازى حجم الناتج المحلى للصين فى السنة قبل ثلاثة عقود وتحقيق فائض مالى كبير ويشترون قطاعاً كبيراً من السندات فى الخزانة الأمريكية.

كما تشهد الصين حالياً نهضة صناعية وزراعية وطبية وعسكرية فضلاً عن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الأمر الذى قد يجعلها القوة الاقتصادية عالمياً قريباً خلال حوالى خمس سنوات والقوة العظمى عسكرياً على صعيد توازن القوى الثنائى على مستوى العالم فى حوالى عام ٢٠٢٥ على ضوء متابعتنا لعملية الاتفاق العسكرى الصينى والأمريكى فى الفترة الحالية وبضع سنوات ماضية.

إن هناك عوامل متوفرة لدى مصر والصين تساعد على دعم التعاون فى كافة المجالات خاصة الاقتصادية والثقافية ومن ذلك:

- أن الدولتين تتمتعان بحضارة عظيمة تضرب جذورها وأعماقها عبر التاريخ وتمتد حتى الآن وتمثل قوة ناعمة لنهضتيهما وتوثيق عرى الصداقة بينهما.
- أن من عوامل التشابه المفيدة للبلدين وجود سوق كبير ويتميز السوق المصرى بأنه الطريق إلى إفريقيا والدول العربية والآسيوية وتوفر العمالة الرخيصة الماهرة والخبرات المتنوعه فى البلدين.
- كما أن مصر توفر تسهيلات للاستثمار وتعتبر سوقاً جاذبة للاستثمارات فى البنية التحتية خاصة فى العاصمة الإدارية الجديدة وتكنولوجيا الاتصالات والسياحة واستخراج وتكرير البترول والغاز وتشييد السكك الحديدية ومترو الأنفاق وغير ذلك.

يمكن الاستفادة من التجربة الصينية فى إطار توثيق عرى الصداقة بين البلدين مصر والصين وتدعيم العلاقات فى كافة المجالات من خلال الآتى:

1 - أهمية عقد دورات تدريبية للتعريف بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة.

2 - أهمية زيادة الناتج القومى الإجمالى والدخل للفرد والأسرة والأدوات التكنولوجية الحديثة لتسييرها. وإلزام الشركات الكبرى بتوفير الدعم المناسب للمشروعات الصغيرة

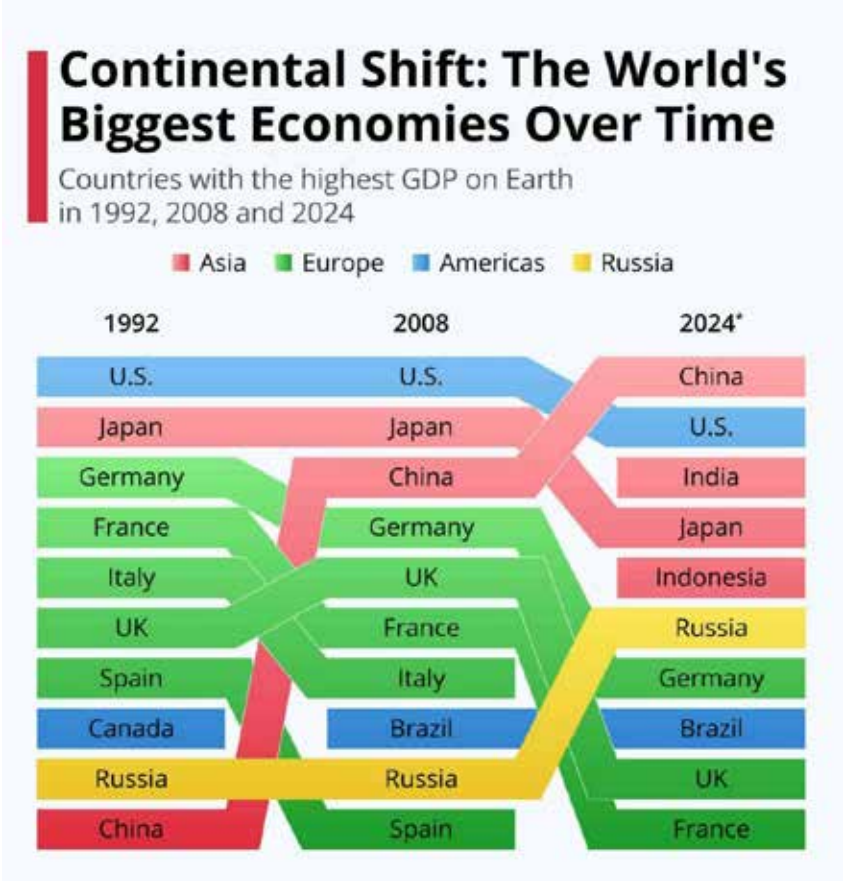

خاصة من خلال تخصيص نسبة من أعمالها للشركات الصغيرة والمتوسطة وإقامة نظام المشاركة معها خاصة فى قطاع أعمال البناء والإنشاءات والتشييد. وفى هذا الشأن فيسعدنى أن أشيد بما ذكره السيد الوزير الأسبق ثم رئيس أسبق للوزراء المهندس/ إبراهيم محلب وزير الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية الأسبق أن تنفيذ العديد من المشروعات فى هذا الإطار سوف يتم إسناده للشركات المتوسطة والصغرى ولن تكون مقصورة على شركة المقاولون العرب العملاقة والتى تقوم بدور متميز فى عمليات التشييد والبناء فى الدول الإفريقية والعربية وليس داخل مصر فقط فى العاصمة الإدارية الجديدة وربوع مصر وينبغى أن يتم الاستفادة والاقتداء بهذا النموذج فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الأخرى فى مصر.

3 - أنه يجب أيضاً البناء واستثمار العلاقات التاريخية بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة العربية الإسلامية من جانب والحضارة الصينية وأن ما يعزز ذلك هو ما ذكره رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حول الاعتراف بأهمية العلوم الصينية حيث قال: «اطلبوا العلم ولو فى الصين» هذا إلى جانب الصلات والروابط بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة الصينية والروابط التجارية بين الجانبين من خلال طرق التجارة والعبور عبر مصر إلى إفريقيا وأوروبا وغير ذلك خاصة طريق الحزام والحرير.

4 - اشتراك الجانبين فى مصلحة مشتركة لإقامة نظام تجارى عادل وإحداث ديمقراطية عادلة فى العلاقات الدولية سياسية واقتصادية.

5 - إن تدعيم العلاقات فى هذا الشأن والاستفادة من التجربة الصينية يمكن أن يتم من خلال توسيع الجامعة الصينية الحالية فى مصر وفتح جامعة صينية كبيرة فى مصر وفقاً للقواعد القانونية المنظمة لذلك فى وزارة التعليم العالى وأن تكون المواد الدراسية معترفاً بها من وزارتى التعليم فى مصر والصين ويكون سوق العمل المصرى فى حاجة لتخصصات محددة بها ويمكن أن ترتبط تلك الجامعة بالشركات المصرية - الصينية العاملة فى مصر وتكون مجالاً خصباً للتدريب ولتشغيل الدارسين فيها.

6 - تشجيع التبادل الطلابى وبين الأساتذة والمختصين فى شئون البحث العلمى والتكنولوجيا والطبية والثقافية والأمنية والمجالات العسكرية والدبلوماسيين بين مصر والصين.

7 - أهمية فتح فرع لجامعة القاهرة فى الصين لدراسة اللغة العربية وآدابها والعلوم المختلفة فى هذا الشأن والتجارة والسياحة لمصر وفنون العمارة وبناء علاقة مع المسلمين فى الصين على أساس أنهم جزء من النسيج الوطنى الصينى والنهضة الصينية وأنهم يدركون أنهم يتمتعون بهويتهم الحقيقية أى أنهم مسلمون صينيون.

8- أهمية تدعيم التعاون بين مصر والصين فى مجالات التعاون النووى المختلفة للأغراض السلمية مثل توليد الكهرباء وتحلية المياه.

9 - كذلك السعى من أجل إقامة وادى تكنولوجى صينى مشترك للاستفادة من التكنولوجيا الصينية المتقدمة وليس التقليدية وعملية نقل التكنولوجيا والتدريب والأيدى العاملة المصرية الماهرة فى مجالات تصنيع مشترك فى مجالات مختلفة عسكرية وتكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا الزراعية وتكنولوجيا الرى وعلاج الأمراض وغير ذلك.

وسوف تستفيد الصين من موقع مصر الإستراتيجى للاستثمار والتسويق فى إفريقيا والدول العربية والإفريقية وغير ذلك.

10 - أهمية توسيع نشاط الاستثمارات المتميزة والمشروعات الصينية الناجحة حالياً فى مصر التى تحظى بها العاصمة الإدارية الجديدة والمنطقة الاقتصادية التابعة لقناة السويس.

11 - أهمية دراسة الاستفادة من تجربة زيادة الإنتاج الزراعى والصناعى وتكنولوجيا المعلومات فى الصين ورفع الحد الأمثل للإنتاج لهذه الدولة الكبيرة التى يزيد عدد سكانها حالياً عن ١.٣ مليار نسمة أى أكثر من أربعة أضعاف العالم العربى ونجحت فى تحقيق نهضة كبيرة فى التكنولوجيا الزراعية التى تمثل ركيزة قوية فى تقدم الصين ورفع مستوى معيشة سكانها.

12 - أهمية التوسع فى فتح أقسام لتعليم اللغة الصينية فى بعض الجامعات المصرية ومساعدة الخريجين من هذه الجامعات على توفير فرص عمل لهم.

-13 أهمية فتح قنوات التواصل وتقنين التعاون الإستراتيجى الراسخ والمزمن من خلال عقد مذكرات تفاهم قانونية وعملية بين ما يلى:

- المعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية.
- المجلس المصرى للشئون الخارجية.
- المركز المصرى للفكر والدراسات الإستراتيجية.
- مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية.

وغيرها مع نظرائها فى الصين.

14 - أهمية التعاون بين القنوات الإعلامية والصحف بين الجانبين.

15 - إنشاء وكالة أنباء مشتركة بين مصر والصين.

16 - هذا ونأمل أيضاً أن تواصل الصين دعمها لتطلعات الشعب الفلسطينى وإقامة دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس الشرقية فى ضوء علاقاتها المتنامية مع إسرائيل ومع تطلعات الشعوب العربية والإفريقية فى إطار win win relation فى كافة المجالات فى ضوء الانتشار الواسع للصين على المستوى الاقتصادى وقوتها المتنامية فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

«الحديد والصلب» .. حكاية لها تاريخ

فى خـــبر تناقلته العديد من وســـائل الإعلام، تمت الإشـــارة إلى أن دورة غير عادية للجمعية العمومية لشركة الحديد والصلب المصرية قررت تقسيم الشركة إلى قسمين: مصنع الحديد والصلب فى حلوان، وقســـم المناجم والمحاجر، وأنها قررت تصفية الأول بســـبب خســـائره المســـتمرة، بل والمتزايدة، من جهة، والتراجع المتواصل فى عائدات مبيعات منتجاته من جهة أخرى، بينما قررت فتح باب الثانى لمساهمات من القطاع الخاص فى رأس المال.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر
walidabdelnasser@yahoo.com

يبدو الخبر موجـــزاً، إلا أن للقصة تاريخاً طويلاً وجذوراً متشـــعبة، قد لا يعرفهـــا الكثيرون فى مـــصر أو الوطن العربى، خاصة من الشـــباب والنشء، فى أيامنا هذه، وأزعم هنـــا أنها حكاية تســـتحق العودة إليهـــا وإلى تطوراتها التاريخية على مدار ما يقرب من سبعة عقود.

ففى عـــام 1954، قـــرر الرئيس المصرى الراحـــل جمـــال عبدالناصر تأسيس الشركة المصرية للحديد والصلب فى أول خطوة لثـــوار يوليو فى التحرك نحو إدخال مصر واقتصادها إلى عصر الصناعـــات الثقيلة، وهـــو عصر كانت البلدان النامية فى قـــارات العالم الثالث فى إفريقيا وآســـيا وأمريـــكا اللاتينية، والتى كانت تحصل تباعاً على استقلالها السياسى فى تلك الفترة، تسعى له بشكل حثيث باعتباره المدخل لإحداث تحولات اقتصادية نوعية تساعد تلك البلدان على الانتقال إلى مراحل أكثر تقدماً فى مسيرة التنمية الاقتصادية، ومن ثم التحرك بتلك البلدان نحو تحقيق هدف كان مستهدفاً لدى أغلبها فى ذلك الوقت وهو الاستقلال الاقتصادى والاعتماد على الذات.

وفى مصر، وخلال الحقبة الناصرية على وجه التحديـــد، كانت إقامة مصنع الحديد والصلب فى منطقة حلوان تعتبر أحد الـــصروح الرئيســـية والعلامات البارزة لدخول مصر إلى عصر الصناعات الثقيلة، مثلـــه مثل مصنع الألومنيوم فى نجع حمادى فيما بعد.

وحتى تكون الأمور واضحة، ولكى لا يتهمنا أحد بالتحيز المســـبق لمرحلة دون أخرى، أو أيديولوجية دون أخرى، بينما محط اهتمامنا هنا هو حديث عن الوطن وأحد المشاريع الوطنية المهمة فى التاريخ المعاصر لمـــصر، كما أنه حديث فى الاقتصاد، ولكـــن من منظور تنموى شامل، وليس من منظور تجار التجزئة، أى منظور الربح والخســـارة بمعناهما المباشر والآنى، فنحن لا نقول هنا أنه لم تكن هناك صناعات فى مصر قبل يوليو 1952، ولا نلغى جزءًا من تاريخ الوطن لصالح تعظيم جزء آخر، فهذه جريمة فى حق عقل وذاكرة ووعى أى شعب أو أمة، وهـــى جريمة، من وجهة نظرنا، لا تســـقط بالتقادم. فلا أحد يستطيع أن ينكـــر التجربة المهمـــة فى التحول نحو التصنيع والســـعى لبناء صناعة وطنية تدخل مصر إلى عـــصر جديد اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، ومن ثمّ سياســـياً، لقطاع وطنى مـــن البرجوازية المصرية فى أعقاب ثورة 1919، وبشكل متزامن مع خطوات الاســـتقلال الرسمى لمصر، وبناء تجربة ديمقراطية تعددية ليبرالية فى نفس التوقيـــت، خاصة جهود قادها طلعت باشـــا حرب، ولكـــن كان معه مصريـــون آخرون عديدون لا يتســـع المجال لذكرهم هنا.

إلا أنـــه بنفـــس المنطـــق، فلا أحد يستطيع إنكار أن تلك التجربة تعرضت لتحديات كبرى وأنها وصلت إلى نهايتها تقريباً فى عقـــد الأربعينيات من القرن العشرين ودخلت الرأسماليات الأجنبية على الخط لتلتهـــم العديد من إنجازات تلـــك التجربة أو مما تبقـــى منها، كما أن تلك التجربة لـــم تنجح فى الوصول إلى مرحلـــة الصناعـــات الثقيلة، ليس بســـبب تقصير من أصحابها الأصليين المصريين، بل لأن التصنيع الثقيل يتطلب اســـتثمارات ضخمة ويحقق عائداً على المدى الطويل فقـــط، وهو ما يمكن أن تقوم به الحكومات ومـــن الصعب أن يقوم به القطاع الخاص.

وإذا عدنا إلى تجربة الحديد والصلب فى الحقبة الناصرية، نجـــد أن اختيار مكان إقامة المصنع كان، ولا يزال، مثار خلاف كبير، أصبح الآن تاريخياً، داخل مصر، خاصة بين صفوف النخبة، حيث هناك من انتقد اختيـــار منطقة حلوان لإقامة المصنع، وذلك لأســـباب متنوعة: فهناك مـــن رأى فى ذلك الاختيار تدميراً لميزات موقع مشـــفى محلى وإقليمى وعالمى للعلاج بالميـــاه الكبريتية، حيث كان يقصده الكثير من المصريين والعرب والأجانب للســـياحة العلاجية، كما كان يقصده حتى أفراد عاديون من المواطنين المصريـــين للاســـتمتاع بحدائق حلوان الجميلـــة، ولكن كان هنـــاك أيضاً من وجه الانتقاد لاختيار المكان من منظور اقتصادى لبعده عن مواقع اســـتخراج المادة الخـــام فى جنوب مـــصر. إلا أن القرار اتخذ وقتها على مستوى القيادة السياســـية وتم بناء المصنع بالفعل فى حلوان.

وإذا كان القـــارئ اليوم يطلع على

خبر قرار تصفية مصنع الحديد والصلب بحلوان، فالحق والإنصاف يقضيان بأن يتعرف على مسيرة هذا المصنع المهم. فبداية بناء المصنع كانت من خلال الاعتماد على عملية اكتتاب وطنى وعرض أسهم المصنع للبيع للمواطنين المصريين. وبعد سنوات قليلة من إنشاء الشركة، وتحديداً فى أعقاب اندحار العدوان الثلاثى فى ديسمبر 1956، انطلقت فى بدايات عام 1957 أول محاولة لبناء تنمية اقتصادية يكون من أسسها التحول إلى الصناعات الثقيلة، إلا أن التحول الأكبر جاء فى مطلع عقد الستينيات من القرن العشرين مع تبنى أول خطة خمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى تاريخ مصر، ثم اندرج الأمر بعد عام واحد فى إطار إعلان القيادة السياسية تبنى التحول الاشتراكى وإصدار قوانين يوليو الاشتراكية فى يوليو 1961، والتى كان من أهدافها الإستراتيجية أيضاً الرهان على التحول السريع نحو المزيد من الصناعات الثقيلة.

ولكن السؤال الذى من المؤكد أن القارئ يطرحه بإلحاح هو: لماذا ينتهى الأمر بهذا المشروع الوطنى العملاق إلى التصفية بسبب تراكم الخسائر والديون وتراجع المبيعات والأرباح على مدار السنين؟

والواقع أن الإجابة على هذا السؤال ليست بالأمر السهل، فهناك أسباب متنوعة، وتنتمى إلى أزمنة مختلفة ومتتالية.

فبدايةً جاءت هزيمة 5 يونيو 1967 العسكرية لتفرض على الدولة المصرية إعادة تخصيص مواردها الاقتصادية للتركيز على إعادة بناء القوات المسلحة بغرض تحرير الأراضى التى احتلت عام 1967، وبالتالى جاء ذلك على حساب الموارد المخصصة للإحلال والتجديد بالنسبة للمصانع وغيرها من المنشآت، بما فى ذلك مصنع حلوان للحديد والصلب، وهى ممارسة استمرت لسنوات تالية، حتى أنها استمرت بعد حرب 6 أكتوبر 1973.

ولكن كان هناك سبب آخر يعود إلى بدء تشغيل المصنع، واستمر فى المراحل التالية، وهو اختيار القيادات والكوادر التى تتولى مسئولية المصانع والمنشآت الإنتاجية الجديدة، فهناك ما هو بات معروفاً فيما بعد من تفضيل ما يسمى بـ«أهل الثقة»، أى الموالين، من زاوية نظرة ضيقة، على «أهل الكفاءة والخبرة» فى تلك الاختيارات، وبالتأكيد هذه المقولة ليست عامة أو صحيحة على إطلاقها، ولكنها ثبتت فى العديد من الحالات فى تلك الفترة وفيما بعدها، وللأسف لم يتوقف تطبيق هذا المعيار. ولاشك أن هذا السبب كان له دور كبير على مدار السنين فى سوء إدارة الكثير من مصانع وشركات القطاع العام المصرى، ومن ثمّ فى تراجع عوائد مبيعات منتجاتها وتزايد تراكم خسائرها، وما ترتب على ذلك من بدء استدانة تلك المؤسسات ووصول ديونها إلى مستويات غير قابلة للاستدامة بسبب عدم قدرة تلك المنشآت على سدادها، والسعى إلى إعادة جدولتها، وتحولها بشكل متصاعد إلى عبء على كاهل ميزانية الدولة.

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد فوجئ الجميع فى منتصف عقد الستينيات من القرن الماضى بتكليف المشير الراحل عبدالحكيم عامر، النائب الأول لرئيس الجمهورية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة فى ذلك الوقت، مسئولية تولى رئاسة الهيئة المشرفة على القطاع العام، وهو الأمر الذى أكد عدد من المؤرخين الاقتصاديين لتلك المرحلة أنه أحدث ارتباكاً فى إدارة القطاع العام المصرى، وأضاف لعوامل أخرى، داخل القطاع العام وخارجه، كانت بدأت تظهر وتعرقل إدارة هذا القطاع المهم بشكل إدارى وتقنى احترافى ومتميز يساعد على تلبية الدور المزدوج الاقتصادى والاجتماعى المنوط بهذا القطاع الحيوى فى المجتمع المصرى آنذاك.

ومن المهم أن نتذكر هنا أنه فى أعقاب هزيمة يونيو 1967، وعلى مدار العديد من المظاهرات التى لعب فيها الطلاب والعمال دوراً طليعياً بدءًا من مظاهرات فبراير ومارس من عام 1968 المناهضة للأحكام المخففة الصادرة بحق قادة سلاح الطيران المصرى، ومروراً بالمظاهرات الطلابية والعمالية الشهيرة عام 1972 ووصولاً إلى انتفاضة يناير فى عام 1977، أى خلال حكم الرئيسين الراحلين جمال عبدالناصر وأنور السادات على التوالى، فقد لعب عمال مجمع الحديد والصلب بحلوان دوراً رئيسياً ومؤثراً فى سياق تلك الأحداث، إلى الحد الذى جعل الشاعر الراحل أحمد فؤاد نجم ألف قصيدة غناها الفنان الراحل الشيخ إمام عيسى جاء فيها مقطع يشير إلى عمال حلوان على وجه التحديد ودورهم الحيوى فى المظاهرات

«الحديد والصلب» ..حكاية لها تاريخ

الطلابية العمالية عام 1972.

كذلك علينا أن نستحضر هنا أن العديد من الشخصيات المنتمية للتيارات اليسارية والناصرية المصرية، والتى عملت عن قرب مع الرئيس الراحل أنور السادات فى السنوات الأولى من حكمه، قد روت فيما صدر عنها من مذكرات أن الرئيس السادات استاء بشدة لأنه فى السنوات الأولى من حكمه كان يتوجه إلى مراكز صناعية ضخمة مثل مجمع الحديد والصلب فى حلوان ومصانع الغزل والنسيج فى المحلة الكبرى لكى يلقى خطاباته الجماهيرية، خاصة تلك التى كان يلقيها بمناسبة عيد العمال، إلا أنه واجه فى تلك الحالات هتافات غاضبة رآها معادية له ولما تبناه من مواقف من قبل عمال تلك المواقع، وأنه بالتالى انقلب على تلك التجمعات الصناعية ولم يتوجه لها بعد ذلك حتى وفاته، بل اتهمه بعض هؤلاء فى مذكراتهم بأنه سعى إلى تفكيك تلك التجمعات الصناعية لأنه رآها فى الجوهر معادية له ولسياساته. وبالطبع لا يمكن لنا الحكم على مدى صحة أو دقة ما أورده هؤلاء، إلا أنه كانت تجب الإشارة لتلك الرواية هنا.

ويتعين علينا هنا أن ندرك أيضاً أن الدولة، وفى أعقاب حرب أكتوبر 1973 بأشهر قليلة، بدأت تتبنى توجهات جديدة تحت شعار تشجيع القطاع الخاص وإعلان ما سمى بـ «سياسة الانفتاح الاقتصادى»، وبدأت خطوات مهمة فى الانصراف عن محاولة تعويض القطاع العام ومؤسساته عن غياب الإنفاق المتعلق بالإحلال والتجديد وتجميد أسعار المنتجات منذ هزيمة 1967، فى مقابل تقديم الحوافز للمشروع الخاص والمبادرة الفردية، وهو أمر محمود ومطلوب من حيث المبدأ، ولكن كان من المهم أن يتم فى سياق خطة متكاملة تراعى التوازن بين الدفع بالقطاع الخاص وتوفير البيئة التشريعية والسياسية المواتية لانطلاقه فى مجالات وأنشطة تضيف للاقتصاد الوطنى من جهة، وبين الحفاظ على مؤسسات القطاع العام والتى حمت مصر، بشهادة الرئيس المصرى الراحل أنور السادات شخصياً، من السقوط الاقتصادى التام خلال سنوات ما بعد النكسة، والسعى لتصحيح الأخطاء فى سياسات إدارته، عبر الاعتماد على أهل الكفاءة وأصحاب الخبرة، وتحديث آليات عمله وإدخاله عصر التكنولوجيات المتقدمة، وتعويضه عن سنوات الإهمال فى الإحلال والتجديد خلال السنوات التالية لهزيمة يونيو 1967 من جهة أخرى. إلا أن الواقع أن السنوات التالية لتبنى سياسة الانفتاح الاقتصادى شهدت استمراراً أيضاً لعدم تولية أصحاب الكفاءات لتلك المصانع والشركات، وهو ما زاد الأمر سوءًا بالنسبة لأوضاع مصانع وشركات القطاع العام.

وجاء المؤتمر الوطنى الاقتصادى الذى عقد فى مطلع الولاية الأولى للرئيس الراحل حسنى مبارك، وتحديداً فى عام 1982، بغرض تصحيح مسار الاقتصاد المصرى وتحقيق انطلاقة اقتصادية مصرية جديدة، لكى يؤكد على أن القطاع العام هو «تحويشة عمر الشعب المصرى» وطالب بضرورة الحفاظ عليه وتدعيمه باعتباره ركيزة أساسية للاقتصاد الوطنى وقاطرة للتنمية الشاملة والمشغل الأول للعمالة فى النشاط الاقتصادى ومحفز لمجمل جوانب الحياة الاقتصادية المصرية، كما أنه القادر على الاستثمار فى مشروعات وطنية ضخمة وعملاقة ولا تدر أرباحاً، سوى فى بعض الأحيان على المدى الطويل، كما أنه يستثمر فى قطاعات ذات أهمية إستراتيجية وأولوية وطنية واجتماعية للدولة، وحرص المؤتمر المذكور على التوصية بإدخال إصلاحات شاملة على إدارة القطاع العام بما يمكنه من أداء دوره بكفاءة وفاعلية، كما طرح ذلك المؤتمر فى توصياته النهائية ضرورة إدخال صيغة تحقق التوازن بين الكفاءة الاقتصادية والدور الاجتماعى للقطاع العام، وكذلك إيلاء الاهتمام بالاحتياجات

العاجلة آنذاك لتلك المصانع والشركات، سواء فى مجال التدريب وإعادة تأهيل الكوادر البشرية، أو فى مجال متطلبات الإحلال والتجديد للمعدات الرأسمالية، أو فى مجال متطلبات التحديث التكنولوجى.

إلا أنه فى السنوات التالية لذلك، لم يتم الالتزام بتوصيات ذلك المؤتمر على النحو الأوفى، وتم تطبيق سياسات وتبنى إستراتيجيات متعددة فى فترات متتالية بهدف إصلاح القطاع العام، أو على الأقل كان ذلك هو الشعار المعلن، ومنها ما سمى بتجربة إنشاء «قطاع الأعمال» فى عقد التسعينيات من القرن العشرين ليضم ما تبقى من القطاع العام، كما بدأ بروز مصانع للقطاع الخاص تنافس القطاع العام فى مختلف المجالات، بما فيها الحديد والصلب، ولكن مع استمرار تكبيل القطاع العام بالقيود الإدارية والمالية لحركته، جاءت المنافسة لصالح مصانع القطاع الخاص، كما أن محاولات «إصلاح القطاع العام»، خاصة فى ضوء اتسامها بالتخبط فيما بينها، لم تسهم سوى فى المزيد من إضعاف هذا القطاع واستنزاف ما تبقى به من موارد والغوص به فى مشكلات أكثر هيكلية والسير به فى طريق استحالة العودة إلى أى إصلاح حقيقى وفعلى من جديد. وتزامن ذلك مع استمرار إبعاد أصحاب الكفاءة والخبرة فى العديد من الأحوال عن تولى مسئولية مؤسسات ذلك القطاع

لصالح أهل الثقة، ومن ثم كان ذلك هو المبرر فى بدء ما يمكن تسميته بتصفية القطاع العام المصرى، وإن كان قد بدأ بحالات محدودة من محاولة طرح تلك المنشآت للخصخصة، كما كانت حالات من الواضح للمشاهد العادى أنها تعانى فشلاً كبيراً وتولد عجزاً تتحمله الموازنة العامة للدولة، إلا أن أحداً بالطبع لم يشرح لماذا وصلت هذه الحالات إلى ما وصلت إليه وأين كانت الدولة خلال ذلك؟ وجاءت هذه التطورات متزامنة مع حقيقة تردى فى نوعية منتجات القطاع العام الصناعى والزراعى من جهة، وسوء نوعية الخدمات المقدمة من قبل المنشآت التابعة للقطاع العام التجارى من جهة أخرى، وهو تردى أعاده المسئولون عن القطاع العام آنذاك إلى تضاؤل المرتبات المقدمة للعاملين وأيضاً إلى تدنى، وأحياناً انعدام، استثمار الدولة فى هذا القطاع، بالإضافة إلى غياب المحاسبة عن ذلك القطاع.

ثمّ، وفى العقد الأول من القرن الأول من الألفية الثالثة، تم استئناف تبنى سياسة «الخصخصة» من قبل الحكومة المصرية لمصانع وشركات من ضمن مكونات القطاع العام المصرى فى مختلف المجالات المصرفية والصناعية والتجارية وغيرها، ولكن على نحو ممنهج ومخطط ومستمر ومتواصل هذه المرة، سواء لرأس مال مصرى خاص أو عربى أو أجنبى، مع محاولة إدخال بعض الضوابط على تلك العملية، مثل تعويض العمالة التى يتم تسريحها وتفعيل آلية المعاش المبكر، وإن كانت تلك «الخصخصة» قد واجهت معارضة من جانب بعض الأطراف، سواء لأسباب أيديولوجية أو سياسية أو اجتماعية، بما فى ذلك بعض أحزاب وقوى المعارضة المصرية آنذاك، وكذلك من جانب قطاعات من المثقفين والكتّاب وغيرهم من صفوف النخبة، وكذلك من قبل قطاعات فاعلة من الطبقة العاملة المصرية أدركت أنها سوف تتأثر، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وسواء على المدى القصير أو المتوسط أو الطويل، من جراء تلك الإجراءات، خاصة بعد نشأة عدد من الحركات الفاعلة على الساحة المجتمعية المصرية، التى لم تكتسب صفة الأحزاب ولكن أصبح لها حضور لافت فى المشهد المصرى، وكان منها ما له علاقة مباشرة بقضايا الخصخصة مثل ما سمى بنقابات العمال المستقلة، وكذلك منها ما كان مهتماً بالشأن العام، بما يتضمن موضوع «الخصخصة»، مثل حركة «كفاية» على سبيل المثال، إلا أنه بالمقابل نظرت الحكومة المصرية إلى عملية «الخصخصة» فى ذلك الوقت على أنها مصدر للدخل القومى من جهة وسعياً للتخلص من أعباء متزايدة من على كاهل الدولة من جهة ثانية ووسيلة لإدخال الكفاءة والفاعلية على إدارة وتحديث تلك المنشآت وترشيد سياساتها، بما فى ذلك فى مجال العمالة، طبقاً لآليات السوق من جهة ثالثة.

وفى الفترة التالية مباشرة لتنحى الرئيس الراحل مبارك فى 8 فبراير 2011، لم تكن البوصلة واضحة بشأن إلى أين تتجه سياسات الدولة إزاء ما تبقى من القطاع العام، وإن سمعنا، خاصة فى الشهور الأولى بعد ذلك، تصريحات من بعض المسئولين الكبار بشأن أهمية مراجعة ما يجرى من سياسات تجاه القطاع العام المصرى، ودعا مسئولون آخرون إلى ضرورة تمكين مؤسسات القطاع الخاص من تفكيك القيود التى تحول دون قدرتها على المنافسة، ودعا قطاع ثالث منهم إلى الفصل بين إدارة القطاع العام كمؤسسات اقتصادية وبين دورها الاجتماعى مع تحمل الدولة المسئولية عن ذلك الدور الأخير، كما توقفت لفترة سياسة «الخصخصة» بدون وضوح ما إذا كان ذلك التوقف نهائياً أو مؤقتاً، ولا شك أن تلك الفترة التالية مباشرة لتغير القيادة السياسية فى مصر فى 2011 شهدت بعض الضبابية فى الرؤية، وربما أيضاً التضارب فى الآراء والمواقف، فيما بين المسئولين فى الحكومات التى تعاقبت فى فترات زمنية قصيرة، تجاه القطاع العام المصرى، أو بمعنى أدق ما تبقى منه، وأتذكر هنا أن صديقاً من رجال الصناعة العاملين فى مجال الغزل والنسيج قد ذكر لى منذ عدة سنوات واقعة حدثت له ولكنها تعكس مجمل حالة عانى من ويلاتها القطاع العام المصرى على مدار عقود، ولكن مع حالة انهيار الأمن فى الشهور الأولى بعد ثورة 25 يناير 2011، أخذت منحنيات خطيرة، حيث أوضح أنه كان يحتاج معدات لتشغيل مصنعه فى ضوء صعوبة إصلاح معدات أصابها العطب فى ظروف تلك الفترة، وجاءه من يعرض عليه المعدات المطلوبة، وإن كانت مستعملة استعمالاً جيداً، بسعر رآه مغرياً، وذهب صديقى هذا مع هذا السمسار إلى موقع مهجور فى إحدى المدن «الجديدة» وقتذاك، التى كان قد بدأ العمل فيها منذ عقود ولكنه لم يكتمل، وفوجئ صديقى بالفعل بوجود المعدات المطلوبة وهى مخزنة فى موقع مهجور فى تلك المدينة، كما وجدها بحالة جيدة، وعندما ألح فى سؤال السمسار لمعرفة مصدر تلك المعدات، وبعد إصراره على ذلك، أبلغه السمسار أنها «مسروقة» من أحد مصانع القطاع العام فى تلك الأيام! ربما تثير هذه القصة الدهشة لدى البعض، كما قد تثير السخرية والضحك لدى البعض الآخر، مما يؤكد المثل العربى الشهير القائل «إن شر البلية ما يضحك»، كما يتفق مع مقولة كارل ماركس منذ حوالى قرن من الزمان أنه «عندما تصل المأساة إلى قمتها تتحول إلى ملهاة!!!».

طابا...مصرية الهوى والهوية

« لقد ارتفع علم مصر على أرض طابا ولن يُنتكس أبداً... سيظل شامخاً خفاقاً على بركة الله»
هكذا سجل الرئيس حسنى مبارك فى التاسع عشر من مارس من عام 1989 مشهداً لكل من يحاول المساس بتراب وطننا الغالى عندما أمسك بالعلم المصرى رافعاً إياه على رمال طابا، آخر شبر من سيناء، بعد أن أدت القوات المسلحة دورها العسكرى بنجاح فى حرب أكتوبر من عام 1973، وأرست أيضاً قواعد استئناف الصراع بين العرب وإسرائيل من خلال استخدام القنوات السياسية، واستطاعت أن تجهض أكاذيب إسرائيل وخداعها فى تزييف الحقائق وتزوير التاريخ وتغيير الملامح الجغرافية للعلامات الحدودية المصرية لتكسر أنف الغطرسة الإسرائيلية.

فبعد سنوات من حرب أكتوبر المجيدة من عام 1973 التى جعلت العالم ينبهر بخير أجناد الأرض، ومع دخول النزاع العسكرى بين مصر وإسرائيل إلى مرحلة المفاوضات تمهيداً لإقرار السلام بين البلدين، عادت طابا من جديد لتكون محل نزاع بين «الحق المصرى والباطل الإسرائيلى»، عندما بدأت إسرائيل فى المراوغة فى تسليم آخر مناطق سيناء، «طابا»، إلى مصر، ومن هنا بدأ خلاف حول الحدود، خاصة عند علامة الحدود (91) بمنطقة طابا، لتخوض مصر معركة أخرى استخدمت فيها كل الوسائل الدبلوماسية لإثبات حقها من أجل عودة طابا.

ويمكن تفسير هذه المراوغة الإسرائيلية نتيجة لأهمية طابا الإستراتيجية الكبيرة بالنسبة لها، فقد كانت تدرك أهميتها العسكرية والجغرافية على الرغم من أن طابا لا تتجاوز كيلو متراً مربعاً، وهو ما يعبر عن مدى الصفعة التى تلقتها إسرائيل باسترداد طابا رغم أنفها، فهى تقع على بعد سبعة كيلومترات من ميناء إيلات الإسرائيلى شرقاً، الأمر الذى يجعلها بمثابة الباب على سيناء، وتعتبر إيلات أضيق جبهة إسرائيلية فى المنطقة، تطل على العقبة، حيث تمتد خمسة أميال محصورة بين ميناء العقبة الأردنى ووادى طابا، ولذلك كانت إسرائيل تسعى إلى الاستيلاء على طابا من أجل توسيع إيلات التى تعتبر المنفذ البحرى الوحيد لها على البحر الأحمر، الأمر الذى يؤهلها للإشراف على طريق البحر الأحمر من سيناء إلى باب المندب،

د.هشام عبدالملك
Hesham.Abdel.Malek@bbc.co.uk

بالإضافة إلى أنها المدخل الأساسى لشرم الشيخ، وبالتالى مضيق تيران، كما تمثل نقطة تحكم لإسرائيل تقوم من خلالها بالاطلاع على ما يجرى فى المنطقة، ووسيلة ضغط مستمرة على مصر تقوم من خلالها بعزل شمال سيناء عن جنوبها، فضلاً عن ذلك تقع طابا فى مواجهة الحدود السعودية فى اتجاه مباشر لقاعدة تبوك، لذلك فمن يسيطر على طابا يسيطر على رأس خليج العقبة ويستطيع رصد ما يجرى فى كل من خليج السويس وشرم الشيخ ونويبع، ولهذه الأسباب حاولت إسرائيل تحريك بعض هذه العلامات داخل الأرض المصرية للاستيلاء على طابا.

لقد بدأت معركة استرداد طابا فى أكتوبر من عام 1981عند تفعيل انسحاب الجيش الإسرائيلى من سيناء، واتفق الطرفان على كل العلامات الحدودية باستثناء العلامة (91) الخاصة بمدينة طابا، حيث رفض الوفد الإسرائيلى تنفيذ الانسحاب بشكل كامل، بل وتوسع الخلاف حتى شمل ثلاث عشرة علامة حدودية أخرى، فقد اكتشفت اللجنة المصرية بعض المخالفات الإسرائيلية حول هذه العلامات الحدودية عند تدقيق أعمدة الحدود الشرقية، فى محاولة إسرائيلية لإدخالها ضمن أراضيها، ولكن مصر أعلنتها واضحة وجلية بأنها لن تتنازل أو تفرط فى سنتيمتر واحد من أراضيها، وأن الحفاظ على وحدة التراب الوطنى المصرى هدف أساسى وركيزة لكل تحرك.

وفى مارس من عام 1982، وقبل شهر من الانسحاب الإسرائيلى من شبه جزيرة سيناء، أعلن اللواء بحرى محسن حمدى، رئيس الجانب العسكرى المصرى فى اللجنة العسكرية المشتركة المشكلة لإتمام الانسحاب الإسرائيلى، أن هناك خلافاً بين الجانبين حول بعض النقاط الحدودية وخاصة العلامة (91)، وأثير النزاع مرة أخرى يوم إتمام الانسحاب الإسرائيلى من سيناء فى الخامس والعشرين من أبريل من عام 1982، وأكدت مصر تمسكها بموقفها المدعوم بالوثائق الدولية والخرائط التى تثبت تبعية تلك المناطق للأراضى المصرية، وهو ما أدى إلى إبرام البلدين اتفاقاً فى الخامس والعشرين من أبريل من عام 1982 والمتعلق بالإجراء المؤقت لحل مسائل الحدود، خاصة فى منطقة طابا والعلامات الحدودية، ونص الاتفاق على عدم إقامة إسرائيل لأى إنشاءات وحظر ممارسة

مظاهر السيادة على منطقة طابا، وأن الفصل النهائى فى مسائل وضع علامات الحدود المختلف عليها يجب أن يتم وفقاً لأحكام المادة السابعة من معاهدة السلام المبرمة بين البلدين، ويقول الدكتور مفيد شـــهاب، عضو اللجنة المصرية فى مفاوضات التحكيم الدولى حول طابا، «إنه وفق المادة السابعة من هذه الاتفاقية، فإن أى خلاف بشأن تطبيق المعاهدة، يجب أن يتم حله عبر المفاوضـــات وقواعد القانون الدولى، حيث أقرت المادة السابعة أنه «فى حال عدم إمكانية حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضات تحل بالتوفيق أو تحال إلى التحكيم»، إلا أن إسرائيل لم تلتزم بهذا الاتفاق، وافتتحت فندق «سونستا طابا»، وأعلنت عن بناء قرية سياحية، وأدخلت قوات حـــرس الحدود، وهو ما مثـــل انتهاكاً للاتفاق ومحاولة من الجانب الإسرائيلى لفرض سياسة الأمر الواقع فى القضية، ولم لا فالمماطلة ديدنهم، والمراوغة أســـلوبهم، والتهام الحقوق منهجهم.

ولم يكن النزاع حـــول طابا مع إسرائيل هو الأول من نوعه بالنســـبة لمصر، حيث يقول الدكتور يونان لبيـــب رزق فى كتابه (الأصول التاريخية لمســـألة طابا – دراســـة وثائقية) «إن مشـــكلة طابا الأولى بدأت فى مطلع القرن الماضى بين مصر وســـلطة الاحتلال البريطانى كطرف أول مع الدولـــة العثمانية كطرف ثان فى يناير من عام 1906 بعد أن أرســـلت تركيا قوة لاحتلالها مخالفة بذلـــك ما جاء بفرمان عامـــى 1841 و1892 الخاصين بولاية مصر والحـــدود الدولية الشرقية لهـــا، والممتدة من رفح شـــمالاً على ســـاحل البحر المتوسط إلى رأس خليج العقبة جنوباً شـــاملة قلاع العقبة وطابـــا، وعلى أثر ذلك، ومـــع تدخل بريطانيا لمنع تكريس الأمـــر الواقع على الحدود، حفاظاً على مصالحها، ازدادت المشكلة تعقيداً وتعدت أزمة طابا، وامتـــدت إلى منطقة رفح فى أقصى الشمال، حيث قامت الدولة العثمانية بإرسال قوة من جنودها لاحتـــلال مدينة رفح، وإزالة أعمدة الحدود الدولية بها، وبعد تهديد متبادل باســـتخدام القوة العســـكرية بين بريطانيا والباب العالى فى تركيا، عادت القوات العثمانية إلى ديارها، وتم تعيين لجنة مشتركة مع الجانب المصرى والبريطانى لإعادة ترسيم الحدود إلى ما كانت عليه مع تدقيقها طبقاً لمقتضى القواعد الطبوغرافيـــة لتحديد نقاط الحدود الطبيعية، حيث بلغت عـــدد العلامات الحدودية من رفح شـــمالاً إلى طابا جنوباً إحدى وتسعين علامة، كان آخرها على رأس طابا».

وللعلامـــة (91) قصة يرويهـــا الدكتور نبيل العربى فى كتابـــه (طابا.. كامب ديفيد.. والجـــدار العازل ــ صراع الدبلوماســـية من مجلس الأمن إلى المحكمة الدولية)، حيث يقول «إن العلامة (91) هى آخر علامة لخط الحدود بين مصر وفلسطين تحت الانتداب البريطانى طبقاً لاتفاقيـــة عام 1906، وهذه العلامة تقع فوق هضبة شرق وادى طابا، وتطل على خليج العقبة، وبدأ ترقيم علامات الحدود عام 1906 من رفح فى الشمال انتهاء برأس طابا فى الجنوب على خليـــج العقبة»، ويتحـــدث الدكتور نبيل العربى فى كتابه عن محاولات إسرائيل تضليل الرأى العام المـــصرى والعالمى عندما ادعت أن العلامات التى تم الاتفاق عليها فى عام 1906 تـــم تعديلها فى عام 1915 بواســـطة توماس إدوارد لورانس الضابط البريطانى الذى كان له دور فى الثورات العربية على الدولة العثمانية، كما يشـــير كذلك إلى ما قامت به إسرائيل من إزالة لمعالم العلامـــة (90) بعد أن تركتها فى موقعها لإيهـــام مصر بأنهـــا العلامة (91)، ويقول إن إسرائيل أخفت عـــن عمد ما قامت به من إزالة جـــزء من هضبة شرق وادى طابا سراً لتشق طريقاً يربط طابا بميناء إيلات على الجانب الإسرائيلى من الحدود مع مصر، ورغم علم مصر بقيام إسرائيل بشـــق هذا الطريق، فهى لم تكن تعلم بمسألة إزالة العلامة.

لقد تعقـــدت الأمـــور بســـبب التعنت الإسرائيلى، وهكذا تبين للرئيس حسنى مبارك أن إسرائيل لن تنســـحب من طابا بالتفاوض، ولذلك أعلن رئيس مجلـــس الوزراء فى الثالث عشر من مايـــو من عـــام 1985 القرار رقم (641) بتشكيل «هيئة الدفاع المصرية فى قضية طابا» برئاسة الدكتور عصمت عبدالمجيد وزير الخارجية، الذى كان صاحب فكرة تشكيل هذه الهيئة، كما يؤكد المـــؤرخ الدكتور يونان لبيب رزق، وقـــد ضمت الهيئة أربعة وعشرين خبيراً متنوعى الانتماءات والاهتمامات والتخصصات، منهم تســـعة من خبراء القانـــون، واثنان من علماء الجغرافيا والتاريخ، وخمســـة من كبار الدبلوماســـيين بوزارة الخارجية، وثمانية من العسكريين وخبراء المساحة العسكرية، فى حين عهدت وزارة الخارجية بمهمة إعداد المذكرات إلى لجنة مشـــارطة التحكيم والتى تشـــكلت برئاســـة الدكتور نبيل العربـــى الوكيل عن جمهورية مصر العربية أمام هيئة التحكيم فى جنيف، وبعضوية كل من الســـفراء من وزارة الخارجية (بدر همام، حسن عيسى، أحمد أبو الخير، محمود عثمان، عـــز الدين عبدالمنعم، وجيه حنفى، أحمد فتح اللـــه، محمد جمعة، حسين مبارك، محمود سامى، فايزة أبو النجا، أحمد ماهر، مهاب مقبـــل، ماجد عبدالفتاح، إبراهيم يسري)، ومن وزارة الدفاع (عبدالحميد محسن حمدى، فاروق لبيب، خيرى الشماع)، ومن وزارة العدل (أمين المهدى، فتحى نجيب)، ومن وزارة البـــترول (أحمد عبدالحليم، صلاح حافظ)، ومن أســـاتذة القانون (مفيد شهاب، يونان لبيـــب رزق، أحمد صادق القشـــيرى، يوســـف أبوالحجاج، ســـميح صادق، صلاح عامر، وحيد رأفت، محمد الشـــناوى، جورج أبوصعب، طلعت الغنيمى، محمد بســـيونى، حسين حســـونة، محمد عبدالفتاح محسن)، وكان هدف هذه اللجنة هو الاتفاق على النظام الذى سيســـود المناطق المتنـــازع عليها، حيث رأت مصر أنها تفضـــل اللجوء إلى التحكيم فى المقـــام الأول، ونصت مشـــارطة التحكيم على أن المطلوب من هيئـــة التحكيم تقرير مواضع علامات الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب فى الفترة ما بين عامى 1922 و1948، وقد اســـتعانت لجنة الدفاع المصرية بالدكتور دريك باوت فى مقابل استعانة إسرائيل بالدكتور لوتر باخت، وكلاهما أستاذ فى القانون الدولى وذو خبرة دولية فى هذا النوع من المنازعات.

ولم تكتف مصر بذلك، بل فتحت الباب أمام المواطنين «كل واحد عنده حاجة خاصة بطابا يقدمها»، فقد كانت حريصة أن تقول لإسرائيل إنها قضية رأى عام، ولا يمكن التراجع خطوة واحدة عن استعادة طابا.

لقد كان الرئيس حســـنى مبارك حريصاً على التأكد بنســـبة مائة فى المائة من استرداد الأرض بعد التأكد مـــن أن أرض طابا مصرية قبل اللجوء إلى التحكيم الـــدولى، وقال لأفراد اللجنة صراحة «أريدكم أن تدرسوا بعناية إذا كانـــت طابا مصرية أم لا، وســـأعطيكم مهلة لتقرأوا وتبحثـــوا، كلٌ فى تخصصه»، وهو ما حدث بالفعل، حيث بدأت اللجنة عملها على قدم وساق، متبعين الأسلوب العلمى السليم، وعمل أعضاء الفريـــق بمنطق (لا حس ولا خبر)، أى الحفاظ على سرية أعمالهم، متعقبين كل وثيقة تتصل بالقضية.

ولم تكن إسرائيل ترفض فقط الانسحاب من طابا، بل كانت أيضاً ترفض اللجوء للتحكيم الدولى، كما ســـعت لأن يكون حســـم مصير الخلاف حول طابا من خلال التفاوض الهادف للتوفيق، ومن أحـــد المقترحات التى طرحت فى هذا الشـــأن فى إطار البحث عـــن التوفيق قبل صدور حكم هيئة التحكيم كان قبول إسرائيل بالموقف المصرى كاملاً حول طابا على أن تقوم مصر بالموافقة عـــلى تأجير طابا والفندق الذى كانت إسرائيل قد بنته فيها للحكومة الإسرائيلية لمدة تسعة وتســـعين عاماً، وهو الاقتراح الذى رفضته مصر لأن مبـــدأ التأجير يتعارض مع ســـيادة مصر من جهة، وتخوفـــاً من الانزلاق إلى هاوية المســـاومة حول مدة التأجير بالرغم من الإغـــراء الظاهرى بأن العرض ينطوى على الاعتراف بموقع العلامة المصرية.

ونلتقط هذه الصورة الوطنية الشـــامخة، فبوقفة عســـكرية ونبرة حاسمة، وجه الرئيس حسنى مبارك سؤالاً صادماً إلى مذيعة أجنبية «هل يمكنكِ التخلى عن أحـــد أطفالك؟!»، رداً على ســـؤالها عما يمكن أن تقبل به مصر من تسهيلات إسرائيلية مقابل التنازل عن طابا.

لقد اســـتمرت المفاوضات لأكثر من أربع ســـنوات، ولصعوبة الوصول إلى حل للنزاع، وبتدخل من الولايات المتحـــدة، وافق مجلس الوزراء الإسرائيلى عـــلى التحكيم، ليتم بعدها التوقيع على اتفاقية المشارطة فى الحادى عشر

طابا...مصرية الهوى والهوية

من سبتمبر من عام 1986، بمشاركة شمعون بيرس رئيس الوزراء الإسرائيلى، واللجوء لهيئة تحكيم دولية تعقد فى جنيف بسويسرا بما يحقق هدفين أساسيين أصر عليهما الجانب المصرى ضمن مشارطة التحكيم، أن تلتزم إسرائيل بالتحكيم وفق جدول زمنى محدد بدقة، وأن تحدد مهمة المحكمة بدقة بحيث تكون مهمتها الوحيدة والمسندة إليها هى تثبيت الموقع الذى تراه صحيحاً، وترفض الموقع الذى اقترحه الطرف الآخر مع اعتبار الحكم نهائياً، يلزم تنفيذه دون تراجع.

ولم تصل الأمور إلى بر الاستقرار، فقد كان تشكيل هيئة التحكيم مثار مناقشات طويلة وخلافات عميقة بين مصر وإسرائيل استغرقت عدة أشهر، فالقواعد المتعارف عليها لتشكيل هيئات التحكيم تتمثل فى اختيار كل طرف محكماً عنه، ثم يتفق الطرفان على أسماء المحكمين المحايدين الثلاثة، وهو الأمر الذى كان مثار خلاف كبير، حيث دأبت إسرائيل على رفض كل الأسماء التى كان الوفد المصرى يتقدم بها، وبالمثل استمرت مصر فى رفض قبول الأسماء التى اقترحتها إسرائيل حتى وصل أعداد الأسماء المرفوضة من الطرفين إلى أربعة وأربعين اسماً على مدى ستة أشهر، ولم يكن لمصر أى انحيازات، وكانت تنظر للكفاءة بعناية، وتمت المراجعة مع مكاتب محاماة عالمية أوروبية لمعرفة القاضى الذى سيحكم وخلفيته، وبعد شد وجذب بين الطرفين، قام المحكمان المتفق عليهما بتسليم الجانبين ورقة عليها أسماء سبعة محكمين ليقرر كل طرف على حدة الأسماء التى يقبلها ليتم الاتفاق على هيئة التحكيم والتى تكونت من خمسة أعضاء، القاضى الدكتور حامد سلطان عن الجانب المصرى، والقاضية روث لابيدوث عن الجانب الإسرائيلى، إلى جانب القاضى السويدى جونار لاجرجرين رئيس هيئة التحكيم، والقاضى الفرنسى بيير بيليه، والقاضى السويسرى ديتريش شندلر.

وبعد أن يلجأ الطرفان إلى التحكيم الدولى بعد مراوغات ومماطلات إسرائيلية، يجتمع الوفد المصرى على حب بلده، وفى هذا يقول الدكتور عصمت عبدالمجيد، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية فى أثناء أزمة طابا «لقد كان العمل يتم بروح الفريق وبذل أقصى الجهود، والحرص على عدم التخلى عن ذرة تراب واحدة من الأراضى المصرية، وهو ما كان وراء استعادة طابا للسيادة المصرية».

لقد بدأت الجلسات مع هيئة التحكيم بتقديم مذكرة افتتاحية فى مايو من عام 1987، وكانت أولى الجلسات فى ديسمبر من عام 1986، ثم تلقت المحكمة المذكرات المضادة والردود من الطرفين فى أكتوبر من عام 1987، واتفق الطرفان المصرى والإسرائيلى على تقديم مذكرة ختامية فى يناير من عام 1988، وفى الوقت الذى قدمت فيه مصر مذكرات شملت ألفاً ومائة وخمسين صفحة، قدمت إسرائيل أربعمائة وخمسين فقط، هذا بالإضافة إلى جولتين من المرافعات الشفهية فى مارس وإبريل من العام نفسه، وقد كثفت الدبلوماسية المصرية خلال هذه الفترة من تحركاتها الدولية لإظهار الحقيقة، وتفنيد الرواية الإسرائيلية لسرقة جزء من أراضى سيناء، وقدمت مصر الوثائق والخرائط التى تثبت تبعية طابا للأراضى المصرية، مشيرة إلى انسحاب إسرائيل من سيناء، بما فيها طابا، إلى الحدود الدولية عقب عدوان عام 1956، وردت الحكومة الإسرائيلية بأن موقفها قائم على وجود خطأ فى تعليم الحدود وفق اتفاقية عام 1906 الخاصة بتعيين الحدود بين مصر والدولة العثمانية، وأن موقفها بعد حرب أكتوبر من عام 1973 يسعى لتصحيح هذا الخطأ.

ولعبت الدبلوماسية المصرية دوراً بارزاً فى تجميع الأدلة والأسانيد والوثائق من الأرشيف المصرى والبريطانى والتركى التى تدحض الرواية الإسرائيلية، وتؤكد حق مصر التاريخى فى منطقة طابا، وشملت أدوات الانتصار المصرى وثائق تاريخية، ومجسمات طبيعية، وإحداثيات شبكية، وزيارات ميدانية، وشهادات شهود، وامتد الأمر إلى تقديم وزارة الخارجية تسعاً وعشرين خريطة بأحجام مختلفة تثبت الملكية المصرية لطابا، كما قدمت عشر خرائط من الأرشيف الإسرائيلى نفسه تثبت تبعية طابا للأراضى المصرية، فيما قدمت إسرائيل ست خرائط فقط، وقد وصف الدكتور يونان لبيب رزق ذلك فى كتابه (طابا قضية العصر)، بأنها حرب الخرائط.

ويقول الدكتور نبيل العربى إن من ضمن الصعوبات التى واجهت الفريق المصرى هو أن هذا الجزء من الأراضى المصرية كان موقعاً للقوات الدولية فى مرحلة ما بعد العدوان الثلاثى على مصر فى عام 1956، فالقوات المصرية لم تطأ أقدامها الشريط الحدودى على الجانب المصرى منذ عام 1956، وكانت المعلومات المتوفرة لديها ضئيلة، ولم يتم تحديثها، وهو ما تطلب البحث عن الضباط الذين عملوا فى ذلك الوقت فى إطار القوات الدولية، وكان من بينهم ضباط من الدنمارك التى لم تتعاون مع مصر كثيراً فى سعيها لإثبات حقها، ومن يوجوسلافيا التى أبدت تعاوناً مع مصر من خلال شهادة ثلاثة ضباط أكدوا موقع العلامات المرسمة للحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب، وكان لشهادتهم تأثير واضح على هيئة التحكيم، حيث أكدوا أمامها فى شهادة مشتركة أن مهمة الكتيبة اليوجوسلافية لمدة عشر سنوات كانت القيام بدوريات غرب الهضبة، وأن خرائطهم الرسمية تؤكد أن خط

رفع علم مصر على طابا بتاريخ ١٩ مارس ١٩٨٩

الحدود يمر على هضبة طابا، وليس فى وادى طابا كما تدعى إسرائيل.

ويؤكد الدكتور يونان لبيب رزق فى كتابه (طابا قضية العصر) أن مصر اعتمدت على خمسة جوانب لإثبات تبعية طابا للأراضى المصرية، باستخراج كل ما هو متاح من أرشيف مصلحة المساحة المصرية وإدارة المساحة العسكرية، والحصول على الخرائط الإسرائيلية، والحصول على الخرائط التركية، أو بالأحرى الخريطة الأصلية لخط الحدود 1906، والخريطة التى كان قد أرفقها رشدى باشا قائد العقبة فى أثناء تعليم الخط، والحصول على الخرائط البريطانية التى عنيت عناية خاصة بمسح سيناء وجنوب فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى، ومنها خريطة عام 1915، وجاء الجانب الأخير من أرشيف الهيئة المعنية بامتيازات البترول، حيث تم الاحتفاظ بعقود الامتياز، وقد عثر ضمن هذه العقود على خريطة لامتياز بالتنقيب عن البترول لشركة «شل» فى المنطقة محل النزاع، لتقدم مصر ملفاً محكم الصياغة وقوى الحجة ومدعماً بالأدلة الكاملة التى تمكنت من دحض الحجج الإسرائيلية والمحاولات الأمريكية لاختراق عمل هيئة التحكيم الدولية.

ومع استمرار المرافعات رسخ لدى هيئة التحكيم الدولية، وقبل صدور الحكم، انطباع حقيقى عن أوضاع نقاط الحدود بقوة الدفاع ووجهة النظر المصرية، وضعف حجة وجهة النظر الإسرائيلية، وقد قام الدكتور نبيل العربى بحركة ذكية قبل صدور الحكم، خوفاً من أن تطعن إسرائيل على الحكم، حيث اتخذ إجراء مع الحكومة السويسرية، وأحضر مخاطبة بأنها تستضيف المحكمة، وكأن الأمر أشبه بالمؤتمر، وأن المحكمة ليست تابعة لها كى لا يُطعن عليها، كما أن المحاكم السويسرية ليس لها علاقة بما يحدث، وبالفعل حصل على

هذه المخاطبة، وقد فوجئ الإسرائيليون بهذه الخطوة بالطبع.

وها هو يوم التاسع والعشرين من سبتمبر من عام 1988، وفى تمام الساعة الثانية والنصف من ظهر هذا اليوم بتوقيت جنيف، وداخل قاعة المجلس الكبير بالمقر الرسمى لحكومة مقاطعة جنيف، وفى حضور وكيلى الحكومتين، وأعضاء هيئة الدفاع لكلا الجانبين تعلن هيئة التحكيم حكمها النهائى الملزم بأن أرض طابا مصرية، فى حين أسقطت الادعاءات الإسرائيلية بهذا الشأن، وجاء الحكم بأغلبية أربعة أصوات، بينما كان الاعتراض الوحيد من الجانب الإسرائيلى.

لقد بلغ عدد صفحات الحكم مائتين وثلاثين صفحة، أولها يضم الحيثيات التى قام عليها قرار المحكمة، والثانى يضم الرأى المخالف، وفيه رأى القاضية الإسرائيلية الوحيدة التى اعترضت على الحكم، أما الجزء الثالث فشمل أربعة ملاحق تضمنت نصوص مشارطة التحكيم واتفاقية 1906 وخريطتين، وقام رئيس المحكمة بتسليم أربع نسخ للنص الكامل لحيثيات الحكم متمثلة فى نسختين لكل طرف.

وهكذا حكمت المحكمة بأن العلامة (91) التى حددتها مصر هى الصحيحة، أما إسرائيل فقد خسرت موقع العلامة الخاصة برأس النقب وباقى المواقع المهمة، وطغت الفرحة على الجانب المصرى الذى ظل يهتف «الله أكبر وتحيا مصر وطابا مصرية»، ولم لا؟ فهذا اليوم عيد للمصريين، وعلى الجانب الآخر ظهرت علامات الوجوم والخيبة والحسرة والانكسار عقب صدور الحكم فى شعور مماثل لشعورهم بالهزيمة فى حرب أكتوبر المجيدة، وظهرت القاضية ممثلة إسرائيل مخاطبة رئيس هيئة التحكيم، وقالت «هذا حكم ظالم وغير قانونى»، فرد عليها بصوت العاقل الحكيم «أعلم أنك ترفضين الحكم، ولذلك أعلنت أنه صدر بأغلبية أربعة أصوات مقابل صوت واحد، هو أنتِ كممثلة لإسرائيل، وليس من حقك أن تعترضى ونحن ننطق الحكم، ولكن لكِ أن تُرفقى وجهة نظرك فى شكل تقرير يُرفَق بالحكم يعبّر عن وجهة نظرك، ولكنه لا يغير من الأمر شيئا»، فكان كلامه قوياً وحكيماً وهادئاً، وشعرت ممثلة إسرائيل بالحرج فاضطرت إلى أن تلزم الصمت.

لقد سئل رئيس الوزراء الإسرائيلى إسحاق شامير بعد الحكم عن كيفية حضوره التحكيم الدولى فى قضية موقف بلاده فيها ضعيف وموقف مصر قوى جداً، فرد قائلاً «كنت أظن أن المصريين سيخطئون قانونياً، أو يهملون القضية كالعادة، ولكن لم يحدث هذا»، ويؤكد هذا الرد أن إسرائيل تكسب بعض المواقف لا عن شطارة، ولكنها تستفيد من أخطاء العرب.

ولكن لم يكن النطق بالحكم هو نهاية المطاف، فقد بدأت الصعوبات فور النطق به، وبدأت إسرائيل فى المماطلة رفضاً لتنفيذه، واختلقت أزمة جديدة فى التنفيذ، ويقول الدكتور نبيل العربى فى كتابه (طابا.. كامب ديفيد.. الجدار العازل) «إنه بعد النطق بالحكم غضب عندما سأله أحد الصحفيين «وماذا الآن؟ لقد حكمت المحكمة لصالح مصر، ولكن تنفيذ الحكم يقتضى موافقة إسرائيل، فماذا سوف تفعل مصر؟»، ورد الدكتور نبيل العربى بأن إسرائيل إذا ما حاولت عدم تنفيذ الحكم ستكون دولة خارجة عن الشرعية ومنبوذة»، ورفضت مصر، حكومة وشعباً وجيشاً، استمرار المماطلات والمناورات الإسرائيلية، وأدلى الرئيس حسنى مبارك بتصريح شديد اللهجة يطالب فيه إسرائيل بالانسحاب الفورى، ويعلن فيه أن مصر لن تقبل باستمرار المماطلات والمناورات الإسرائيلية، وأنها قد تلجأ إلى التخلص من جميع المنشآت فى طابا.

وسارت مصر مع إسرائيل إلى آخر الطريق فى محاولة منها لتبديد المناورات والمراوغات الإسرائيلية، وتم حسم الموقف عن طريق اتفاق روما التنفيذى فى التاسع والعشرين من نوفمبر من عام 1988، بحضور الولايات المتحدة، حيث انتهى بحل المسائل المعلقة والاتفاق على حلها نهائياً من خلال ثلاث اتفاقيات، أولاها تختص بالنشاط السياحى من خلال تعويض إسرائيل بمبلغ سبعة وثلاثين مليون دولار، وبأسعار ذلك الوقت، تدفعه مصر مقابل تسليمها المنشآت السياحية فى فندق «سونستا طابا» والقرى السياحية على غرار ما حدث فى كل من دهب ونويبع وشرم الشيخ من قبل، وثانيها تختص بتحديد موعد الانسحاب الإسرائيلى النهائى من طابا، وتوصيل خط الحدود إلى شاطئ الخليج (العلامة 91)، وتحدد ذلك فى تاريخ الخامس عشر من مارس من عام 1989، أما ثالثها فكانت تتعلق بنظام مرور الإسرائيليين، إلى ومن طابا إلى جنوب سيناء، فقد تم الاتفاق على السماح للسياح الإسرائيليين بالدخول إلى طابا، وفى حال دخول السيارات يتعين أن يلصق عليها بطاقة خاصة، كذلك يسمح بالدخول والخروج من طابا إلى إيلات فى زيارات متعددة خلال أربعة عشر يوماً، وأن يحمل كل سائح جواز السفر الخاص به، وأن يقوم بملء بطاقة بيانات تختم بمعرفة السلطات المصرية فى طابا، وتكون صالحة لمدة أربعة عشر يوماً.

وهكذا اكتملت الفرحة، وانتهت قضية طابا برفع الرئيس حسنى مبارك العلم فوق أراضيها الطاهرة فى التاسع عشر من مارس من عام 1989 بعد معركة سياسية ودبلوماسية استمرت لأكثر من سبع سنوات، بما يؤكد أنه ما ضاع حق وراءه مُطالب، وأن صاحب الحق يجب ألا يكتفى بأنه صاحب حق، ولكنه لابد أن يعمل بإيمان وعزيمة للحصول على حقه بكافة الوسائل المتاحة والمشروعة متبعاً الأسلوب العلمى بأن يعتمد على الخبراء والمختصين فى معرفة المشكلة وأبعادها وأسلوب التعامل معها.

ويمكن التأكيد أن استعادة طابا لم تكن مرتبطة فقط فى الذهنية الدبلوماسية والسياسية القانونية المصرية برفض التفريط فى تراب الوطن، ولكن بالتأكيد على ضرورة انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضى المحتلة كافة حسب القرار الدولى رقم (242) الذى دار خلاف حول تفسيره بين من يرى أن الانسحاب يجب أن يتم من كافة الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى عام 1967، أو من أراض ليست بالضرورة كاملة حسب النص الإنجليزى المراوغ للقرار ذاته.

وهذه نقطة مضيئة لابد من الإشارة إليها، فإذا كنا نقع عادة تحت تأثير أن الشهيد هو من يموت فى ساحة القتال، فإننا فى الحقيقة نجد أن ميادين الشهادة واسعة، فهناك من يموت من أجل بلده دون نقطة دماء واحدة، ولعل أحد أبرز هؤلاء الأبطال هو الشهيد الرائد محمد كامل الحويج ضابط الاتصال المسئول فى مفاوضات استرداد طابا بسبب خبرته بالحدود المصرية لعمله فى شرم الشيخ، والدورات التدريبية التى أثقل بها خبرته فى الطبوغرافيا، فعندما أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة صباحاً من يوم الرابع عشر من أغسطس من عام 1986 صعدت روحه إلى بارئها خلال جلوسه على طاولة المفاوضات نتيجة أزمة قلبية حادة بسبب الإجهاد الشديد، ليدون التاريخ قصة شهادة بطولية دون طلقة رصاص واحدة، حباً فى الوطن وتمسكاً برمال أراضيه، وليسجل اسمه فى السجلات العسكرية بحروف من نور.

وإذا كانت كل شعوب العالم تمر بانتصارات وهزائم، فمن حق المصريين عندما تأتى هذه الذكرى الخالدة أن يحتفلوا ويعتزوا بها، ليس للتباهى والتفاخر، ولكن لتعطيهم قوة للمستقبل، وهو ما يستدعى أن نشرح للأجيال الجديدة القضية الخاصة باسترداد سيناء وخلفياتها والانتصار العسكرى والسياسى والقانونى، فضلاً عن طريقة التحكيم والأسانيد التى اعتمدت عليها مصر فى استرداد أراضيها حتى تبقى حية فى ذهن الأجيال المقبلة.

إن ذكرى عودة طابا تجدد العهد بالحفاظ على كل حبة رمل من تراب مصر، والشعب المصرى بأكمله يضم صوته إلى صوت الرئيس عبدالفتاح السيسى عندما يقول «فى ذكرى تحرير طابا نستلهم قوة الإرادة المصرية الصلبة التى قدمت التضحيات من أجل استرداد الأرض وإقامة السلام»، ودائماً تحيا مصر.

اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الديمقراطية الأمريكية

أولاً: سقوط الكابيتول الأمريكى يوم الأربعاء ٦ يناير ٢٠٢١:
الملامح غير واضحة، والتحديات هائلة وغير مسبوقة. فقد كان خطاب ترامب الأخير قبل اختفائه عن السلطة والساحة السياسية الأمريكية والدولية هو الأدق والأخطر والأكثر تعبيراً عن حالة الاحتقان المجتمعى خلال السنوات الأربع الأخيرة، فقد كانت لحظة كاشفة حث فيها أنصاره على التوجه إلى مبنى الكابيتول Capitol أى السناتور مبنى الكونجرس الرومانى الشامخ الذى بدأ تاريخه الديمقراطى أيام أفلاطون وأرسطو دعائم وأساطين الفكر السياسى اليونانى فى أثينا القديمة.

سفير د .عادل السالوسي
dr.adelelsaloussy@hotmail.com

والذى أتاح للبشرية بناء فلسفات سياسية ألهمت ولاتزال كل النظم السياسية فى العالم القديم والوسيط والحديث جذور نظام الديمقراطية الإثنية ونظام دولة المدينة city -state أو الـ polisوكيف أن الإنسان بدأ يستلهم أفكار الفلاسفة فى ممارسة الحقوق السياسية والحريات بسلاسة ودون غوغائية وضوابط تحكمها قواعد الممارسة السياسية القانونية انطلاقاً من عصر شعراء الملاحم وأشعار هوميروس العظيم فى الإلياذة والأوديسا عام ١٢٠٠ قبل الميلاد أيام حرب طروادةTroy ، وكذلك فرجيل الشاعر الرومانى العظيم فى الإنيازة عن نشأة روما فى عصرها الملكى عام ٧٥٣ قبل الميلاد. وكيف أن أول إمبراطور لروما أوغسطس قيصر Augustus Caesar العظيم من ٢٧ قبل الميلاد حتى ١٤ ميلادية قد أرسى دعائم الحكم والإدارة الرومانية استناداً إلى قوانين روما والمواطنة الرومانية Civitas Romana لإمبراطورية شملت كل ولايات وممالك وحضارات عالم شرق البحر المتوسط Levant حتى الجزائر موطن ومسقط رأس أعظم فلاسفة وقديسى العصور الوسطى الأوروبية وهو القديس أوغسطين صاحب كتاب مدينة الله The City of God والذى توفى عام ٤٣٠ ميلادية، وكل أوروبا حتى الجزر البريطانية التى افتتحها القائد الرومانى عضو مجلس الشيوخ يوليوس قيصر الذى قتل على مذبح الكابيتول عام ٤٤ قبل الميلاد بسبب وقوعه فى غرام ملكة مصر البطلمية كليوباترا السابعة آخر ملوك دولة مصر البطلمية من ٣٢٣ قبل الميلاد حتى ٣٠ قبل الميلاد وذلك بسبب طلبها من يوليوس قيصر بناء تمثال لها داخل معبد الربة فينوس فى روما statue for her in the Temple to the Godess Venus الأمر الذى يعنى عبادة شعب روما للملكة المصرية بجانب الربة

أثينا أى فينوس طبقاً للمعتقدات الرومانية، ما أدى إلى انقلاب السناتور عليه، وهو ذاته يوليوس قيصر القائد العظيم الذى انتصر على شعوب مملكة الهيللسبونت Kingdom of pantus ومقرها الآن مدخل مضيق الدردنيل بتركيا الحالية حيث كان يسكنها أحد شعوب الشرق القديم، وأرسل إلى مجلس الشيوخ رسالة من ثلاث كلمات لاتينية هى:

Veni.. vedi.. vici وتعنى – I came، I saw، I conquered

ثم تحولت مصر بعد هزيمة كليوباترا ومارك أنطونى أمام أوغسطس أوكتافيانوس إلى ولاية رومانية Provincia Romana ضمن إرث الإمبراطورية الرومانية التى امتدت منذ ذلك التاريخ وحتى دخول الإسلام مصر عام ٦٤١ ميلادية أى قرابة ألف عام، وحتى سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام ١٤٥٣ على أيدى الأتراك السلاجقة.

– وقد تواكب مع اجتماع الكونجرس الأمريكى بمجلسيه الشيوخ والنواب يوم الأربعاء ٦ يناير ٢٠٢١ للتصديق على نتائج الانتخابات الأمريكية التى جرت يوم ٣ نوفمبر ٢٠٢٠، وذلك عبر الناخب الأمريكى الكبير أى الأصوات الكلية للمجمع الانتخابى Electoral College بحضور ورئاسة نائب الرئيس بنس pence القرار حصول المرشح الفائز بايدن Biden على ٣٠٦ أصوات من إجمالى أصوات المجمع الانتخابى البالغة ٥٣٨ صوتاً تمثل الناخب الأمريكى الكبير، الأمر الذى يعنى حصول المرشح الديمقراطى بايدن على ما يزيد عن الرقم الذهبى الذى يؤهله لتولى مقعد ولاية حكم الولايات المتحدة الأمريكية وهو ٢٧٠ صوتاً أى بنسبة ٥٠+١ من أصوات المجمع الانتخابى، تواكبت تلك اللحظات مع عملية هجوم واقتحام Assault لأنصار ترامب من عدد كبير من الولايات الأمريكية قدره البعض بحوالى ٨٠٠ رجل وامرأة فى أول حادث عنف منظم واعتداء على مبنى الكونجرس منذ الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦- ١٧٨٣ وإقرار الدستور الأمريكى وإنشاء مبنى الكابيتول كرمز للديمقراطية

وسيادة الشعب والقانون والحريات وحقوق الإنسان الأمريكى، حيث قامت جماعات عنصرية يمينية منظمة مثل proud Boys و Anon Q وKuklux Klanوغيرها باحتلال مبنى الكابيتول والعبث بحجرات النواب والشيوخ ومنها رئيسة مجلس النواب نانسى بيلوسى، الأمر الذى أوقع الديمقراطية والحياة السياسية الأمريكية فى معضلةDilemma كبرى أمام الشعب الأمريكى ودول العالم التى رأت كيف صعد الرئيس ترامب لمدة أربع سنوات إلى سدة حكم الدولة الأعظم فى العالم منذ الحرب العالمية الثانية على أكتاف اليمين القومى الشعبوى ذى النزعة العنصرية والاستعلاء العرقى الأبيض . White Supremacy

ثانياً: مقاربة اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية بتداعى الديمقراطية الأمريكية:

يقول المؤرخ البريطانى إدوارد جيبون ١٧٣٧- ١٧٩٤ فى كتابه من ثلاثة مجلدات: اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية Decline and Fall of the Roman Empire ، ترجمة ومراجعة أحمد نجيب هاشم عام ١٩٦٩ عن دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالتنسيق مع وزارة الثقافة «المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر»، حيث جاء إخراج المجلد الأول مصادفة عام ١٧٧٦ تاريخ الثورة الأمريكية والمستعمرات الثلاث عشرة التى كانت تنشد الانفصال والاستقلال عن بريطانيا العظمى، كما أن

المجلد جاء متأثراً بالفلاسفة الفرنسيين فولتير ومونتسكيو وجان جاك روسو والفيلسوفين البريطانيين جون لوك وتوماس هوبز؛ كما جاء إصدار المجلد الثانى والثالث فى إبريل ١٧٨١. وقد توفى جيبون عام ١٧٩٤وهو نفس العام الذى توفت فيه القيصرة الروسية من أصل ألمانى من مقاطعة prussia الألمانية التى كانت قلب توحيد ألمانيا على أيدى أوتو فون بسمارك عام ١٨٧٠، وقد حققت هذه القيصرة لروسيا امتدادات ونفوذاً عظيماً فى كل مدن ولايات البحر الأسود من أملاك الدولة العثمانية. وعاصر جيبون بالمثل مثل كاترين الثانية أحداث ومخاض الثورة الفرنسية ابتداء من ١٤ يوليو ١٧٨٩ وحتى ظهور عصر الإدارة Administration وزعماء عصر الإرهاب روبسبير وماران ودانتون ومقتل الملك لويس السادس عشر وزوجته مارى أنطوانيت ذات الأصول الإنجليزية؛ وبدايات ظهور نابليون بونابرت ذى الأصول الإيطالية المولود على جزيرة كورسيكا عام ١٧٦٩ نفس العام الذى انضمت فيه لفرنسا .

لقد أبرز جيبون فى مجلداته الثلاث اعتراف الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤- ٣٠٥ ميلادية والذى اعتزل الحكم وقضى أعوامه التسعة الأخيرة فى الاشتغال بالزراعة وفلاحة الأرض، وهو ذاته الإمبراطور الذى قام باضطهاد معتنقى الديانة المسيحية الجديدة فى كل مدن وولايات الإمبراطورية الرومانية، حتى إن الكنيسة المصرية الأرثوذكسية تؤرخ تاريخها الكنسى القبطى بداية من تاريخ اعتلاء هذا الإمبراطور العرش عام ٢٨٤ ميلادية وتسمية فترة حكمه «عصر الشهداء». اعترف دقلديانوس فى مناقشاته مع أصدقائه بعد ترك الحكم طواعية: «بأن أشق فن فى الحياة هو فن الحكم» .

وتلك كانت خلاصة تجربته الطويلة فى حكم الإمبراطورية الرومانية التى امتدت من ٢٨٤ حتى ٣٠٥ من ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

وفى التقدير والواقع أن حصار أنصار ترامب لمبنى الكابيتول من الخارج والداخل يشبه ما جسده جيبون قبل ما يزيد عن ١٦٠٠ عام من الحصار الأول لمدينة روما Rome ونهبها عام ٤١٠ ميلادية حيث استيقظ أهالى العاصمة على صوت هائل صادر من أبواق جماعات القوط الجرمانية البربرية والتى هاجمت مدينة روما مجد الإمبراطورية حيث استسلمت المدينة أمام اقتحام الجماعات الهمجية، مثلما استسلم حراس الكابيتول الأمريكى أمام الجحافل الغاضبة.. ووصف جيبون بأن اللصوص من القوط جردوا قصور نبلاء روما فى قسوة وشراسة من الأثاث الفخم والثمين .. كما أن روائع الفن وتماثيل العظماء لم تسلم من العبث وعوملت بصورة خشنة تدل على بربرية المقتحمين.

ثم يعرج جيبون إلى السقوط الثانى والنهائى لروما عام ٤٧٦ ميلادية والذى ارتبط بآخر أباطرتها الذى فر هارباً وهو رومولوس أوغسطولوس، فيما قهر البرابرة إحساس الرومان الشامخ بالحرية والمجد. وأصبحت روما والولايات التابعة لها ملكاً ذليلاً لطاغية تعوذه الحكمة والذكاء. وظل مصير روما يعتمد فترة طويلة على سيوف أولئك الغرباء. فروما وحواضرها كان يبدو عليها مظهر الشقاء والخراب والإنهاك، وفى عصر انقسمت فيه الإمبراطورية منذ عصر الإمبراطور ثيودوسيوس عام ٣٩٥ ميلادية إلى إمبراطورية فى الشرق عاصمتها القسطنطينية وأخرى فى الغرب عاصمتها روما، وكانت ولاية مصر من نصيب الإمبراطور الجالس على عرش القسطنطينية؛ وكانت تلك اللحظات تشهد امتناع ورود محاصيل وقمح مصر التى كانت تدفع كجزية للإمبراطورية الرومانية. فالرفاهية التى كانت روما تعيش فيها أنضجت مباديء الاضمحلال والسقوط، وامتداد الغزو والانهيار من الهون Huns من وسط آسيا والقوطGhots والماغيار والجرمان والوندالVandals من شمال أوروبا وإسكندنافيا هرباً من صقيع عروض الدائرة القطبية الشمالية، ما أدى إلى خراب ودمار وهلاك روما، وإنهاء هذا الكيان الضخم تحت وطأة الغزاة البرابرة، حيث طغت فى أول الأمر على حرية الدولة، ثم حطمت بعد ذلك جلال وعظمة وهيبة الملك، وبدأ تراخى قوة الإدارة أمام طغيان طوفان البرابرة Barbari.

لقد كان يوم الأربعاء ٦ يناير ٢٠٢١ يوم الصدمة للولايات المتحدة الأمريكية. ولكل العالم الحر. بريطانيا والاتحاد الأوروبى وأستراليا ونيوزيلندا. وروسيا الاتحادية والصين. وشعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، تلك الدول والشعوب التى شهدت لأول مرة فى التاريخ المعاصر محاولة إرهاب داخلى Domestic Terrorism

اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الديمقراطية الأمريكية

لمقرات دستورية للدولة الأعظم فى العالم كما وصفها الرئيس بايدنBiden فى خطابه يوم التنصيب فى ٢٠ يناير ٢٠٢١، حيث اعتبر ذلك تمرداً وانقلاباً على الدستور وبيت الشعب الأمريكى، وأن ذلك عمل مدبر من الرئيس ترامب وأتباعه، فيما قال الجنرال ماتيس وزير الدفاع الذى أقاله ترامب سلفاً: «إن الهجوم الذى حدث اليوم على مقر الكابيتول ليس إلا محاولة لإخضاع الديمقراطية الأمريكية لحكم الغوغاء، الذى أرسى قواعده الرئيس ترامب، والذى استخدم إدارته لتحطيم الثقة فى العملية الانتخابية، واستطاع بذلك إحداث انقسام وشرخ وتصدعRift فى العلاقة بين الأمريكيين. وأضاف بأن ترامب نفسه لايستحق أكثر من أن ينبذ ويترك وحيداً.

لقد كان هذا وصفاً قاسياً لأحد أركان نظام ترامب سابقاً وهو وزير دفاع وشخصية مرموقة ومحترمة جاءت فى بدايات عهد ترامب فى ٢٠ يناير ٢٠١٧. إلا أنه فى أقل من عامين ترك منصبه احتجاجاً على سياسات ترامب غير المسئولة فى بعض قضايا السياسة الخارجية والدفاعية المفصلية للولايات المتحدة الأمريكية لرئيس جاء من خارج السياق Establishment ، أدار الأمور بصيغة رجال الأعمال والمكسب والخسارة، فأدى إلى تراجع دور الولايات المتحدة القوة الأعظم فى العالم حتى مع شركائها فى كندا والاتحاد الأوروبى واليابان وكوريا الجنوبية والهند وغيرها قبل أن يكون مع الخصوم من روسيا الاتحادية والصين وكوريا الشمالية وإيران وغيرها. الأمر الذى سمح لجماعات عنصرية يمينية مثل Anon Q وغيرها العبث بعلم الكنفدرالية الأمريكية خلال عملية اقتحام الكابيتول، فضلاً عن الدهس بالأقدام والعبث بمحتويات غرف النواب والشيوخ ومنهم مكتب نانسى بيلوسى خصم ترامب اللدود والتى تسعى جاهدة إلى القضاء على حياته السياسية عبر محاكمات متكررة. إن هذه الجماعات العنصرية كانت تعنى الكثير لمؤيدى ترامب منذ المعارك الدائرة من خلال تحقيقات مولر والذى كان يشغل من قبل مديراً لمكتب التحقيقات الفيدراليFBI المعروف فى الأدبيات الأمنية بمكتب ادجار هوفر Edgar Hoover باعتباره المؤسس لوكالة التحقيقات الفيدرالية الأمريكية، هذا مع استمرار تربص أركان الدولة العميقة بجميع مكوناتها البحثية والسياسية والأمنية والعسكرية والإعلامية وغيرها فضلاً عن منصات التواصل الاجتماعى Social Media فى صراعها الأخير مع ترامب وتقليم أظافر سلطة ومكانة وهيبة البيت الأبيض.

ثالثاً: العقبات السياسية والقانونية التى تواجه جهود مكافحة التطرف

أشارت جريدة الواشنطن بوست أن اقتحام مبنى الكابيتول فى السادس من يناير ٢٠٢١ أوضح لمسئول الأمن القومى الأمريكى أن التطرف العنيف تهديد لايأتى فقط من الخارج، ولكنه يصنع فى أمريكا، ويضعهم فى مواجهة عقبات قانونية وثقافية وسياسية. كما أوضحت الصحيفة أن هذه التهديدات من اليمين المتطرف وأصحاب نظرية المؤامرة تأتى من جماعات داخل المجتمع الأمريكى ومسئولين من جميع أنحاء البلاد شجعهم تأييد الرئيس ترامب وبعضهم تبنى وجهة نظر عنصرية علناً وارتكاب أعمال عنف ضد المؤسسات الأمريكية. وأضافت بأن الرئيس بايدن وإدارته ستواجه تحدياً لردع المتطرفين داخل أمريكا وإجراء التحقيق معهم وملاحقتهم عندما تصل الأمور إلى حد العنف. كما أن مسئولى الأمن وإنفاذ القانون سيواجهون عقبات قانونية وسياسية وثقافية لمحاربة مرض يبدو أنه استشرى فى الجهاز العصبى للبلاد خلال سنوات ترامب وما قبله. فيما أشارت المتحدثة باسم البيت الأبيض بأن الرئيس Biden فوض المديرة الجديدة للاستخبارات الوطنية Hainse بالتنسيق مع مكتب التحقيقات الفيدرالى ووزارة الأمن الداخلى لإجراء تقييم شامل حول التطرف والعنف الداخلى. كما سيجرى البيت الأبيض بدوره مراجعة من قبل مجلس الأمن القومى لتحديد ما إذا كان بإمكان الإدارة أن تتشارك بشكل أفضل للمعلومات أو تقوم بخطوات أخرى للتخفيف من هذا التهديد الذى يواجه المجتمع الأمريكى بقوة مع مطلع الألفية الثالثة.

كما تطرح الآن بعض الأسئلة والاستفسارات داخل المجتمع الأمريكى بشأن أفكار الربط بين أحداث وتداعيات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وحادث اقتحام مبنى الكابيتول الأربعاء ٦ يناير ٢٠٢١. أخذاً

فى الاعتبار أن الحدثين جاءا من الداخل الأمريكى. حيث يرغب الديمقراطيون وعدد كبير من وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعى التى تكره الرئيس السابق ترامب، تصوير مثيرى العنف والشغب يوم ٦ يناير من جماعات اليمين المتطرف على أنهم: «إرهابيون محليون»، قاموا بتمرد فاشل من أجل منع بايدن من تولى السلطة. فى الوقت الذى تخشى فيه قيادات الحزب الجمهورى من فكرة أن تكون أحداث ٦ يناير ٢٠٢١ بمثابة أحداث ١١ سبتمبر٢٠٠١ جديدة. وأن التاريخ يعيد نفسه، فيما تؤدى الأحداث إلى شيطنة الحزب وتقسيمه بالفعل، وبالرغم من محاولات بايدن توحيد الأمة الأمريكية، وهى أمة من المهاجرينNation of Pilgrims ، إلا أن بعض قيادات الديمقراطيين سنحت لديهم الفرصة لانتزاع مكاسب سياسية لم تكن متوقعة من الجمهوريين بهذه السهولة وفى وقت قصير واستغلال الاقتحام المخزى للكونجرس بنفس الأسلوب والتوجه Attitude الذى مارسه الجمهوريون فى أعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١عهد الرئيس بوش الابن ونائبه ديك تشينى ووزير دفاعه دونالد رامسفيلد وكونداليزا رايس وجميعهم من صقور الجمهوريين، وأن رئيسة مجلس النواب نانسى بيلوسى وعدد غير قليل من القيادات الديمقراطية تسير فى طريق الانتقام إلى نهايته لتقليم أظافر ترامب والمعارضين فى الحزب الجمهورى عن طريق الاستمرار فى بث

مقاطع من فيديو الاقتحام الشهير لأنصار ومؤيدى ترامب داخل مبنى الكونجرس، مع التذكير بأن هذا العمل المخزى والهمجى جاء بأوامر وتحريض مباشر من ترامب عبر خطابه وتغريداته على التمرد على الكيانات الدستورية ومؤسسات الديمقراطية، فضلاً عن تحميل ترامب حالة الانقسام المجتمعى وتعميق الكراهية والعنصرية داخل مكونات الأمة الأمريكية.

رابعاً: تقدير الموقف السياسى والحضارى والجيوإستراتيجي

ماذا تعنى أهمية سقوط مبنى الكابيتول Capitol أو الـ Pantheonالأمريكى ولو حتى لساعات للعالم الحر والديمقراطيات الغربية القائمة على أمجاد الفكر ونظم الحكم والتراث اليونانى الرومانى؟! إنه مبنى البرلمان الأمريكى الذى استقى فكرة بنائه وعمارته على طراز المعبد الرومانى Pantheon الرئيس الأمريكى توماس جيفرسون ١٧٤٣- ١٨٢٦ وهو الأب الروحى للديمقراطية والحريات الأمريكية، وهو الذى أعلن استقلال الولايات الثلاث عشرة بعد حرب الاستقلال عن بريطانيا العظمى من خلال أحداث الثورة الأمريكية ١٧٧٦- ١٧٨٣، واستلهام فكرته من المعبد الرومانى الكلاسيكى Roman Temple بقبته المشهورة لكى يكون فى ولاية فرجينيا Virginia State Capitol Building.

وماذا يعنى البانثيون Pantheon بالنسبة لروما القديمة؟ وكيف ومن أين جاءت الأعمدة التى يستند إليها ذلك البناء الأسطورى التاريخى الباقى حتى الآن منذ ما يقرب من ٢٠٠٠ عام من الزمان؟! تقوم دعائم الـ Pantheon والذى يعنى باليونانية الكلاسيكية honor of Gods أى أنه بناء جاء تمجيداً لكل الآلهة، وليكون حائلاً أمام زحف البرابرة على روما العظيمة وريثة التراث والفكر السياسى والفلسفة والعمارة والحضارة اليونانية الكلاسيكية أمام بدايات زحف البرابرة من الشرق وحتى الشمال الأوروبى وهو البناء الذى تحول إلى كنيسة كاثوليكية اعتباراً من عام ٦٠٩ ميلادية. وتقوم دعائم المبنى على ١٦ عموداً على الطراز المعمارى الكورنثى اليونانى تم استحضارها من جنوب مصر خلال العصر البطلمى عن طريق زحافات تسير على مجرى نهر النيل الخالد حتى موانيء البحر المتوسط، ثم نقلها عبر سفن رومانية إلى موانيء روما كان أهمها أوستيا port of ostia ثم أعيد نقلها إلى نهر التيبر الذى تقع عليه روما، ويقال إن ذلك تم خلال عصر القنصل الرومانى Marcus Agrippa خلال فترة حكم القناصل لروما وذلك تخليداً لرومولوس المؤسس الأسطورى لمدينة روما عام ٧٥٣ قبل الميلاد. إلا أن مؤرخ العصور اليونانية الرومانية الكلاسيكية وأؤيدهم فى ذلك التقدير باعتبارى من دارسى اللغات اليونانية القديمة الكلاسيكية واللاتينية ومن مؤرخى وعلماء الحضارات القديمة المقارنة ودرستها منذ خمسين عاماً بأن معبد البانثيون تم تشييده فى عهد أول إمبراطور وهو أغسطس قيصرAugustus Caesar من ٢٧ قبل الميلاد حتى ١٤ ميلادية وهو الذى جاء إلى مصر بعد هزيمته لكليوباترا السابعة ومارك أنطونى فى موقعة أكتيوم عام ٣١ قبل الميلاد ثم زحف على مصر وبقى بها فترة زار فيها الوادى من الشمال إلى الجنوب، ثم تحولت مصر فى عهده بعد مصرع كليوباترا إلى ولاية رومانية Provincia Romana وعلى ألا يزورها أحد من نبلاء أو شيوخ روما إلا بإذن منه. وهكذا تحولت مصر لأن تحكم لأول مرة فى تاريخها منذ ما يزيد عن ٣٠٠٠ عام من خارج حدودها أى منذ عهد الملك العظيم مينا Menesكما أسماه العلامة الأمريكى جيمس هنرى بريستد والألمانى أدولف إيرمان والفرنسى ماسبيرو، كما وأن هذا المعبد بالنسبة لأول إمبراطور رومانى كان يمثل أحد دعائم الحضارة والفن والعمارة الرومانية، وهى الأساس الذى قام عليه عصر النهضةRenaissance وعصر التنوير Enlightenment فى أوروبا خلال القرون ١٦، ١٧، ١٨ لإحياء التراث اليونانى والرومانى فى الأدب والفكر والفنون والعمارة وهو ما تستند إليه أوروبا وأمريكا.

لقد أمدت مصر حضارات العالم عبر العصور بالعلوم والفنون والدين والإيمان والتوحيد، وكانت مهداً لكل مدنيات الشرق الأدنى القديم وعالم شرق البحر المتوسط فى العلوم والفنون والقانون والإدارة، وكانت الباعث للفكر السياسى والقانونى لمفهوم الدولة المدنية المركزية بشكلها الراهن (شعب- إقليم- نظام سياسي- سيادة- اعتراف دولي)، قبل أن تعرف أوروبا فكرة الدولة الحديثةNation- State بعد مرحلة مخاض وحروب وهجمات من برابرة الشمال والشرق من الهون والقوط والجرمان والماغيار والوندال إلى حروب الثلاثين عاماً ١٦١٨- ١٦٤٨ حتى صلح وستفاليا ١٦٤٨ الذى أقر الوضع السياسى والقانونى للدولة الأوروبية المدنية الحديثة.

لقد أجمع مؤرخ الحضارات القديمة والمستشرقون على أن حضارات الشرق الأدنى القديم Levant وفى القلب منه الحضارة المصرية القديمة التى استمرت شامخة لمدة تزيد على ثلاثة آلاف عام، ثم استمرت فى شكل الحضارة الهيللينستية Hellenistic Civilisation من خلال الإسكندرية عاصمة العالم المتحضر لمدة تقترب من ألف عام منذ عصر البطالمة والعصر البيزنطى وحتى دخول الإسلام عام ٦٤١ ميلادية. ثم فى عصورها الإسلامية الأخرى مهد ومنارة للفكر والتنوير حتى أن ابن خلدون المؤرخ الاجتماعى والذى زارها فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ذكر أن سبب ازدهار حضارة مصر فى الفترة المملوكية يرجع إلى تعودها على الحضارة من فنون وعلوم وآداب منذ آلاف السنين، فوصفها بقوله: « ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر، فهى أم العالم، وإيوان الإسلام، وينبوع العلم والصنائع» .

وحسبنا أن نشير هنا ونستشهد بالدكتورة المستشرقة الألمانية زيجريد هونكة فى كتابها الصادر عام ١٩٦٢: «شمس العرب تسطع على الغرب» حيث تقول: لقد حول العرب الأندلس خلال مائتى عام من بلد جدب فقير يعانى من ظلمات العصور الوسطى إلى بلد عظيم مثقف مهذب يقدس العلم والفن والأدب والفلسفة. قدم لأوروبا

سبل الحضارة وقادها فى طريق النور. ولم يبدأ الغرب نهضته وازدهاره إلا بعد احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وفكرياً وأدبياً وفنياً وتجارياً، الأمر الذى أنقذ الكنيسة فى الغرب من الانحدار. فحضارة العرب المسلمين هى التى قلبت ظلمات أوروبا العصور الوسطى وأرست دعائم وقواعد الحضارة الأوروبية الحديثة.

إن الأزمة الحضارية الحديثة التى تنامت بسبب سقوط الأيديولوجيات، وانتهاء الحرب الباردة Cold War Era فى ديسمبر ١٩٩١ وسقوط نظام الثنائية القطبية Bi-polar System الذى امتد بعد الحرب العالمية الثانية بين الشرق والغرب عبر الأحلاف العسكرية (حلف شمال الأطلسى وحلف وارسو)، ومحاولات الاحتواء المزدوج Containment Policy عبر الاستقطاب الدولى، ما أدى بالعالم إلى البحث عن نظام عالمى جديد من خلال العولمة فى مجالات التجارة (منظمة التجارة العالمية)، والإعلام وصورة الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعى ومحاولات الحوار والتعاون والتفاهم والبناء المشترك، إلى بداية ظهور وبزوغ صدامات أخرى مع مطلع الألفية الثالثة وأحداث سبتمبر ٢٠٠١، ثم إعادة التوازن الإستراتيجى وصعود قوى أخرى عالمية الاتجاه مثل الاتحاد الروسى والصين، وقوى أخرى إقليمية تبحث عن دور ومفهوم جديد للأمن الجماعى الإقليمي Regional Collective Security خارج إطار النظام العالمى الأشمل بعد الحرب العالمية الثانية من خلال الأمم المتحدة أو حتى المنظمات الإقليمية ذات الاختصاص السياسى والاقتصادى مثل الاتحاد الأوروبى والاتحاد الإفريقى وجامعة الدول العربية.

هذا وتتقاطع أفكار وتطلعات اليمين المتطرف مع نظم الحكم والإدارة فى مختلف دول العالم، وتشكل لها هواجس أمنية فى الاستقرار السياسى والاقتصادى والسلم الاجتماعى وغيره. ففى عالم السياسة تمثل أفكار اليمين المتطرف توليفة من عدة مفاهيم تبدأ من الإقصاء فى أبعاده العنصرية وإرهاب الأجانب والاستعلاء العرقى، مع عبادة الشخصية والشعبوية ومعاداة التعددية العرقية، وتحدى النظام والقانون ومؤسسات الدولة... إلخ. وقد ظهرت بدايات اليمين المتطرف فى أوروبا والولايات المتحدة منذ حقبة الثمانينيات من القرن العشرين مع سقوط حائط برلين عام ١٩٨٩، ثم انهيار الاتحاد السوفيتى فى ٢٥ ديسمبر ١٩٩١، وعملية التفتت فى شكل كومنولث الدول المستقلة ومحاولات دول شرق أوروبا الانضمام إلى الاتحاد الأوروبى خاصة بعد إقرار معاهدة ماستريخت Mastrecht عام ١٩٩٢ والتى أتاحت للبناء السياسى والاقتصادى الأوروبى فرص التكامل والاندماج Integration وفتح مجالات لحريات التنقل والعمل والإقامة لكافة شعوب المنظومة الأوروبية ما أشعل عدم الرضا لدى جماعات اليمين القومى المتطرف فى ألمانيا والنمسا وفرنسا وهولندا وإيطاليا، كما أدت أزمات الاقتصاد والكساد العالمى فى ٢٠٠٨ إلى حالة ركود وبطالة واحتقان غذت مشاعر الكراهية لدى الأجانب واللاجئين حتى لو كانت من أصول أوروبية شرقية.

ولقد أظهرت دراسة حديثة فى ديسمبر ٢٠٢٠ أجرتها الخارجية الألمانية حول استغلال اليمين المتطرف وباء فيروس كورونا Corona Virus Pandemic للتمدد فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وأشارت الدراسة بظهور حركة فى عام ٢٠١٤ تسمى «بلا قيادة» عابرة للحدود تنبيء بنهاية العالم وتتجه نحو العنف بدأت بالصعود فى عدة دول أبرزها ألمانيا والنمسا والمجر وهولندا وبلجيكا وبريطانيا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة، وتسعى الحركة إلى بناء روابط عالمية واستغلال جائحة كورونا لاستمالة مناهضى اللقاحات. وقد حذر وزير خارجية ألمانيا هايكو ماس من أن التطرف اليمينى هو أكبر خطر يهدد أوروبا. فيما شوهدت أعداد من المتظاهرين فى ألمانيا تؤدى التحية النازية على مرأى ومسمع من عناصر الشرطة مع رفع شعارات معادية للسامية ضد كل الأعراق غير الأوروبية الأصل.

أهم المراجع

1- إدوارد جيبون: اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية، ٣ مجلدات، تعريب ومراجعة أحمد نجيب هاشم ١٩٦٩، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر.

2- د. عبد المنعم عبد الوهاب: جغرافية العلاقات السياسية، الكويت ١٩٧٧.

3-د. عبد الرحمن بدوى: دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، الأنجلو المصرية ١٩٦٧.

4-د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى «النظم والحضارة» القاهرة ١٩٥٩.

5- السفير الدكتور عادل السالوسى: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، مجلة «الدبلوماسى»، العدد ٢٨٧، يناير ٢٠٢٠.

6-السفير الدكتور عادل السالوسى: الدولة عبر التاريخ فى السياسة والجغرافيا والقانون والجيوإستراتيجى، مجلة «الدبلوماسى» العدد ٢٩١، مايو ٢٠٢٠.

مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية

Office of Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA)

سفير د. سامح أبو العينين
samehenein@yahoo.com

أولاً: تعريف المكتب

مكتب تنسيق الشئون الإنسانية هو جزء من الأمانة العامة للأمم المتحدة المسئول عن ضمان الاستجابة المتماسكة لحالات الطوارئ.

يضمن مكتب تنسيق الشئون الإنسانية الإطار الذى يمكن لكل طرف أن يسهم به فى جهود الاستجابة الإنسانية بشكل عام. ويهدف إلى دعم العمل الإنسانى الفعال، إنقاذ الأرواح والحد من المعاناة.

ثانياً: مهمة المكتب

* تعبئة وتنسيق العمل الإنسانى الفعال والمبدئى فى شراكة مع الجهات الفاعلة الوطنية والدولية من أجل تخفيف المعاناة الإنسانية فى حالات الكوارث والطوارئ.
* الدعوة إلى حقوق المحتاجين.
* تعزيز التأهب والوقاية.
* تسهيل حل مستدام للدعم الإنسانى.

ثالثاً: أعمال المكتب

يحدد مكتب تنسيق الشئون الإنسانية أجندة السياسة الإنسانية لتحديد الاتجاهات الناشئة وتطوير مواقف مشتركة ومنسقة لسياسة الدعم الإنسانى والدعوة بين منظمات الإغاثة القائمة. وذلك بناء على المبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان والقانون الدولى العام.

يوفر مكتب تنسيق الشئون الإنسانية التوجيه السياسى والوضوح بشأن القضايا الملحة فى المجال الإنسانى، للمساعدة فى تعزيز استجابة فعالة، ويحدد مكتب تنسيق الشئون الإنسانية أفضل الممارسات والدروس المستفادة من خلال تقييم العمل الإنسانى لتعزيز فعاليته.

رابعاً: سياسات المكتب

تعمل سياسة مكتب تنسيق الشئون الإنسانية لتعزيز معايير قياسية للعمل الإنسانى ويتناول مجموعة من التحديات والسياقات. لمحاذاة أكثر فعالية للموارد وجهود الإغاثة مع احتياجات الناس، وتستند السياسة الإنسانية بشكل متزايد على الأدلة التى تم جمعها فى كل مرحلة من مراحل العملية.

يقدم المكتب أعداداً كبيرة من الجهات الفاعلة الإنسانية والعسكرية والسياسية ويسلط الضوء على أهمية توجيه سياسى واضح حول القضايا الإنسانية. وهذا يشمل وجوداً متكاملاً للأمم المتحدة والعمليات فى البيئات الأمنية المعقدة.

يتكفل حماية المدنيين فى الصراعات المسلحة من الأذى وضمان حصولهم على المساعدات الإنسانية ومساعدة النازحين من جراء الكوارث الطبيعية التى تتطلب الإغاثة الفورية وجهود الإنعاش المستدامة.

يدعو المكتب إلى زيادة التعاون بين الحكومات الوطنية، والجهات الفاعلة الإنسانية وبناء القدرات الوطنية. ويشمل توجيه السياسات مجالات مثل الانتقال من الأزمات إلى الانتعاش وبناء السلام.

خامساً: الأهداف المستقبلية

مكتب تنسيق الشئون الإنسانية لديه ولاية فريدة من نوعها للتحدث باسم الشعب الأكثر تضرراً من الحالات الإنسانية. كما أن المنظمة مكلفة بمهمة تنسيق الاستجابة الإنسانية على نطاق دولى، وهدفه النهائى هو إنقاذ الأرواح والحد من تأثير الصراعات والكوارث الطبيعية.

يعمل المكتب أيضاً مع مجموعة واسعة من الشركاء ليساعد على تحديد القضايا التى تحتاج إلى تسليط الضوء عليها. يمكن لهذه المجموعة أن تفحص احتياجات متابعة المكتب لأزمات جديدة، مثل الآثار الإنسانية المترتبة على مشاكل مثل تغير المناخ أو انعدام الأمن الغذائى.

يوفر المكتب التحليل والسياسات للمساعدة فى تشكيل التفكير حول القضايا المعقدة. ويتم أيضاً إنتاج التقارير وتطوير الرسائل التى تمكن المجتمع الدولى من اتخاذ قرارات مستنيرة وتقديم المساعدات بشكل فعال ومتماسك.

لمزيد من المعلومات، يمكن الاطلاع على الرابط الإلكترونى للمنظمة:

www.unocha.org

الرئيس الأمريكى بايدن ومشكلات الشرق الأوسط

لا شـــك فى أن تولى الرئيس الأمريكى جو بايدين، الســـلطة خلفاً للرئيس ترامب فى 20 يناير 2021، يمثل نقلة نوعية فى الرئاســـة الأمريكية ومنهج تناولها لجميع القضايا كافة سواء كانت القضايـــا الداخلية الأمريكية، أو القضايا الدولية والإقليمية فى مختلف مناطق العالم، والعمل على اســـترداد المصداقية فى السياسات الأمريكية والتى تعرضت لاهتزازات قوية على مدى أربع ســـنوات من حكم الرئيس ترامب، وفريق العمل الذى اختاره وفق رغباته وأهوائه الشخصية، وولاء من يختارهم لشخصه بغض النظر عن مدى إلمامهم بأبعاد القضايا التى تدخل فى نطاق عملهم.

وكما يقال فإن المقدمات تحدد المســـار الذى يؤدى إلى تحقيق نتائج معينة ســـواء غطت كل الأهداف المرجوة أو بعضها. وقد بـــدأ الرئيس بايدن باختيـــار فريق العمل الذى يعمل معه فى كافة المجالات، بحيث إنه يجمع بين عدة متطلبات تتفق مع ما يسعى إليه من إنجازات على المســـتويين الداخلى والخارجى، وحقـــق الاختيار تمثيلاً متنوعاً بتنـــوع مكونات المجتمع الأمريكى ســـواء من أصول إفريقية وآســـيوية ومن السكان الأصليين، ومن أصول لاتينية، بل إن بايدن حرص على إرضاء المثليين والمتحولين جنسياً فى المجتمع الأمريكى.

ويلاحـــظ أن الأغلبيـــة العظمى ممن اختارهـــم بايدن خـــبراء متخصصون فى مجـــالات عملهم تأكيـــداً لاتجاهه فى إدارة شـــئون الدولة عن طريق المؤسسات بحيث تعمل وتتحرك بالتـــوازى فى كافة المجالات والاتجاهات، وهـــذا عكس مقولة أن بايدن قد يركز على قطاعات معينة دون الأخرى، لأنه يأخذ فى اعتبـــاره الاحتمال المرجح بأن لا يحظى إلا بفترة رئاسية واحدة، ومن ثم يريد أن ينجز خلالها أقصى ما يســـتطيع مع فريق العمل معه من إنجازات يتوج بها مسيرته السياسية الطويلة.

وكان بايدن ســـخياً فى مجاملة اليهود الأمريكيين الذين صـــوت نحو 75٪ منهم لصالحه فى انتخابات الرئاسة، وفضّلوه على ترامب، حيـــث اختار من اليهود الأمريكيين وزير الخارجية، ومدير المخابرات المركزية، ورئيـــس موظفى البيـــت الأبيض، ووزير الأمن الداخلى، والنائب العام «وزير العدل» ووزيرة الخزانة «المالية» ووزيرة الشـــئون السياسية، وغيرهم فى مناصب أخرى مهمة. وهنا يثور سؤال وهو: هل يساعد ذلك بايدن فى اتخاذ قرارات عادلة تجاه الفلسطينيين تطبيقاً لحـــل الدولتـــين، دون أن يتهمه الإسرائيليون بأنه متحيز لجانب دون آخر؟

سفير رخـا أحمد حسن
rakhahassan@yahoo.com

وقد بدأ بايـــدن حكمه بالتوجه مباشرة إلى قضايـــا الشرق الأوســـط وهى إحدى المناطـــق الحيوية بالغـــة الأهمية للولايات المتحـــدة الأمريكية ســـواء لضمـــان أمن إسرائيل وحمايتها، أو الأهمية الإستراتيجية للمنطقة فى أية منافســـة على مراكز النفوذ بين واشـــنطن، وكل من روســـيا والصين، أو بحكم المصالـــح الاقتصادية والتجارية والاستثمارية، ومبيعات الأسلحة، ومصادر البترول والغاز، وحلفـــاء الولايات المتحدة وأصدقائها.

القضية الفلسطينية وحل الدولتين:

إن إعـــادة الرئيس بايـــدن طرح حل الدولتين بالنســـبة للقضية الفلســـطينية، والمفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، بمثابة تصحيح للمسار الذى انحرف عنه الرئيس ترامب الذى تمســـك بـــإصرار بما عرف بصفقة القرن، وهى فى حقيقة الأمر تصفية للقضية الفلســـطينية على مراحل والانتهاء بكيان فلســـطينى أقل بكثير من أن يكون دولة كما قال رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو. ولن يتراجع بايدن عـــن الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقل السفارة الأمريكية إليها. كما أنه سيســـتمر فى دعم وتشجيع عملية تطبيع العلاقات بين إسرائيل والدول العربية حيث إن ذلك وفقاً للرؤية الأمريكية يساعد على بناء الثقة بين إسرائيل وجيرانها من ناحية، ويسهم إيجابياً فى استكمال عملية الســـلام وحل الدولتين. وأكدت إدارة بايدن اســـتمرار الالتزام بالعلاقات الإستراتيجية مع إسرائيل وأواصر التعاون الوثيق معها فى كافة المجالات. ولكن الإسرائيليين، وخاصة المســـتوطنين فى المســـتوطنات الإسرائيلية المقامة على الأراضى الفلســـطينية المحتلة فى الضفة الغربية والقدس الشرقية، يتذكرون موقف بايـــدن عندما كان نائبـــاً للرئيس أوبامـــا، ومطالبته إسرائيـــل بالتوقف عن البناء فى المستوطنات لما يمثله ذلك من عائق أمام المفاوضات والتوصل إلى تسوية تنتهى بحل الدولتـــين. ويعترض اليمين الإسرائيلى بصفة عامـــة على إقامة دولة فلســـطينية عاصمتهـــا القدس الشرقيـــة. وقد دخلت إسرائيـــل فى معمعة الحمـــلات الانتخابية تأهباً للانتخابات العامة التى ســـتجرى فى 23 مارس 2021 وإذا لـــم تعقبها إعادة للانتخابات، فإن تشكيل حكومة جديدة لن يتم قبل النصف الثانى من مايو 2021 إذا ســـارت الأمور على وتيرة عادية. لذا يتوقع عدم التزام إسرائيل بالدخول فى مفاوضات مع الفلسطينيين أو من خلال مؤتمر دولى ترعاه الأمم المتحـــدة والرباعية الدولية قبل تشكيل الحكومة الجديدة.

وقـــد صرّح رئيـــس وزراء الســـلطة الفلســـطينية أنهـــم أجـــروا اتصالات مع إدارة بايدن وذلك بالاتصال بالمســـئول عن ملف الشئون الفلســـطينية والإسرائيلية فى الخارجية الأمريكية هـــادى عمرو، وذلك للتشاور بشـــأن إعادة فتح مكتب الاتصال لمنظمة التحرير الفلســـطينية فى واشنطن الذى أغلقـــه ترامب، وعودة المســـاعدات الأمريكية للسلطة الفلسطينية التى أوقفها ترامب، وإعادة المشاركة الأمريكية فى دعم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة «أونروا» التى انسحب

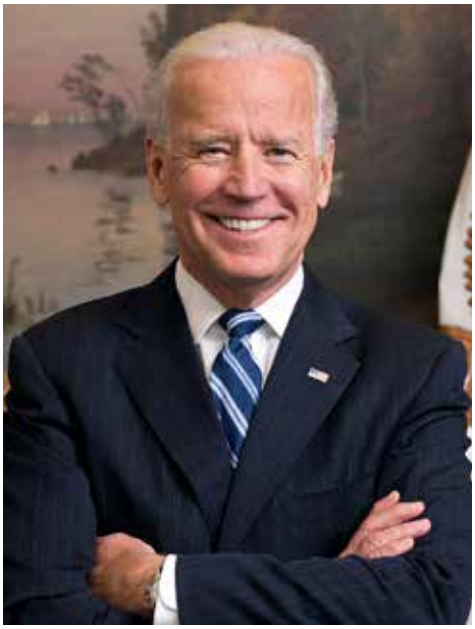

منهـــا ترامب وأوقف المســـاهمة الأمريكية فى تمويل أنشـــطتها، خاصـــة وأن الوكالة تواجـــه أزمة مالية كبـــيرة، وقدر المفوض العـــام للوكالة أنها تحتـــاج إلى نحو مليار دولار أمريكى على الأقل لســـد العجز المالى والقيام بمهامها خلال 2021 وأنه علم أن إدارة الرئيس بايدن قد تســـتأنف دعمها المالى للوكالة. وتجدر الإشارة إلى أن إسرائيل لا ترحب بعودة واشـــنطن لدعم «أونروا» لارتباط وجودهـــا الوثيق بقضية اللاجئين الفلسطينيين وعودتهم وتعويضهم.

وقد اســـتأنفت الســـلطة الفلسطينية تعاونها الأمنـــى والإدارى واتصالاتها مع ســـلطات الاحتلال الإسرائيـــلى منذ بداية ديســـمبر 2020. وسبق أن طرحت مبادرة لعقد مؤتمر دولى للســـلام تحـــت رعاية الأمم المتحدة والرباعية الدولية المكونة من الأمم المتحدة وروســـيا والاتحاد الأوروبى، والولايات المتحدة، على أساس حل الدولتين ووفق جدول زمنى محدد بمدة معينة حتى لا تـــدور المفاوضات فى حلقات مفرغة، وأن تقام دولة فلســـطينية على حدود 4 يونيو 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، مع إبداء الاستعداد لتبادل مناطق على الحدود يتفق عليها بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى.

وأن الفلسطينيين يعملون على استكمال المصالحة الوطنية وإجراء انتخابات رئاسية وتشريعية فى مايو 2021 بالتتابع، ومن ثمّ ستكون السلطة الفلسطينية منشغلة بهذه الانتخابات وما قد يســـفر عنها من تغيير فى بعض القيادات، ومـــن انضمام أطراف أخرى إلى تشـــكيل حكومة جديدة. وهذه العملية قد تعقـــب الانتخابات الإسرائيلية وتشـــكيل حكومة إسرائيلية جديدة، الأمر الذى سيؤدى إجمالاً إلى أن تكون الفترة من الآن وحتى الصيف القادم فترة تهيئة وإعداد لما ستكون عليه عملية السلام الفلسطينية – الإسرائيلية وما يسبقها من إرهاصات.

الملف النووى الإيرانى:

أبدى الرئيس بايـــدن وإدارته رغبة فى العودة إلى الاتفاق النووى الموقع بين إيران والأعضاء الخمس الدائمين فى مجلس الأمن وألمانيـــا، والذى وقـــع فى منتصف 2015 وانســـحب منه الرئيـــس ترامب فى 2018 وفرض عقوبات اقتصادية وتجارية ومالية على إيران. وتشـــترط إدارة بايدن أن تعود إيران إلى الالتزام بكل بنود الاتفاق النووى بالتراجع عن ما قامت به من تجاوزات سواء فى نســـبة تخصيب اليورانيوم أو فى زيادة مخزونها من اليورانيوم المخصب، وزيادة مراكز الطـــرد المركزى النوويـــة، وكذلك التفاوض بشـــأن برنامج إيران للصواريخ الباليستية، وتدخلاتها فى دول المنطقة. وأن واشنطن تجرى مشـــاورات مع حلفائها فى هذا الشأن وهم بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وقد أعرب عدة مسئولين فى إدارة بايدن عن قلقهم من أن إيران أصبحت على مقربة من توفر إمكانات نوويـــة لديها تتيح لها تصنيع أســـلحة نووية وأن ذلك سيتحقق خلال فترة عدة أشـــهر بل ربما أســـابيع على حد قولهـــم، وتأكيدهم على العمل على عدم الســـماح لإيران بإنتاج أسلحة نووية. وهذا مؤشر له دلالات فى شـــقين: الشـــق الأول التحذيـــر من سرعة تقـــدم إيران فى المجال النـــووى والاقتراب من نقطة القدرة على إنتاج أســـلحة نووية، وهو أمر لا تقبله واشنطن وحليفتها إسرائيل، وأصدقاؤها فى مجلس التعاون الخليجى العربى. أما الشق الثانى وهو ما يعنى أهمية وضرورة وسرعة التواصل مع إيران من أجل التوصل إلى اتفاق معها سواء بشـــأن عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووى الـــذى يكبح طموحات إيران النووية، أو إمكانيات التفاوض حول برنامجها للصواريخ الباليستية وتدخلاتها فى دول المنطقة.

وأصدر الرئيس بايدن قـــراراً بتعيين الخبير فى الشئون الدولية والشرق الأوسط ورئيس مجموعـــة الأزمات الدولية، روبرت مالى، مبعوثاً خاصاً للشئون الإيرانية، والذى بدأ فعلاً منذ يوم 28 / 1 / 2021 اتصالات مع كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا بشأن الملف النووى مع إيران. ويعد روبرت مالى أحد مهنـــدسى هذا الاتفاق أثنـــاء عمله فى الفريق الأمريكى فى عهـــد الرئيس أوباما. ومن ثمّ فهو على دراية بكل تفاصيل الملف النووى مـــع إيران. وترى مجموعة الأزمات الدولية أثناء رئاســـته لها أنه يتعين البدء بإلغاء مرسوم انســـحاب الولايات المتحدة من الاتفاق عام 2018، وإطلاق عملية رفع كامل للعقوبات التى فرضها الرئيس ترامب على إيران، وأن ذلك كفيل بإعادة إيران إلى الالتزام الصحيح ببنـــود الاتفاق. وروبرت مالى صديـــق الطفولة لوزيـــر الخارجية أنتونى بلينكن، كما درس متزاملاً مع أوباما فى جامعة هارفارد عند دراسته الدكتوراه.

ولكـــن هل ستســـير إدارة بايدن وفق هذه الخطـــوات، أم أن الاتجاهات اليمينية المتشـــددة فى الإدارة الأمريكية ستعمل على عرقلتها، أم ســـيتغلب الاتجاه المعتدل الذى يرى أن إلزام إيران بكل بنود الاتفاق أفضل كثيراً من خرقها والتحرر منها.

أما بالنســـبة لإيران فهى ترفض وضع أية شروط لعـــودة الولايات المتحدة للاتفاق النووى الـــذى خرقته بالانســـحاب منه، وضرورة رفع كل العقوبات عن إيران لأنها غير شرعيـــة وأنه فى حال قيام واشـــنطن بذلك فإن طهران على اســـتعداد للعودة إلى الالتزام الدقيق بـــكل بنود الاتفاق النووى. وترى إيران أنـــه لا مجال للربط بين عودة واشـــنطن إلى الاتفـــاق والتفاوض على أى موضوعات أخرى ســـواء الاتفـــاق ذاته أو برنامج الصواريخ الباليســـتية، وعلاقات إيران الخارجية.

ونظراً لأن إيـــران مقبلة على انتخابات رئاسية فى منتصف هذا العام، وأن المنافسة بدأت بوادرها مـــن الآن بين التيار اليمينى والتيار الإصلاحـــى والمعتدلين، فلا يتوقع تقديم تنازلات باستثناء العودة إلى الالتزام ببنـــود الاتفاق. وإذا عادت واشـــنطن إلى الاتفاق النووى، فلاشـــك أن ذلك يقوى من موقف تيار الإصلاحيين والمعتدلين، أما إذا تمســـكت بالتشـــدد فإن ذلك سيطيل أمد الإجراءات إلى ما بعـــد الانتخابات الإيرانية وهو مـــا يخدم التيار اليمينى المتشـــدد فى إيران.

القضايا والأزمات العربية:

تموج المنطقة العربية بأزمات طاحنة فى ســـوريا وليبيا واليمـــن، وأوضاع بالغة التوتر والاحتقان فى العراق ولبنان وتونس والسودان، ومعاناة من التدخلات الإقليمية والدولية فى الشـــئون العربية، وصراعات وتنافس بين القـــوى الإقليمية والدولية على مراكز النفوذ ومزايا التجارة والاســـتثمار. وفى خضم هـــذا المعترك تقبل عدة دول على

الرئيس الأمريكى بايدن ومشكلات الشرق الأوسط

انتخابات خلال 2021 فى العراق وسوريا وفلسطين وتغيرات حكومية فى لبنان والعراق والسودان وتونس.

وتأتى إدارة بايدن على كل هذه التطورات وتحاول تصحيح أو مراجعة عدة مواقف، والدفع قدمًا بمواقف أخرى، ويمكن إيجاز هذه التوجهات على النحو التالى:

1 – ترى إدارة بايدن أن تصنيف إدارة ترامب لجماعة الحوثيين فى اليمن على أنها جماعة إرهابية يعرقل وصول المساعدات الإنسانية إلى أعداد كبيرة من اليمنيين فى مناطق واسعة يسيطر عليها الحوثيون، كما أنه يعرقل جهود إنهاء الحرب والتوصل إلى تسوية سياسية سلمية. وسبق أن اعترضت الأمم المتحدة على هذا التصنيف انطلاقاً من أن أى حل سياسى للأزمة اليمنية لابد أن يشمل جميع العناصر اليمنية بمن فيهم الحوثيون وفقاً للمبادرات والمرجعيات ذات الصلة. وأن إعادة إدارة بايدن النظر فى هذا التصنيف وإعادة تقييم الموقف برمته بشأن الأزمة اليمنية يحمل رسائل لكل من السعودية والإمارات المتحدة من ناحية ولإيران من ناحية أخرى وبما يشير إلى أن الموقف الأمريكى الحالى يخاطب كل الأطراف الضالعة فى الأزمة اليمنية للعمل على تسويتها سلمياً.

2 – قررت إدارة بايدن تعليق صفقة طائرات إف 35 للإمارات العربية التى اتفقت عليها إدارة ترامب فى إطار عملية تطبيع العلاقات بين الإمارات العربية وإسرائيل، وأوضحت أن هذه الصفقة فى حاجة إلى مراجعة قبل بدء تنفيذها. وقد تحفظت إسرائيل على قرار التعليق خشية أن يكون له تأثير سلبى على تطبيع العلاقات والتى قطعت مرحلة متقدمة فى زمن قياسى. هذا رغم أن إسرائيل لم تكن فى البداية مؤيدة لهذه الصفقة.

وأن تعليق الصفقة لا يعنى إلغاؤها لأن تجارة الأسلحة الأمريكية مع دول مجلس التعاون الخليجى تمثل واحدة من أهم عملاء صناعة الأسلحة الأمريكية وإحدى دعامات الوجود الأمريكى فى المنطقة، وهو ما ينطبق أيضاً على تعليق إدارة بايدن لصفقة أسلحة حديثة للسعودية، وإنما هدف التعليق هو استخدامه فى التفاوض مع كل من الإمارات والسعودية على بعض القضايا سواء الأزمة اليمنية، أو الأزمة الليبية، أو حالة التوتر فى العلاقات مع إيران وانعكاساتها السلبية على المنطقة.

3 – طالبت الولايات المتحدة فى مجلس الأمن بعد تولى الرئيس بايدن، كلاً من تركيا، وروسيا والإمارات العربية، سحب قواتهم من ليبيا ويشمل ذلك القوات العسكرية والمرتزقة واحترام السيادة الليبية وإنهاء جميع التدخلات العسكرية فى ليبيا فوراً.

وقد رحبت الإمارات العربية بالمطلب الأمريكى، بينما أعلنت روسيا عن عدم وجود قوات لها فى ليبيا، أما تركيا فأرجعت وجودها العسكرى فى ليبيا إلى اتفاق موقع بينها وحكومة الوفاق الليبية. وكل هذا يدل على أن تعدد القوى الضالعة فى الأزمة الليبية يزيد الأوضاع تعقيداً، ويتطلب الاستجابة لنداءات رفع الأيادى الأجنبية عن ليبيا وترك الليبيين بمساعدة الأمم المتحدة يتوصلون بأنفسهم إلى حلول سياسية تتوج بالانتخابات المقرر إجراؤها فى 24 ديسمبر 2021. وهو اتجاه لا يختلف كثيراً عن اتجاه إدارة بايدن ولكن مع عدم ترك المجال الليبى للتمدد الروسى، والمحافظة على نصيب مجزٍ لواشنطن وحلفائها فى حلف الناتو.

4 – أما بالنسبة للأزمة السورية، فقد تسربت أنباء عن بدء اتصالات بين إدارة بايدن والحكومة السورية، وقد يكون ذلك من منطلق واقعى وعملى وهو أنه من المرجح، بل يكاد يكون من المؤكد، فوز الرئيس بشار الأسد فى الانتخابات السورية القادمة فى مايو 2021 بمدة رئاسية جديدة، وأن التعامل مع نظام الرئيس الأسد أفضل من فصائل المعارضة المتفرقة والمتباعدة فيما بينها مع اختلاف توجهاتها السياسية والعقائدية. ولاشك أنه إذا تحقق تقارب أمريكى إيرانى بصورة أو أخرى سيكون له انعكاسات إيجابية على مسار الحل السياسى للأزمة السورية. ولكن يبقى الموقف الروسى القوى فى سوريا والذى يتطلب التنسيق بين موسكو وواشنطن، خاصة وأن تركيا ستتعرض لعدة ضغوط أمريكية سواء من حيث وجودها العسكرى فى شمال سوريا، أو صفقة الصواريخ الروسية shoo، أو خلافاتها بشأن غاز شرق البحر المتوسط مع كل من قبرص واليونان.

ويتوقع أن ينشط دور المبعوث الأممى للأزمة السورية جير بيدرسون فى المرحلة القادمة من أجل تفعيل المفاوضات بين الحكومة السورية والمعارضة من ناحية، ومن أجل العمل على تطبيق بنود قرار مجلس الأمن 2254 بشأن الأزمة السورية.

5 – يتوقع فى المرحلة القادمة تصاعد استخدام إدارة بايدن قضايا الحريات العامة وحقوق الإنسان وسيلة لممارسة الضغوط على بعض الدول العربية باعتبار أنها قضايا تحظى دائماً باهتمام خاص من الإدارات الديمقراطية الأمريكية وهو ما سبق ونوّه به الرئيس بايدن أثناء حملته الانتخابية.

ولكن منهج الواقعية فى السياسة الأمريكية يوازن دائماً بين المصالح الإستراتيجية والاقتصادية والتجارية والاستثمارية، وبين قضايا الحريات العامة وحقوق الإنسان بحيث لا تكون النتيجة بالخسارة على الجانب الأمريكى.

إن الرئيس بايدن سيعمل خلال سنواته الأربعة الأولى على تصحيح كل التشوهات التى حدثت أثناء إدارة الرئيس ترامب، واسترداد المصداقية فى السياسات الأمريكية وعلاقاتها مع الحلفاء والأصدقاء.

ذكريات دبلوماسى مصرى فى الدوحه

سفير أسامة توفيق بدر
osama56@hotmail.com

وصل مستشار السفارة الجديد إلى الدوحة فى صيف ١٩٩٥ ووجد ترحيباً شـــديداً من زملائه وأبناء الجالية المصرية ومن كثير ممن تعامل معهم من القطريين العاديين الذين كانوا يقدمون له أية خدمة يطلبها منهم، وســـهل ذلك عليه أن يجد بعد أســـبوع واحد فيلا ممتازة يسكن فيها اعتماداً على الســـمعة الطيبة التى تركها له سابقه د. خير عبد اللطيف والذى كان متداخلاً جداً فى المجتمع القطرى بكل طوائفه، واســـتطاع فرش الفيلا بالعفش والأجهزة والســـتائر خلال أســـبوعين بالتقسيط المريح بدون فوائد، واشترى سيارة تويوتا كريسيدا ٦ سلندر خلال فترة وجيزة.

وبدأت العائـــلات القطرية والمصرية يدعون صاحبنا لمآدب عشاء هو وقرينته وحاول إلحاق كريمتيه بمدرسة السفارة الفرنســـية إلا أن المدرســـة رفضت لأن مواعيد التقديم كانت خلال مايو وبالتالى فلا يوجد مكان لابنتيه فهاتف الســـفير الفرنسى الذى وعده بقبولهما العام القادم وهو ما لم يرضه فماذا ســـوف يفعل مع ابنتيه حتى العام القـــادم فاقترح عليه الســـفير الفرنسى إلحاق ابنتيه بالمدرسه اللبنانيه التى تُدَرس نفس المنهج الفرنسى بالإضافة إلى اللغـــة العربية فحاول أن يقدم لهما فيها فاعتذرت المدرسة بسبب الإقبال عليها فاتصل بالســـفير اللبنانى لعتابه فرد عليـــه بأنه لا يمكنه إغضاب مستشار السفارة المصرية وطلب منه أن يرسل ورقهما للمدرسة حالاً وأنه أصدر تعليماته بقبولهما فوراً.

ومضت بهما الأيام فى المدرســـة وهو يتابع دراستهما فوجد أن المنهج اللبنانى أقوى بكثـــير من المنهج المصرى حيث إن ابنته الصغرى فى الصف الأول الابتدائى تدرس اللغه العربية بالتشـــكيل وبجمل كاملة لايدرســـها حتـــى تلميذ الصف السادس الابتدائى فى مصر، كما أن اللغة الفرنســـية والمنهـــج الفرنسى هو نفس منهج المدرسة الفرنسية.

وقابـــل صاحبنا كثيراً مـــن الوزراء وكبار المسئولين القطريين الذين درسوا فى مـــصر أو تزوجوا من مصريات وكون معهم صداقات قويـــة، ولاحظ صاحبنا أن كبار الســـن يقدرون مصر ويعرفون جميلها عليهم ولكن الشباب الذين درسوا فى أمريكا ينظـــرون إلى مصر والمصريين بتعال وغرور.

وبعد انقلاب حمد عـــلى أبيه خليفة وفتحه للمكتب التجـــارى الإسرائيلى فى الدوحة (ســـفارة كاملة) حدث انقسام فى المجتمـــع القطرى بين كبار الســـن الذين لـــم يرحبوا بتلـــك الخطوة وبين الشباب الذين رحبوا بدخول الإسرائيليين وسارعوا للتعامل معهم، وبدأ تغير ثقافى واجتماعى وتعليمى فى قطر وبدأت النساء وخصوصاً صغيرات السن فى خلع زيهن التقليدى ونقابهـــن وارتدين الجينز مع حجاب خفيف أو بدونه، وبدأت المطاعم تســـمح بالاختلاط بعـــد أن كانت هناك أماكن منفصلة تمامـــاً للعائلات بعيدة عن أماكن العـــزاب، وانتشرت الجامعات والمدارس الدولية وتقلصت جامعة قطر (الوهابية).

وعلى التـــوازى ومع ارتماء أمير قطر فى أحضان المعسكر الأمريكى الإسرائيلى وســـعت الهوة بين مصر وقطر وبدأت حملات هجوم إعلامـــى غير مهذب بين البلدين تناول صفـــات وأوصاف بذيئة تمس الرئيس والأمير وتَبَاعد البلدان وتم سحب الســـفير وأصبح صاحبنا قائماً بأعمال السفارة لفترة طويلة كانت صعبة وإن كانت الأمور قد أديرت بحكمة أدت إلى المصالحـــة الأولى فى الرياض بضغوط من الملك فهد ثم زيارة الأمير حمد للقاهرة التى نجحت فى تخفيف التوتر دون إزالته، وتم تعيين ســـفير جديد ونقل صاحبنا إلى ديوان عـــام وزارة الخارجية مديراً للعلاقات الثقافية والدينية فى ١٩٩٩.

وبـــدأت العلاقات تتوتـــر من جديد ويعتقد صاحبنا أنها ستظل متوترة مهما حدثت مصالحات صورية طالما بقى حمد بن خليفة أو ابنه فى الحكم.

المسيحية الصهيونية الجذور التاريخية والأهداف

إن موضوع هذه الدراسة بالغ الأهمية للربط بين عقيدتين مختلفتين ونعتمد فى هذه الدراسة على العديد من المراجع وأهمها الكتاب المعنون «المسيحية الصهيونية ونهاية الإنسان.» وهذا الكتاب من مكتبتى المملوءة بالكتب المتنوعة فى العديد من المجالات وترجع أهميته إلى عدة اعتبارات:

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

الأول: إن المؤلف دكتور محمد عمارة تقى الدين باحث مدقق وخبير فى الدراسات الدينية للأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام.

الثانى: إن الذى أعد تقديماً للكتاب وله كتابات عديدة فى مضمونه الدكتور إكرام لمعى وهو مسيحى قبطى ومؤلف كتاب بعنوان «الاختراق الصهيونى للمسيحية» ومن منتقدى مفهوم المسيحية الصهيونية.

الثالث: إن المؤلف يقدم فى بداية كل فصل من الفصول التسعة مجموعة اقتباسات من شخصيات دينية بارزة ذات وجهة نظر فى الموضوع ومن بينها قداسة البابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية الراحل، والمطران عطاالله حنا رئيس أساقفة سبسطية الروم الأرثوذكس الذى قال فى لقاء مع مجلة المجتمع بتاريخ23 أكتوبر عام 2009 صفحتى 18-19 تحت عنوان «الصهاينة لا يستثنون أحداً من العدوان فاليوم الأقصى وغداً كنيسة القيامة» ، ومن القيادى الإنجيلى القس إكرام لمعى، والباحث العالمى المسيحى البروفيسور جون هوبرس، والبيان الذى أصدره رؤساء الكنائس المسيحية فى فلسطين وغيرهم «فى صفحة قبل كل فصل من فصول هذا الكتاب المرجعى» حيث يسجل المؤلف تعليقات من شخصيات مسيحية عديدة منها كثير من الأمريكيين.

الرابع: إن معظم إن لم يكن جميع الرؤساء الأمريكيين حتى الآن أيدوا بصورة ما هذا التوجه للمسيحية الصهيونية بينما عارض بعض من العلماء ورجال الدين المسيحى هذا الموقف لتلك المنظمة التى انتشرت فى العالم وفى الولايات المتحدة حيث لها نشاط بكثافة وتفرض مواقفها على السياسيين الأمريكيين وفى المقدمة آخر هؤلاء الرئيس المنتهية ولايته دونالد ترامب الحريص كل الحرص على المبادرة تنفيذ وعوده للحركة الصهيونية ولإسرائيل.

الخامس: إن الحركة «المسيحية الصهيونية» انتهكت ما ورد فى التوراة والإنجيل حيث شوهت الآيات الواردة فى الكتاب المقدس وفسرتها تفسيراً خاطئاً بل تكاد تكون شوهت المسيحية الصحيحة التى جاءت فى أقوال السيد المسيح عليه السلام، ففى دعوة الحركة تركز على اليهود فقط وتهجيرهم باسم العودة لإسرائيل وتعمل ضد وجود الفلسطينيين الذين تتجاهلهم وكذلك تتجاهل أية جنسيات أخرى فهى إذن تقوم على العنصرية، وترفض مبادئ العدالة والسلام، وهى أبرز وأهم مبادئ السيد المسيح عليه السلام.

وأضيف هنا أننى كباحث وقارئ «إن حركة داعش وأمثالها من الجماعات المتطرفة والمتشددة هى الطبعة الصهيونية فى الإسلام، مما يجعلنى أدعو لمواجهة تلك الجماعات المتطرفة» التى لا تفهم جوهر العقيدة الإسلامية ولا أية عقيدة دينية من الأديان الثلاثة السماوية. وقد شوهت المسيحية الصهيونية القيم والمباديء الواردة فى الكتاب المقدس «الإنجيل» وفكر وتعليمات السيد المسيح. كما شوهت نظيراتها مثل «داعش والجماعات المتطرفة، وكذلك فكر النظام الصفوى الإيرانى، وأيضاً فكر الإمام الهندى العلامة أبى الأعلى المودودى، وقد سار على نهجه كثيرون فى إيران ومصر وغيرها وهكذا نجد فكر النظام الإيرانى وفكر كثير من الجماعات التى تدعى الانتماء للإسلام وهو منهم برئ وتشير بعض تلك الدراسات المنشورة فى كتب غير العربية لربط تلك الجماعات بأجهزة استخبارات بريطانية وأمريكية بل وتركية لارتباط النظام التركى الأردوغانى بتلك الفئات واستخدامها كمرتزقة فى دول أخرى خاصة سوريا وليبيا وغيرها.

السادس: إن هذه الجماعات المسيحية الصهيونية والإسلامية الصهيونية إذا جاز مثل هذا المصطلح منذ البداية سعت لتشويه صورة «الله» العادل المقسط الحكيم الداعى فى كتبه المقدسة للأخوة بين البشر، وقد اقتبس هذا المعنى الإمام على بن أبى طالب الكتاب المشهور والمنسوب إليه وهو نهج البلاغة عندما قال «الناس جميعاً أخوة، فإما أخ لك فى الدين أو أخ لك فى الإنسانية» وسلوك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان نموذجاً فى صحيفة المدينة عندما وصل إلى يثرب وتحول اسمها إلى المدينة المنورة فآخى بين الأنصار والمهاجرين، حيث أكد على مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات فى صحيفة المدينة التى تعتبر الدستور الإسلامى الحقيقى «إن جميع أهالى المدينة من المهاجرين والأنصار واليهود والنصارى بل وغير المؤمنين بالأديان أى المشركين لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من التزامات. «وهذا هو النموذج الإسلامى الصحيح ولن نتوسع فى ذلك وأعتقد أن كثيراً من مفاهيم الإسلام أصبحت معروفة وواضحة، والعلاقة بين المسلمين وغيرهم تحكمها الآيتان السابعة والثامنة فى سورة الممتحنة، فضلاً عن آيات عديدة منها قول الله تعالى «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ» سورة المائدة الآية (32).

وهناك مبدأ إسلامى عظيم فى علاقة الإسلام ونظرته للأديان الأخرى بنص القرآن الكريم قوله تعالى «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون» سورة الأنعام الآية (108).

السابع: إنه باستعراض فصول الكتاب الرئيسى الذى نعتمد عليه كمرجع نجد المؤلف يعتمد على مراجع ذات مصداقية، بعضها بالإنجليزية وبعضها بالعربية وفى نهاية الكتاب نجد قائمة بالمصادر والمراجع من ص 223 إلى ص 230 مما يعنى أن كل كلمة ذكرت فيه

د. محمد عمارة تقى الدين

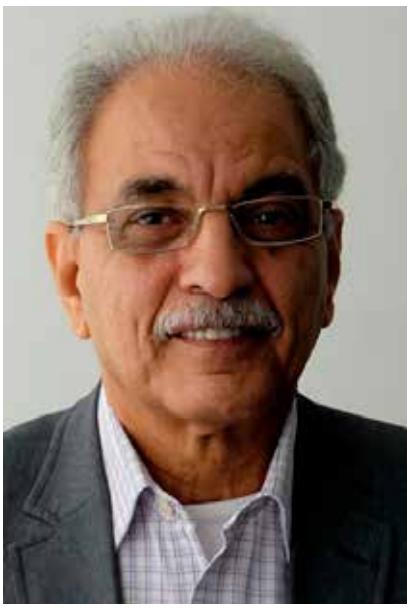

الدكتور إكرام لمعي

تعبر عن مصداقية ومراجع الباحث.

الثامن: إنه لو تساءل أى مستمع أو باحث عن بعض المقولات فى الكتاب فإن رجوعه إلى كتابات عديدة لباحثين آخرين مشهورين كتبوا باللغة العربية والإنجليزية ومن أشهرهم الدكتور العالم المتخصص فى التاريخ اليهودى «عبد الوهاب المسيرى» رحمه الله منها كتابه باللغة العربية وله ترجمة إنجليزية: the Land of Promise: A Critique، وكتب مقدمتهJohn Davis والنص العربى يحمل عنوان «أرض الميعاد: نقد للصهيونية السياسية».

أهم أطروحات فصول الكتاب وتحليل للمسيحية الصهيونية

الكتاب يقع فى 231 صفحة شاملة المقدمة والخاتمة والمراجع، ولن نتناول الكتاب وأطروحاته بالتفصيل إنما باختصار على قدر الإمكان كالآتى:

1- الأصول وتطور عقيدة المسيحية الصهيونية: وأبرز الأفكار الواردة فيه ما يلى:

• ذكر المؤلف أسماء وأفعال عدد من الرؤساء الأمريكيين من البداية وحتى الرئيس ترامب الأخطر فى الاعتراف بالقدس كعاصمة لإسرائيل وتسليح إسرائيل عسكرياً ودعمها مالياً وسياسياً ومنع أى مساس بها دولياً باستخدام الفيتو فى مجلس الأمن الدولى.

• وتجربة الدكتور بطرس بطرس غالى الأمين العام الأسبق مع المندوبة الدائمة للولايات المتحدة مادلين أولبرايت والتى أصبحت وزيرة الخارجية بعد ذلك، دليل دامغ على موقف الولايات المتحدة فقد طلبت منه المندوبة الدائمة للولايات المتحدة الأمريكية بصيغة الأمر بلا دبلوماسية عدم نشر تقرير الأمم المتحدة عن حادث الاعتداء الإسرائيلى على مخيم قانا للاجئين فى جنوب لبنان. ولكنه أصرّ على نشره وكان متضمناً اتهام إسرائيل بالاعتداء على المخيم وقتل اللاجئين وإصابة بعض قوات الأمم المتحدة فى المنطقة الحدودية.

2- مصطلح المسيحية الصهيونية جذوره ونشأته وتاريخه:

إنه مصطلح حديث فلم يكتسب شهرة سوى فى التسعينات من القرن العشرين. وقبل ذلك لم ينشر عنه فى الموسوعات الرئيسية فى أوروبا بما فى ذلك معجم أكسفورد وإن كانت جذور المفهوم وتنظيمه ظهرت منذ عهد مارتن لوثر الذى دعا للبروتستانتية. وهاجم الكنيسة بقوة وكان على حق إذ أن الكنيسة الكاثوليكية والكنائس المرتبطة بها كانت تعيش فى الفساد والرشاوى والاختلاسات وقد عرض لذلك تفصيلاً المؤرخ المشهور الموسوعى «ول ديورانت» فى كتابه الموسوعى المعنون «قصة الحضارة» وتناول فى المجلدين: الحادى عشر فى فصول خاصة بالنهضة والإصلاح الدينى، وفى المجلد الرابع عشر موضوع «الإصلاح الدينى/ بداية عصر العقل ص-62 ص331. وتناول فى تلك الصفحات اعتراض الكنيسة على الفن والتحرر وغير ذلك من المتغيرات نتيجة عصر النهضة. وكذلك المظاهر العديدة للفساد فى الكنيسة وبين رجالها وموقفهم ضد المرأة وضد المفكرين والعلماء وإصدار صكوك الغفران ونحو ذلك.

3- منذ بداية ظهور البروتستانتية Protestantism توالت التغيرات فى موقف الكنيسة وموقف كثير من المسيحيين وإن رفض أغلبهم إعادة تفسير النصوص المقدسة.

4- جاءت النشأة الأولى للمسيحية الصهيونية كجماعة دينية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر وبمرور الوقت أخذت الحركة أبعاداً سياسية تمثلت فى مساعدة اليهود بكل الوسائل المتاحة للاستيطان فى فلسطين.

5-ذكر المفكر اليهودى الكبير ناعوم تشومسكى أن المسيحية الصهيونية تشكل قوة كبيرة جداً وأنها سابقة لظهور الصهيونية اليهودية وأنها كانت وراء وعد بلفور. ونسوق بعض الاقتباسات من ص89 من كتاب الدكتور محمد عمارة تقى الدين السابق ذكر اسمه فى بداية هذا البحث:

• الرئيس جورج بوش الابن قال: «يتعين على أى رئيس أمريكى أن يدعم إسرائيل دون قيد أو شرط».

• القس المسيحى الصهيونى والتر ريجانز» قال: إن اتفاقيات السلام هى خيانة لله وللشعب اليهودى فالسلام هو دعوى شيطانية».

• القس المسيحى الصهيونى جيمى سواجارت قال متهكماً على من يوقع معاهدة سلام: «يمكنهم توقيع كل معاهدات السلام التى يريدونها لكنهم لن يحققوا السلام فهناك أيام سوداء قادمة».

6- تحظى المسيحية الصهيونية بانتشار أسطورى فى أنحاء العالم فعلى سبيل المثال هناك أكثر من 50 مليوناً من أتباع تلك الجماعة داخل الولايات المتحدة وحدها. والبعض يقول إن أعضاءها حوالى 70 مليون نسمة وليس هناك إحصاء دقيق للعدد الخاص بهذا التنظيم.

7- يسيطر المسيحيون الصهيونيون على الإعلام فى مختلف مؤسساته ودعوا لفكرهم الذى لا يتماشى مع نصوص الكتاب المقدس «التوراة».

عقيدة ومفاهيم حركة المسيحية الصهيونية

1- يرى أتباع المسيحية الصهيونية بشكل عام بأن هناك ثلاثة وعود إلهية سوف تتحقق قبل نزول المسيح وعودته مرة ثانية وهى:

أولها: قيام إسرائيل كدولة وتمددها على كامل أرض إسرائيل بحدودها التوراتية.

المسيحية الصهيونية الجذور التاريخية والأهداف

وثانيها: سيطرة إسرائيل على مدينة القدس.

وثالثها: إعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى.

2- إنه بعد تحقق تلك الوعود الثلاثة ستندلع معركة «هرمجدون» بين قوى الخير وقوى الشر التى سيظهر بها المسيح لينقذ المؤمنين به ثم يحكم العالم مدة ألف سنة.

3- وبناء على ذلك يتحتم على المسيحيين الصهاينة ما يلى:

• دعم دولة إسرائيل مادياً وسياسياً وعسكرياً.

• الاعتراف بالقدس كاملة عاصمة لإسرائيل.

• دعم المنظمات الإرهابية الساعية لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه.

• الدفع نحو إنشاء المزيد من المستوطنات الصهيونية فى فلسطين لإيجاد واقع جديد على الأرض.

4- تؤكد الباحثة الإسرائيلية «ليات شليزنجر» أن الصهاينة المسيحيين يتحركون بكل قوة تحت غطاء الدعم المادى والسياسى الذى يقدمونه للكيان الصهيونى ويتمتعون بنفوذ كبير على الصعيد الإسرائيلى (انظر تقرير الباحثة الإسرائيلية المعنون «التحالف الأمريكى المسيحى الصهيونى يؤذينا» منشور فى جريدة القدس المحتلة بتاريخ 20 إبريل 2015. (والاقتباس والمرجع مأخوذ من ص90 من كتاب «المسيحية والصهيونية ونهاية الإنسان» للدكتور محمد عمارة تقى الدين.

5- أضافت الباحثة المذكورة فى البند السابق ما يلى «يمول المسيحيون الصهاينة بسخاء المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية لتمويل مشاريع فى المستوطنات غير القانونية بحكم القانون الإسرائيلى».

6- وأضافت أيضاً «إن اللوبى المسيحى الصهيونى يعمل داخل إسرائيل بشكل وثيق مع وحدات جيش الدفاع الإسرائيلى ويدعم المنظمات التبشيرية والمنظمات التى تسعى لبناء الهيكل الثالث فوق جبل الهيكل، وهو أمر من شأنه إشعال الحرب مع الإسلام على مستوى العالم».

7-إن الله هو الذى أعطى اليهود هذه الأرض كما فى التوراة ولذا فإن الحركة لا تعبر عن اللاهوت المسيحى الذى يقدم دروساً فى الكنيسة لا تتماشى مع فكر الحركة.

8- تساءل المؤلف الدكتور محمد عمارة تقى الدين كيف انتهى الأمر داخل المسيحية الصهيونية لتصبح مجرد أيديولوجية عنصرية مغلقة، تدعو للحرب، والقتل، والعمل ضد رسالة المسيح. وضد المبادىء فى الكتاب المقدس (الإنجيل) من السلام والعدالة وعدم التمييز وعدم القتل. وهذه الحركة تدعو لعكس ذلك تماماً. وتقتبس من الكتاب المقدس (التوراة) آيات تفسرها وفقاً لمنطقها.

تطور المسيحية الصهيونية لقد تطورت المسيحية الصهيونية كالآتى:

1- القس مارتن لوثر (1482-1546) وهو راهب وقسيس ألمانى نشر عام 1517 رسالة مؤلفة من 95 قضية واحتجاج ومنها الاعتراض على صكوك الغفران التى تمنحها الكنيسة الكاثوليكية. وأطروحات مارتن لوثر ضد الكنيسة الكاثوليكية ساعدت فى التمهيد للمسيحية الصهيونية. ومن ذلك كتابه الصادر عام 1523 بعنوان «المسيح ولد يهودياً» وهكذا دافع مارتن لوثر عن اليهود وأدان اضطهاد الكنيسة لهم.

2- جاء التحول فى النظرة المسيحية لليهود أول الأمر فى أطروحات مارتن لوثر الذى برأ اليهود من دم المسيح وقلب الرؤية المسيحية القديمة رأساً على عقب فبعد أن كان اليهود ملعونين بسبب خطاياهم وصلبهم للمسيح أصبحوا نتيجة أطروحات مارتن لوثر شعباً ذا مكانة مركزية فى عملية الخلاص للمسيحيين.

3- إن أوروبا قبل عهد الإصلاح الدينى لم تكن تعتبر اليهود شعب الله المختار. وفى مقابل كراهية المسيحية لليهود، رد اليهود بكراهية المسيحيين فقد جاء فى تلمود اليهود ما يلى «إن يسوع الناصرى موجود فى الجحيم بين الزفت والنار، وأمه جاءت به بمباشرة الزنا، والكنائس النصرانية مثل القاذورات والواعظين فيها أشبه بالكلاب وقتل المسيحيين من الأمور المأمور بها ومن الواجب الدينى أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب المسيحى، ويعتبرون العهد الجديد (الإنجيل) كتاباً مملوءاً بالإثم والأكاذيب.

4- فى عام 1955 أعلن البروتستانتى الألمانى بول فلجن هوفر أن اليهود سوف يعترفون بالمسيح عند مجيئه الثانى فى كتابه (أخبار جيدة لإسرائيل) واليهود سيعودون إلى بلدهم التى منحهم إياها الرب وفقاً للوعد غير المشروط الذى قدمه الله لإبراهيم.

المطران عطاالله حنا

5- وفى عام 1961 أصدر مجلس الكنائس العالمى الذى عقد فى نيودلهى بياناً داعياً المسيحيين لعدم إلقاء حادث صلب المسيح على عاتق الشعب اليهودى فالمسئولية تلقى على الإنسانية المشتركة.

6-فى عام 1965 صدر عن المجمع الفاتيكانى الثانى وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح بل وتعظيم دورهم فى المسيرة الإنسانية.

7-نابليون بونابرت كان أول من دعا لإعادة اليهود لفلسطين عام 1807 فى بيان أصدره.

8- آرثر بلفور كان يردد «أنا صهيونى أكثر من أى صهيونى آخر» كما أكد حاييم وايزمان بقوله «إن آرثر بلفور لا يجاملنا وإنما يتصرف بناء على اعتقاده الدينى وإيمانه وليس مجاملة» مؤدى ذلك أن بلفور يهودى أو اعتنق اليهودية».

9- أعلنت مجموعة من المسيحيين الصهاينة عن تشكيل منظمة عام 2006 باسم «مسيحيون من أجل إسرائيل Christians united for Israel» وهى تتألف من مسيحيين صهاينة.

10- بعد حرب 1967 تصاعد نشاط المسيحية الصهيونية وكذلك احتلال القدس.

11- المسيحية الصهيونية واليهودية ساعدت على تنمية التطرف الدينى ودعت لاستيطان الأراضى وطرد العرب استعداداً لقدوم المسيح المخلص.

12- تبدى المسيحية الصهيونية اهتماماً خاصاً بمصر وتتابع شئونها ويتنبأ الزعيم الصهيونى المسيحى جون هاجى «إن مصر ستصبح إيران التالية بمعنى رأس وحش جديد يمثل الإسلام».

البابا شنوده الثالث

ملاحظات تحليلية

الأولى: كانت المسيحية الصهيونية إحدى القوى الأساسية فى فوز بوش الابن فى الانتخابات الرئاسية مرتين.

الثانية: كما كانت الحركة المسيحية الصهيونية أيضاً وراء فوز دونالد ترامب بمنصب الرئيس فى انتخابات عام 2016 ودفعته للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وقد أنفق قيادى مسيحى صهيونى فى إسرائيل يدعى Mike Evans أكثر من 100 ألف دولار فى حملة لتأييد ترامب منها تصميم مجموعة من اللوحات التى تم تعليقها حول القدس وذلك لتذكير الرئيس ترامب بوعوده، ومن الشعارات التى رفعت «ترامب صديق صهيون»، «ترامب سيقيم إسرائيل العظمى».

- رفض قيام دولة فلسطينية.
- الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وبالفعل أعلن ترامب ذلك فى 6 ديسمبر 2017.
- فاز ترامب بالانتخابات عام 2016 بسبب الإقبال التاريخى للناخبين الإنجيليين وهذا أكبر إقبال منهم فى التاريخ الأمريكى.

الثالثة: ذهب مؤلف الكتاب الدكتور محمد عمارة تقى الدين الذى رجعنا إليه أساساً إلى أن الإنجيليين، والمسيحيين الصهيونيين كرروا مقولتهم بأن الرئيس ترامب لعب دور الإمبراطور الفارسى كورش الأكبر الذى سمح بعودة اليهود من المنفى وبناء هيكلهم الثانى وفقاً لاعتقادهم وهذا سوف يمهد لبناء الهيكل الثالث وهذا قدر من الله أن يبنى مقاول عقارات كبير فى أمريكا – أى ترامب –.

الرابعة: يرى نقاد المسيحية الصهيونية أنها فى حقيقة الأمر نتيجة لقراءة خاطئة ومنحرفة للكتاب المقدس (ص25) ومن ثم تجاهلت الحركة التسامح الكامن فى المسيحية وأنتجت نسخة رديئة تدعو لتأريخ الصراعات والحروب بحجة أنها إحدى بشارات الخلاص. وهى تتجاهل عذابات الفلسطينيين فى الوقت الذى تدعم فيه إسرائيل وسياساتها وانتهاكها القانون الدولى، وهى أيضاً بقراءتها هذه أضرت بالمسيحية وأن ادعاء وجود جدول زمنى لمراحل آخر الزمان غير مذكور فى الكتاب المقدس. وطرح المعارضون تساؤلين:

أولهما: من يستطيع أن يجزم بأن اليهود الحاليين هم آخر جيل قبل الخلاص.

وثانيهما: من يجزم بأن هؤلاء اليهود الحاليين هم الأحفاد الحقيقيين ليهود الخروج.

الخامسة: يرى أحد الكتاب اليهود وهو باروخ ماوز Maoz Baruch أن المسيحية الصهيونية بصيغتها الحالية من شأنها أن تهدد السلام العالمى فى مخالفة صريحة للكتاب المقدس إذ تبشر بالصراعات التى من شأنها تقريب معركة «هرمجدون» متجاهلة الجوانب غير الأخلاقية التى ينطوى عليها هذا الصراع العسكرى. ويقول باروخ «بصفتى يهودياً لا يمكن إعفاؤنا من مسئولياتنا الأخلاقية».

السادسة: إن المسيحيين الصهيونيين بإمكانهم القضاء على المستقبل السياسى لأى أمريكى لا يتفق مع أطروحاتهم. وجون ماكين خير مثال على ذلك إذ استطاعوا إسقاطه فى انتخابات عام 2000 نتيجة لمواقفه الرافضة لهم فقد كان يصف المسيحيين الصهاينة دائماً بعدم التسامح. وأن عامل الدين أمر حاسم فى الانتخابات الأمريكية وتحديداً العقيدة البروتستانتية، وفى القلب فيها الولاء لإسرائيل ومساندتها مساندة مطلقة وإضفاء تبريرات دينية على كل ما ترتكبه من بشاعات.

السابعة: يتساءل الدكتور محمد عمارة تقى الدين (ص24 / 25) كيف انتهى الأمر بهذا التيار داخل المسيحية ليصبح مجرد أيديولوجية عنصرية مغلقة تدعو للحرب والقتل فى تضاد واضح مع رسالة المسيح؟ كما إنها تدعم إسرائيل دعماً مطلقاً فى صراعها ضد الفلسطينيين.

الثامنة: ذكر الباحث «جون هوبرز» فى دراسة عن المسيحية الصهيونية أنهم ليسوا أصدقاء لإسرائيل. رغم أن الباحث يعمل بمعهد دراسات المسيحية الصهيونية إلا أنه يميل نحو الاعتدال (انظر المرجع للدكتور محمد عمارة تقى الدين ص103).

John Huber›s، «That Christian Zionists are not friends of Israel» وفسّر مقولته بأنهم يرفضون التسوية السلمية للصراع العربى الإسرائيلى، لأن الزعيم المسيحى الصهيونى «جون هاجى» John Hageeوحلفاءه يضعون سياسات من شأنها أن تؤدى إلى تفاقم الصراع ومن ثم الإضرار بإسرائيل. ويعارض جون هاجى «مقترح الدولتين». (انظر نفس المرجع السابق فى الفصل الخامس ص-101 ص140 أى الفصلين الخامس والسادس).

التاسعة: نشأ فى العالم الغربى لوبى يهودى باسم منظمة «جى ستريت» تضم زعماء يهود أمريكيين بارزين، يؤيدهم ما لا يقل عن عشرين شخصية سياسية وعسكرية إسرائيلية وتدعو المنظمة لمواجهة التأثير الكارثى للمجموعات المسيحية الصهيونية من خلال الدعوة لقبول حل الدولتين. ويرى أنصار هذه المجموعة وآخرون أن مساندة إسرائيل بشكل مطلق وتجاهل جرائمها بحق الفلسطينيين والتغاضى عن كونها دولة احتلال سيعمق كراهية العالم لليهود وإسرائيل فى حين أن إعطاء الفلسطينيين حقوقهم السياسية وإقرار وطن قومى لهم سيجعل إسرائيل تندمج فى العالم العربى وتخف بذلك كراهية كثيرين لها ويدعو المفكرون المعتدلون إلى ضرورة التفرقة بين إسرائيل كدولة لليهود وبين سياساتها وتصرفاتها ضد الفلسطينيين.

حقيقة المسيحية الصهيونية

المسيحية الصهيونية هى فكرة ابتكرها تيودور هرتزل اليهودى النمساوى الذى كان يعيش فى فيينا وأعلنها فى مؤتمر فى بازل عام 1897 ثم حولها إلى حركة أصبحت عالمية وفى منتهى الخطورة.

دعت حركة المسيحية الصهيونية لمفهوم إنشاء ما تسميه وطناً قومياً لليهود واتجهت فى البداية للتفكير بأن يكون الوطن فى أمريكا أو أوروبا أو إفريقيا ثم تحولت للتركيز على فلسطين ووصفها بأنها أرض الميعاد وأن الله وعد بها اليهود فى وعده لسيدنا إبراهيم عليه السلام ثم إسماعيل وداوود ويعقوب وعملت الحركة الصهيونية على تجميع اليهود من الشتات وتأكيد ضرورة عودتهم لأرض الوطن التى وعدهم بها ربهم.

هل أودى خطاب ترمب السياسى به ؟

ترك الرئيس الأمريكى الســـابق دونالد ترامب البيت الأبيض وأمريكا قاطبة على مشـــهد مشوش منقســـم لم تعهده هذه الدولة العظمى منذ عقود طويلة ترجع لسنوات الحرب على فيتنام وحركة الحقوق المدنية. مشهد زادت ضبابيته أزمة جائحة كورونا التى كبلت العالـــم بأسره وجعلت أمريكا فى المركز الأول فى عدد الإصابات بالفيروس وعدد الضحايا إلى يوم كتابة هذا المقال.

ميسا جيوسي
حرم سكرتير أول جمـال عطـا

وكان السادس من يناير من العام 2021 هو ما أجج تعقيد المشهد والذى شـــهد اقتحامًا عنيفًا لمبنى الكونجرس من قبل جماعـــات مؤيـــدة للرئيس الأمريكى المنتهية ولايته دونالد ترامب، ومؤمنـــة بالفكرة التـــى روج لها منذ انتهـــاء الانتخابات وهى أن الانتخابات قد سرقت منه على حـــد تعبيره وبأنه هو الأحق بالســـلطة ورئاســـة أمريكا لفترة ثانية. نتائج الانتخابات الأمريكية الأخيرة كانت مثيرة جـــدًا للجدل وهى ليست المرة الأولى التى تقف فيها أمريكا على حافة جدل يتبع انتخاباتها ويطرح سؤالًا لم يلقَ إجابة إلى الآن يتعلق بمدى فعالية صوت الناخب الأمريكى فى ظل نظام ينتهى بأن يقرر المجمع الانتخابى من هو الرئيس الأمريكى القادم بغض النظر عن عدد أصـــوات منتخبيه. تلى نتائج الانتخابات ســـجال قوى مازالت أصداؤه تسمع إلى يومنا هذا، فقد كان لرفض دونالد ترامـــب لنتائج العملية الديمقراطية وتحريضه لمريديه فى أكثر من مناســـبة ســـبب لأن يقف اليوم فى مواجهة دعوات لمقاضاته وتوجيه تهم عديدة له فى مجلس الشيوخ.

وبالرغم من كل ما ســـبق ذكره من تداعيات إلا أن عهـــد ترامب فى البيت الأبيض قد انتهى فى مشهد غير مسبوق لمواقف مماثلة يمضى بها رئيس انتهت ولايته ليتقلد رئيس جديد زمام الحكم فى البيت الأبيض. حيث جرت العادة على أن يتوج هذا المشهد الديمقراطى بحفل يحضره كثير من الرؤســـاء الأمريكيين السابقين الذين مازالوا على قيد الحياة، وتحديدًا الرئيس المنتهية ولايته ليسلم الرئيس المنتخب مكانه فى تقليد أمريكى ديمقراطى عريق. دونالد ترامب أعلن فى أكثر من مناسبة أنه لن يحضر مراسم تنصيب الرئيس المنتخـــب جو بايدن وكان تمامًـــا كما وعد، فقد غادر البيت الأبيض صباح يوم تنصيب جو بايدن مصطحبًا معه حقيبة الســـلاح النووى مما أثـــار الكثير مـــن التكهنات حول كيف وأين ومتى سيســـلمها لخليفته بايدن. وفى ذات يوم مغـــادرة ترامب تم تنصيب بايدن بحفل اســـتثنائى فى مجالات عدة لعل أكثرها ظهورًا للعيان هو كم الإجـــراءات الأمنية التى رافقت التحضيرات لهذا الحفل وتخللته بشكل غير مســـبوق. فقد اعتاد الأمريكيون فى يوم كهذا ارتياد شـــوارع العاصمة الأمريكية فى حفل يتوجون به رئيسهم المنتخب محتفـــين بعرس الديمقراطية الأمريكية وتسليم السلطة السلس عبر الإدارات المختلفة. هـــذه المرة تحولت واشـــنطن لثكنة عسكرية أمنية تتوزع فيها قـــوات الأمن والحـــرس الوطنى والشرطـــة وغيرها مـــن أذرع الأمن فى زوايا العاصمة الأمريكية مشددة الطوق حول مبانيهـــا الحكومية ومدققة بكل من يقترب منها.

هذا الاســـتنفار الأمنى غير المسبوق تلا ما اســـتيقظت عليه أمريكا والعالم من مشهد ســـيريالى اعتلى به محتجون على نتائج الانتخابـــات الأمريكية التى لم ينجح بهـــا دونالد ترامب، ليقتحموا مبنى الكونجرس أيقونة الديمقراطية الأمريكية ويحطموا جزءًا من ممتلكاته الماديـــة ويضطروا الســـلطات الأمنية لإخلاء عدد من أعضائه كانوا يعقدون جلسة التصديق على نتائج الانتخابات الرئاســـية الأمريكية بمن فيهم مايك بنس نائب الرئيـــس الأمريكى دونالد ترامب، ممـــا أدى إلى توقفها وخروج أعضاء الكونجرس من قاعة الاجتماعات مهرولين بصحبة رجال الأمن هربًا من المقتحمين على مرآى ومسمع من العالم بأسره، تلا ذلك بســـاعات فرض منع التجول من قبل عمدة واشنطن وطلبه إرسال تعزيزات أمنية للعاصمة. عملية الاقتحام هذه تلت خطابًا وجهه الرئيس الأمريكى حينها دونالد ترامب لمناصريه قائلًا بأنه «لن يتنازل عن الرئاســـة» وداعيًا إياهم بشـــكل صريح «للتوجه لمبنى الكونجرس بهدف الاعتراض على نتائج الانتخابـــات» التى ادعى فى أكثر من مناسبة عدم مصداقيتها وتزويرها لصالح منافســـه المنتخب جو بايدين. كما دعـــا دونالد ترامـــب نائبه بنس لرفض التصديق على نتائج الانتخابات التى أنهى بهـــا الأمريكيون ولايته عبر صنـــدوق الانتخابات، لكـــن الأخير لم يفعل.

مازالـــت خيوط المشـــهد متناثرة والروايـــة عن مَن هـــم ومَن دعمهم فى مثل هذه الســـابقة الخطيرة لم تتضح بعـــد، وكثرت التقارير حـــول تلقيهم

مساعدة من أشـــخاص يعملون داخل مبنى الكونجرس الأمريكى ولم تتضح لهذه اللحظة مدى دقة هذه المعلومات. اختلط المشهد على الجميع، لكن الإجماع كان على دونالد ترامب بصفته الرئيس الأمريكى وقتها كان لـــه بالإمكان أن يتعامل بشكل أسرع مع هذه الأحداث الخطيرة أمريكيًـــا وأن يتجه بخطاب لمناصريـــه الغاضبـــين الذين خرجت تصرفاتهـــم العنيفة عن مـــا يعتاد فى الاعتراض على نتائـــج الانتخابات. بل يمكن الذهـــاب لأبعد مـــن ذلك فى ما يتعلق ليـــس بالتعامل مع الأزمة بل ما ســـبقها وكيفية تتابع الأحداث بشكل سريع لتصل لما وصلت إليه من إرهاب تعرضت لـــه الديمقراطية الأمريكية فى عقر دارها وبأيدى أمريكيين متشددين يرفضون صوت صندوق الانتخابات.

علاقة ترامب بالصحافة:

شـــابت علاقة ترامـــب بالصحافة الكثير من المناكفـــات منذ توليه قيادة البيت الأبيض، لكن هذا ليس الموقع الأول الذى يكون لترامـــب فيه مع الصحافة ســـجالات وجولات لا منتهية من الأخذ والرد. فلقد كان الرجل ومنذ عقود كثيرة مادة دســـمة للصحافة الأمريكية كونه شـــخصية مثيرة للجدل كانت دومًا بما تقلدت من مواقع سواء فى عالم الأعمال أو الترفيه أو على مستوى شخصى فى ما تعلق بعلاقاته المتعددة مادة لا تستطيع الصحافة الأمريكية أن تمر مرور الكرام بها لأنها كانت تثير فضول الأمريكيين المهتمين بمعرفـــة المزيد عن هذا الرجل متعدد الاهتمامات.

لكن دونالد ترامب مـــا قبل البيت الأبيض لم يفصـــل علاقته بالصحافة عن ترامب قاطن البيت الأبيض واستمر بنهج يمكن وصفه فى كثير من المواقف بالعنصرى والعدوانى، فقد شهد كثير مـــن الصحفيين مواقـــف محرجة فى مواقع اتهم بهـــا ترامب بعضهم بعدم الفهم أو أســـكتهم بطريقـــة فظة أو تجاهل وجودهم ولم يجب على أى من استفساراتهم. ولعل المطلع على تاريخ ترامب وعمله فى عالم الترفيه عن طريق تمويل واســـتضافة مباريات المصارعة يعلم أن أســـلوبه مـــع الصحافيين فى كثير مـــن المواقف قارب طريقة تعامله فى جولات حلبـــات المصارعة، فهو يرى فى الصحافـــة خصمًا لا ركنًا من أركان النظم الديمقراطية وسلطة طالما وجدت مكانًا مرموقًـــا فى البيت الأبيض، وترك ترامب البيت الأبيض بعلاقة مهشمة مع الصحافـــة كان العمل على ترميمها من أولويات خليفته بايدن وطاقمه المعاون.

ترامب ومنصات التواصل الاجتماعى:

لعلّ ترامب كان من أول الرؤســـاء الأمريكيين إثارة للجدل باســـتخدامه منصة التواصل الاجتماعى تويتر لقول ما يريد قوله فى كثير من المناســـبات. لا بل كان حسابه على هذه المنصة مدعاة لتأثر بورصات العالم صعودًا وهبوطًا، وما انفك ترامب منذ بداية توليه رئاسة البيت الأبيض إلى أواخـــر أيامه هناك يستخدم هذه المنصة للإعلانات المفاجئة عن قضايا مهمة جـــدًا على الصعيدين الأمريكى الداخـــلى والخارجى. وكانت تعليقـــات ترامب على هـــذه المنصة فى كثير من الأحيان تلقى انتقادات كثيرة لاتســـامها بالعنصرية حينًـــا وعدم المســـئولية أحيانًا أخرى. وكانت نهاية علاقته بهذه المنصـــة إذ قام القائمون عليها بحذف حســـابه وإقفاله ومنعه من استخدام المنصة فى ما تلا السادس من يناير من أحداث هزت المشـــهد الأمريكى. ذلك لأن القائمين على المنصة كانوا يخشـــون أن يغرد ترامب بما قد يعقد المشـــهد ويؤجج الصراع المحتدم على رئاســـة أمريكا. فقد وصف ترامب مقتحمـــى مبنى الكونجـــرس بأنهم «وطنيون» فى دعـــوى مبطنة لموافقته على ما يقومون به من اعتراض بطريقة همجية عدوانية على ما كان من المفترض أن يكون ديمقراطية تتبجح بها الدولة العظمى. لم يكن تويتر وحده من حجب حســـابات دونالد ترامـــب ومنعه من قول أى شيء جديـــد فقد انضم لتويتر كل من فيس بـــوك ويوتيوب ليحجب ترامب نهائيًا مـــن التواصل مع العالم عبر حساباته المثيرة للجدل فى كثير من المواقف.

خطاب دونالـــد المواطن الأمريكى بكل ما يحمـــل من تفاصيل لم يختلف عن خطاب دونالد ترامب الرئيس فهو لم يكن قادرًا على رســـم خط واضح ما بين شخصه كمواطن وموقعه كرئيس وهـــو فى كثير من المواقف كان يؤكد أنه لم يأت من خلفية سياســـية، فهو وإن كان مرشـــحًا للحـــزب الجمهورى إلا أنه جاء من خلفية رجل أعمال صادق الكثير من السياسيين والمستنفذين لكن السياســـة لم تكن فى مسار حياته قبل توليه رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية.

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

وتستمر اللقاءات التى تعقدها الرابطة على تطبيق زووم دائماً بالتعاون مع هبة هانم ماميش حرم سعادة السفير/ عمرو رمضان منسقة اللقاءات.

رأينا أن نتشارك الخبرات مع الزميلات اللاتى اكتسبن خبرات فى مجال العمل الدبلوماسى مصاحبات لأزواجهن فى مناطق العالم المختلفة ورأينا أن نبدأ بإفريقيا، وخير من نبدأ معها كانت الزميلة/ شمس هانم نبيل حلمى حرم سعادة السفير/ ماهر العدوى. والتى تنقلت معه فى عدة بلدان فى مختلف أنحاء العالم وإفريقيا منها: غانا وأثيوبيا وليبيريا ومالاوى.

وكان لقاؤنا معها عن خبراتها الإفريقية ثرياً ومليئاً بالخبرات والتجارب الحياتية التى أفادت السيدات الزميلات.

إلى اللقاء فى لقاءات أخرى إن شاء الله

رئيسة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

نادية الريس

رحلة فى أعماق قارتنا الأم:
نصائح من واقع أيام قضيناها فى إفريقيا

نحو بداية صحيحة!

لعلّ أول ما يقفز إلى خاطرى فور ما أسمع أن أحدهم مسافر إلى قلب إفريقيا ليستهل عملاً جديداً هو ذكرى وقع الخبر علىّ وعلى أسرتى لحظة ما أخبرنا زوجى ماهر العدوى عام 2006 أننا بصدد السفر إلى أثيوبيا، وتكرر الأمر فى كل مرة بعد ذلك عام 2010 عندما نقلنا إلى ليبيريا وعام 2014 إلى مالاوى، ومن قبل ذلك عندما نقلنا إلى غانا عام 1996، لقد انغمست بعمق فى التفكير فيما يتعين علىّ أنا وأسرتى فعله لكى نخوض هذه المغامرة الجديدة بنجاح.

ولذلك أود أن أشارك زميلاتى ممن يعايشن نفس الموقف اليوم بعض ما اكتسبته من خبرة فى هذا السياق. أذكر جيداً أن أول ما خبّرت به نفسى كان هو أنه ينبغى علىّ الاحتفاظ بقدر كبير من التفاؤل، فهذه هى حياتنا نحن الدبلوماسيين، وأنه على الرغم من كل هذه التنقلات فنحن نتميز بأننا نحظى بشرف ما بعده شرف، ألا وهو تمثيل وطننا فى الخارج. ولى أن أقول أن الأمر يزداد تشابكاً إذا ما كان الدبلوماسى رباً لأسرة، وهنا يكمن واجب الزوجة فى ضرورة مصاحبة زوجها فى مهماته الخارجية كشرط لا غنى عنه لأجل زواج ناجح وأسرة متماسكة، فضلاً عن الدور المحورى الذى تقوم به زوجة الدبلوماسى دعماً لزوجها فى مهمته خاصة على صعيد بناء العلاقات الوثيقة مع المجتمع المضيف والدبلوماسيين من دول أخرى فى دولة الاعتماد.

وفى الواقع، فإن البدايات الصحيحة تقود لنجاحات هائلة، ومن دون شك فإن نقطة البداية تكمن فى الاستقرار، وهو لن يتأتى إلا بكثير من التنظيم. فمن الضرورى أن نبدأ بالأشد احتياجاً للاستقرار وهم أطفالنا. أطفالنا هم الأبطال الحقيقيون فى رحلتنا مع العمل الدبلوماسى، وبقدر ما يفوزون بمكاسب ضخمة من السفر والتنقل والتعرف على ثقافات جديدة ونوافذ مفتوحة، بقدر ما يترك الترحال المستديم فى نفوسهم الغضة قدراً من الشجن - الذى تختلف درجاته باختلاف شخصياتهم - والحنين للأماكن التى قضوا فيها أيامهم وأقاموا صداقات وعلاقات ثم ما لبثوا أن تركوها خلفهم إلى غير رجعة. إذاً البحث

هبة هانم ماميش حرم سعادة السفير/عمرو رمضان

شمس هانم نبيل حلمى حرم سعادة السفير/ ماهر العدوى

عن المدارس الملائمة والنوادى وأماكن ممارسة الهوايات والأنشطة لهى من الأولويات التى يتعين علينا التدقيق فيها كخطوة أولى تلى معرفة وجهة السفر القادمة.

فور ما ننتهى من الخطوة الأولى تأتى الخطوة التالية والتى لاتقل أهمية عن سابقتها، إنها الموضوعات الصحية. من الطبيعى أن نستشعر بعض القلق فور معرفتنا بالسفر إلى دولة إفريقية – خاصة تلك الواقعة فى منطقة الغرب الإفريقى أو على خط الاستواء المطير – فالصورة النمطية لقارتنا هى كونها قارة فقر وبها أمراض مثل الملاريا والتيفويد والكوليرا. وأصدقكم القول، ما من دولة إفريقية تخلو من الرعاية الطبية صغرت أم كبرت، وهو ما سيكون كافياً لتلبية الاحتياجات الأساسية، اللهم من الحالات الحرجة لاقدر الله، فلا تجزعن لأن جميعنا يتمتع بمظلة تأمين طبى متميزة فضلاً عن إمكان السفر دوماً لأقرب دولة تتوفر بها خدمة طبية أفضل إذا ما لزم الأمر. وفى هذا السياق فإن الملاريا هى الأكثر شيوعاً فى عدد من دول القارة، ومن خبرتى الخاصة، يظل بمقدورنا تجنب الإصابة بالملاريا، فدائماً ما تكون الوقاية خير من العلاج، وذلك من خلال إبقاء المنزل خالياً من البعوض إلى أقصى درجة ممكنة عن طريق استخدام شبكات الحماية وتعقيم الغرف بالمبيدات الطاردة والقاتلة للبعوض بصورة مستديمة. لكن ما الذى يجب الإسراع بفعله حال الإصابة؟ فور ظهور أعراض الملاريا يجب الإسراع بتناول العلاج المحلى، فأهل مكة أدرى بشعابها. ولكل دولة دواء مختلف عن الأخرى، فليست كل الملاريا متشابهة وإنما تختلف باختلاف الأجواء المناخية ومن ثمّ تتباين العلاجات، ولا تستوحشى هذا الرأى إذا ما وجدت سفارات دول كبرى مثل الدول الأوروبية تتعاطى عقاقيرها الغربية الخاصة، فأنا أحادثك من واقع خبرة ميدانية وليس بصفتى طبيبة، وكثيراً ما يكون أهل الخبرة هم الأصدق.

آخر جزئية تتعلق بالأولوية فى الاستعدادات هى قضية الأمن، فمن المهم أن تكونى على دراية بحقيقة الأوضاع الأمنية فى دولة الاعتماد، فالحالة الأمنية تتراوح ما بين الدول الإفريقية وبعضها، وبالتالى ينبغى التعرف على طبيعة التحديات الأمنية وإجراءات الأمان والسلامة المتبعة فى الدولة، وذلك درءًا لأى مواقف غير طيبة وحفاظاً على سلامتك وسلامة أفراد أسرتك. وتقدم الشبكة العنكبوتية من خلال مدونات الرحالة والمسافرين والسياحة الكثير من المعلومات الوفيرة حول الحالة الأمنية فى جميع دول العالم، وقد يكون من الأنسب اتخاذ الاحتياطات الواجبة واتباع تعليمات الأمن المستديمة بحذافيرها مهما بدت الأمور هادئة، فطبيعة قارتنا الإفريقية هى التغير المستمر فى الأحوال ومن ثمّ فإن الالتزام أفضل من التفريط الذى قد لاتحمد عقباه. ونصيحتى لك ألا تدعى الهاجس الأمنى يفسد عليك وعلى أسرتك متعة الاستمتاع بالعيش فى قارتنا الجميلة ذات الشعوب الطيبة والمناظر الخلابة والحياة الاجتماعية الممتعة، فقط الحذر واجب وفى حدود المعقول.

ثم ماذا بعد؟

أول شئ بعد الانتهاء من الاستعدادات الأولية هو أن تتعرفى على الدولة التى أنتم بصدد العيش فيها، وأهم ما يجب التعرف عليه هو الملامح الثقافية السائدة فى دولة الاعتماد. الثقافة الإفريقية كنز لايعرف قيمته إلا من قرأ عن قارتنا وعرف عن حضاراتها وعشق تاريخها. خدعك من قال إن الأفارقة كانوا خارج تاريخ الإنسانية، وأن من قدمهم للنهضة العلمية والحياة المدنية هو الرجل الأبيض. ففضل حضارة ممالك تمبكتو فى مالى، وحضارة بنين ومن قبلهما الحضارة الفرعونية والفينيقية، وثقافات مثل الأشنتى فى غانا والدنكا فى جنوب السودان، كلها نماذج لأجدادنا الأفارقة ممن أسهموا فى رسم تاريخ الحضارة الإنسانية. وهكذا يصبح المكون الثقافى راسخاً فى شخصية إفريقيا والأفارقة، ولا عجب إن قلنا إن الدبلوماسى الناجح هو من يدرك هذه الحقيقة ويعمل فى إطارها لتصير الثقافة مدخلاً لبناء علاقات وطيدة مع المجتمع بدولة الاعتماد.

ومن المهم، وبنفس القدر، التعرف على المجتمع الدبلوماسى بدولة الاعتماد. فكلما ارتفع عدد البعثات الدبلوماسية كلما كان هذا مؤشراً على نشاط الدولة.

ومن الأنباء التى ستشعرك بكثير من الراحة أنه سيكون بمقدورك الحصول على مدبرين للمنزل بسهولة ويسر. وحسن معاملة العاملين المحليين وربما فى تعليمهم بعض الأكلات المصرية البسيطة فرصة نحو الترويج الجيد ورسم صورة طيبة فى أذهان الأهالى البسطاء وهو أمر نافع للغاية وممتد الأثر حيث يظل عالقاً فى النفوس ويسهم بشدة فى إزالة السمعة التى ترسخت لدى كثيرين ويسعى البعض ممن يزعجهم توجه مصر صوب عمقها الإفريقى إلى تكريسها، بنظرة المصريين الاستعلائية تجاه أشقائنا الأفارقة، فليكن العمال المحليون سفراء لمصر داخل القرى والبيوت التى يصعب الوصول إليها.

من جهة أخرى، فإن التعرف على السلع المتاحة بالسوق المحلى، وتعويض النقص بإحضاره بكميات معقولة ليغطى الاحتياج المطلوب لأسرتك، يشعرك بالاطمئنان لتوفرها. وبنفس القدر حاولى استكشاف الخدمات المتوفرة وأهمها الكهرباء والإنترنت

والاتصالات. ولحسن الحظ فإن هذه الخدمات قد شهدت تحسناً كبيراً قياساً بما كانت عليه قبل أعوام. ويظل خيار المولد الكهربائي متاحاً ليضفى المزيد من أجواء الراحة على أسرتك.

وها قد وصلت عزيزتى!

حمداً لله على سلامتكم، ولكن تذكرى أبداً لا تأخذك الحماسة وتقعى فى نفس الخطأ الشائع بقولك: «إنها أول مرة أزور إفريقيا». إن حقائق الجغرافيا راسخة كما هى أهرامات مصر وكما هى التلال الألف برواندا، وبالتالى فإن مصر تقع وستظل فى شمال شرق القارة الإفريقية، وطوال حياتنا منذ مولدنا ونحن فى إفريقيا، والتسرع بقول العبارة الفائتة يعنى قبولنا بالتقسيم الغربى الهادف لفصل شمال القارة الإفريقية عن جنوب الصحراء، وهو ما يتعين علينا جميعاً عدم القبول به.

بعد الوصول والاستقرار ابحثى عن جمعيات المرأة والشباب والأطفال، فبيدهم مفاتيح المجتمع. والتجارب أثبتت أن المرأة الإفريقية، على الرغم من معاناتها وما تجابهه من تحديات، قد حققت نجاحات بلغت حد ترأس دول وحكومات ووزارات مهمة فى مختلف دول القارة. كما أن علاقاتك بسيدات المجتمع من شأنها تسهيل مهمة زوجك فى الوصول بعلاقاته صوب مستويات عُليا من المسئولين. لاتندهشى، فالحياة فى إفريقيا أكثر بساطة من دول أخرى كثيرة، فبوسعك إذاً الاستفادة من هذه المزية.

ولا يفوتنى فى هذه الجزئية أن أشير عليك بتكوين شبكة علاقاتك الخاصة المباشرة دون الاكتفاء بالاعتماد على سكرتارية السفارة، فكلما نجحت فى اختراق المجتمع من جذوره كلما نجحت فى مهمتك التمثيلية.

اجعلى مصر محط الأنظار..

هذه مهمتك الكبرى وهدفك الحقيقى، ولكى يتأتى لك ذلك، إليك ببعض النصائح التى أهمس بها فى أذنيك:

- اجعلى من العيد الوطنى احتفالية تعريفية بمصر، اجعليه يوماً يتطلع إليه الجميع وينتظرونه من العام للعام.
- افتحى «بيت مصر» على مصراعيه واجعليه قبلة الزائرين، من مصريين وأجانب، ودعى دفء الاستقبال وكرم الضيافة يخرج كلمات الرضا من أفواه مرتاديه، مصر بلد كريم وبيوتها الدبلوماسية مرآة لهذا الكرم.
- تحركى بأريحية وزورى المدارس والملاجئ وشاركى بإيجابية وصدق فى المناسبات الاجتماعية، اظهرى الفرحة وقدمى المواساة، كونى مع الناس بقلبك تنفتح أمامك المغاليق، والرابح فى نهاية المطاف هى: مصر.

بقلم: شمس العدوى

حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى

حكايات اذا لم تسجل ستضيع ..... قد تبدو غير مهمة لكنها تحمل معلومة ربما تنطوى على عبرة، أو حكمة، أو حتى مجرد فكاهة.

بحكم المهنة الدبلوماسية وخاصة أثناء الخدمة بالخارج، يسعى إلينا الصحفيون، ورجال الإعلام بصفة عامة، يتسقطون الأخبار محاولين تَبَيْ موقفنا وردود فعلنا تجاه عديد من القضايا.

سفير يسرى القويضى
ykouedi@yahoo.com

يمكن للدبلوماسى الاستفادة من علاقته برجال الإعلام إذا أراد بث معلومات أو أخبار لتنشر للرأى العام أو لتصل لأسماع جهات معينة، وأيضاً لتوضيح موقفنا من بعض الأحداث وشرح وجهة نظرنا حيالها. لكن يجب على الدبلوماسى الحذر دائماً من ألاعيب بعض رجال الإعلام الساعين لخبطات إعلامية (حقيقية كانت أو بغير أساس) بغية تحقيق مكاسب وشهرة شخصية.

اعتدنا كدبلوماسيين التعامل مع رجال الإعلام بميزان حساس، مودة وترحيب فى جانب، وحرص وتحفظ فى الجانب الآخر. وعلمتنا الخبرة أن بعض الإعلاميين قد يفاجئونك - وأنت على الهواء مثلاً- بأسئلة أو تعليقات محرجة، وأحيانا يُحَرِفُ الصحفى ما ذكرته فى مقابلتك معه. لهذا السبب كنت دائماً أصرُّ على تلقى الأسئلة مكتوبة قبل المقابلة أو الحديث الصحفى، وأعِدُ الإجابات عليها مكتوبة أسلمها له عند استقباله، فيكون اللقاء مجرد مجاملة لالتقاط الصور فقط، وبذا أقلل من فرص تحريف الحديث أو تغير بعض جزئياته.

لكن رغم كل الحيطة والحرص قد تصادف إعلامياً خبيثاً، لا يضيره إيقاعك فى حرج أو مأزق إذا كانت له أغراض تعود عليه شخصياً بنفع مادى أو معنوى. وأتذكر أنه أثناء خدمتى بالسفارة المصرية فى واشنطن فى الفترة بعد توقيع اتفاق السلام مع إسرائيل، والموقف السلبى للدول العربية تجاهنا، صادفنا موقفاً ألخصه فى الآتى:

فى فورة الحماس والتأييد لسياسة مصر لجأ عدد من الصحفيين الأمريكيين للمكتب الإعلامى بالسفارة لتسهيل زياراتهم الصحفية لمصر وترتيب لقاءات لهم مع شخصيات بارزة بالقاهرة. فكانت تلك فرصة طيبة للترحيب بهم لما فى ذلك من دعاية وإعلام عن الموقف المصرى والسياسة السلمية لبلدنا.

وقد تقدم أحد الصحفيين ذوى المكانة بطلب زيارة مصر لإجراء حديث مع السيدة الأولى بالقاهرة، فقام المكتب الإعلامى بالترتيبات اللازمة، وتم اللقاء المطلوب، وعاد الصحفى (الذى تعاملنا معه بحسن نية) لواشنطن ليلعب لعبته الخبيثة نظير كسب مادى يبدو أن جهة معادية لمصر كانت وراءه. علمنا أن كاتب

السيدة جيهان السادات

المقال باعه إلى مجلة (البلاى جيرل) ولمن لا يعرف تلك المجلة، فهى مجلة إباحية تظهر فيها صور الرجال عرايا. لقد أراد الحاقدون إظهار السيدة الأولى المصرية على صفحات تلك المجلة الإباحية إمعاناً فى التقليل من مصر وزعمائها.

كان على السفارة إيقاف نشر المقال، تعنتت المجلة ورأت أنها حصلت على خبطة إعلامية رابحة، فرفضت سحب المقال من المطبعة، وكان الصدور بعدها بعدة أيام. استطاعت السفارة بوسائلها الحصول سراً على نص المقال المزمع نشره.

كان علينا التصرف بسرعة لإفساد خطط المجلة. فقمنا على الفور بإبلاغ القاهرة بالنص الكامل للمقال وطلبنا نشر ترجمة عربية له على الفور بجريدة الأهرام، باعتباره لقاء صحفياً بين مندوب الجريدة مع السيدة الأولى.

نشرت جريدة الأهرام نص المقال باللغة العربية، وبهذا السبق جاء النشر فى مصر سابقاً على تاريخ صدور المجلة الأمريكية، فظهر للعامة وللجميع بأن المجلة الأمريكية نقلت (سرقت) المقال ونشرته مترجماً للإنجليزية من النص العربى المنشور بالجريدة المصرية، وبذا فوتنا فرصة الحاقدين الراغبين فى الإساءة إلينا.

الخلاصة: علمتنا التجارب وجوب التعامل بحرص ويقظة شديدين مع كافة وسائل الإعلام، وبخاصة فى وقتنا المعاصر، الذى صارت فيه وسائل الإعلام من أدوات حروب الجيل الرابع والخامس.

لبنان أزمة دولة

تستمر الأزمة الداخلية فى لبنان إلى وقت غير معروف، يعيش لبنان السياسى برئيسين للحكومة الدكتور حسان دياب رئيس حكومة تصريف الأعمال وسعد الحريرى رئيس الحكومة، دياب يباشر مهام رئيس لتصريف الأعمال الضرورية والحريرى رئيس مع وقف التنفيذ وبينهما تتصاعد ألسنة الدخان التى تحجب الحقيقة، وفى القصر الجمهورى رئيس الجمهورية العماد ميشال عون يكرر نفس التجربة التى مر بها العماد إميل لحود من قبل بعد أن قطع الخيوط مع غالبية القوى السياسية الوازنة فى الدولة وانخرط فى علاقات أقرب إلى الولاء مع حزب الله والتيار السياسى الذى ينتمى إليه وما عدا ذلك لايهم.

ماهر مقلد
mmaklad50@gmail.com

يتصاعد يوماً بعد يوم الخلاف بين رئيس الحكومة المكلف والرئيس اللبنانى، وتظهر دعوات من أنصار الرئيس تدعو إلى ضرورة اعتذار الحريرى عن عدم الاستمرار فى مهمة تكليف الحكومة بعد خرقه للثوابت المتعارف عليها فى تشكيل الحكومات ومحاولة الانفراد باختيار الوزراء وهى مهمة أصيلة للطوائف، فى الوقت الذى يلتزم الحريرى الصمت ويترك الرد لشخصيات بارزة فى تيار المستقبل تنتقد الرئيس وصهره جبران باسيل وتؤكد على أن الحريرى لن يعتذر مهما كانت الدوافع وهو مستمر فى مهمته.

على هذه الأرضية الملتهبة كيف يستقيم الوضع فى بلد مثل لبنان منهك بالديون الخارجية، غارق فى القروض، متخم بالنازحين من سوريا وفلسطين، يعانى من ارتفاع نسب التضخم بشكل مخيف، يوشك على إعلان إفلاسه أمام العالم، بعد أن توقف عن الوفاء بالتزاماته للمؤسسات والبنوك ويواجه شللاً فى تفاصيل الحياة، فما الذى يتمسك به القادة؟ هذا السؤال هو الشغل الشاغل للمواطن اللبنانى الذى يتفرج على حاضره ويتابع ملامح المستقبل وهو غير قادر على الصمود وتلبية أبسط الضروريات، بعد أن قدرت المنظمات الدولية أن نصف عدد الشعب اللبنانى تحت خط الفقر وهى سابقة خطيرة لم يمر بها لبنان حتى فى أسوأ العهود بما فيها الحرب الأهلية التى كانت حرباً تحصد الأخضر واليابس.

يختنق لبنان من جائحة كورونا والتى اضطرته إلى اتخاذ قرار الإقفال العام فى كل المدن اللبنانية، وسط نقص حاد فى المستلزمات الطبية وفى قدرة البلد على شراء أو جلب اللقاح، وربط فى حينه بين الزيارة التى قام بها الحريرى إلى كل من تركيا والإمارات من أجل توفير اللقاح، وهو حل قد يكون مقبولاً لجائحة خطيرة تهدد العالم ومن بينه لبنان، فى الوقت الذى لاتزال كل الجوائح الأخرى تمثل أخطاراً كبيرة دون بارقة أمل فى الحلول.

تتنوع المواقف السياسية فى هذه التحديات التى يمر بها لبنان وتمازج حسب الهوى لا المصلحة ففى الوقت الذى ينادى فيه البطريرك الماروني المرجعية المسيحية بأهمية الحوار الثنائى بين عون والحريرى تبث منصات التيار الوطنى الحر الذى ينتمى إليه عون تقارير مباشرة عن شخصيات مسيحية وازنة فى المشهد وتناولها بأنها عبارة عن مجموعة تناقضات فى المواقف تطمح فى الوثوب على موقع رئاسة الجمهورية وهى غير قادرة على تمهيد الطريق نحو الهدف وتركز فى الوثوب على موقع الرئيس عون، هذه التقارير بالصوت والصورة استهدفت سمير جعجع رئيس القوات اللبنانية وسليمان فرنجية رئيس تيار المردة وسامى الجميل رئيس الكتايب وغيرهم، مما يضع المواجهة فوق الطاولة ويترك الصراعات مستدامة دون آفاق فى التقريب، وهناك زعامات أخرى مثل وليد جنبلاط القيادى الدرزى البارز، يرفع السقف عالياً تجاه حزب الله وعون ويتلمس الأعذار للحريرى ويدعوه للتخلى عن مهمة التأليف وترك الحمل بكامله لعون وحزب الله فلبنان كما يقول غارق وعليهما تحمل المسئولية.

فى هذا التوقيت من غير الوارد أن يستمع الحريرى لنصيحة جنبلاط، فالحسابات أمامه معقدة واعتذاره عن المهمة ربما يكون عائقاً لسنوات فى العودة إلى الواجهة بسبب متاعب عائلية وانقسامات مع شقيقه الأكبر بهاء وتجرأ البعض داخل لبنان على دوره والمطالبة بوجوه جديدة فضلاً عن خشية أن يفقد الدعم العربى والدولى كشخصية تحظى بالقبول، ويتم تصعيد بديل آخر، هناك نقطة جوهرية أخرى تدفع الحريرى دفعاً إلى عدم الامتثال إلى تمنيات جنبلاط، فهو الذى اعترف بأنه كان سبباً فى اندلاع أحداث 7 مايو والتى اجتاح على أثرها حزب الله وحركة أمل بيروت واعتدوا بشكل سافر على مقار تيار المستقبل بما فيها قصر قريطم سكن الحريرى فى ذلك الوقت، حيث تمسك جنبلاط خلال اجتماع الحكومة بأن تصدر الحكومة قرارين هما إقالة اللواء وفيق جزينى قائد الأمن العام وإقالة مدير مطار بيروت ضد رغبة حزب الله الذى لوح بأن إقالتهما تعنى تعدى الخطوط الحمراء وقد كان، ففى جلسة الحكومة والتى امتدت ٨ ساعات هدد جنبلاط الذى كان يتابع مع وزرائه فى الحكومة عبر التليفون السنيورة بسحب وزرائه منها فى حال عدم إصدارها الإقالة وهو قطعاً يعلم التداعيات ورغبة حزب الله فى الانتقام، وبعد مرور السنوات والتدمير وحصيلة الشهداء يعترف جنبلاط بأنه أخطأ فى موقفه، وهى عادة من عاداته لهذا يفكر الحريرى مئات المرات قبل الاستماع إلى نصائحه، هذا لا يعفى حزب الله مما حدث فهو يتحمل النتيجة كاملة وليس مبرراً أنه يبحث عن ذريعة كى يقتحم بيروت الآمنة.

لأجل هذا كله لا أحد يثق فى الآخر فى لبنان حتى العلاقة بين الحلفاء تحكمها المنفعة الشخصية.

مرّ لبنان فى العام الماضى بكارثة إنسانية تعادل فى حجم الدمار الذى خلفته تأثيرات القنبلة النووية التى ضربت مدينتى هيروشيما وناجازاكى فى اليابان فى الحرب العالمية الثانية، بعد وقوع تفجير ميناء بيروت ساد شعور عام بأن القيادات اللبنانية، معرضة للمساءلة القانونية والمحاسبة الجنائية وأنها لن

حسن دياب

سعد الحريرى

تقف فى طريق أية تغييرات قد تكون سبباً فى امتصاص غضب رجل الشارع حتى لو كانت على حساب انتزاع ثوابت تعودت عليها، وحضرت فرنسا فى المشهد بفعل عاطفى وبدور يطرح مجموعة من التساؤلات التى تنتقص من السمعة الفرنسية والوزن المعروف لباريس فى لبنان، ومنحت المبادرة الفرنسية التى قدمها الرئيس إيمانويل ماكرون القيادات اللبنانية الفرصة غير المستحقة فى العبث بأوراقها والتمادى فى التعطيل على خلفية المرونة الكبيرة فى المبادرة التى تسمح بالمناورة وعدم الالتزام بالبنود وتمرير الوقت.

الثقوب الواسعة فى جسد المبادرة الفرنسية وجعلتها تهوى فى مياه المرفأ المتفجر جاءت من عدم انتباه صناع المبادرة للتأثيرات الخارجية على الأطراف اللبنانية وتعاملات فرنسا ببنود المبادرة بدت مقبولة من الجميع فى الداخل حتى وإن كانت مكتوبة باللغة الفرنسية لكنها عندما تتم ترجمتها إلى اللغة الفارسية أو العربية ستكون العبارات غير قابلة للتنفيذ وهذا ما حدث وضاعت المبادرة فى نفق البحث عن وزراء اختصاصيين مقبولين فى بلد لا يعترف بالاختصاص ومرجعيته ترتدى العمامة بألوانها وشعاراتها المتباينة، فرنسا تعرف هذا جيداً وتمتلك رصيداً من الخيارات والخيارات تمنحها دوراً فريداً فى الضغط والإنجاز لكن تدخل الرئيس الفرنسى المباشر من أول السطر فى التفاوض قد يكون سبباً فيما آلت إليه المبادرة، فالتجارب الناجحة مع القيادات اللبنانية كانت فى اتفاق الطائف عام 1989 وفى اتفاق الدوحة عام 2008، حيث تم التمهيد وتجميع قيادات الصف الأول والتفاوض معهم وإبرام اتفاق بتوقيع الجميع، دون ذلك يجرى تبديد الوقت فى جميع جولات التفاوض لحل الأزمة اللبنانية عندما يزور المفاوض العربى أو الدولى أو على مستوى العلاقات الثنائية لبنان حيث يتوجب عليه الاجتماع بكل أطراف المعادلة على حدة وتبديد الوقت بين الاستماع إلى وجهات نظر والعودة بإجابات ثم تغييرها وسرعان ما يغادر بيروت على أمل العودة من جديد لاستئناف المفاوضات وعندما يعود يبدأ من نقطة الصفر بعد أن يكتشف أن هناك تطورات فى المواقف لم تكن موجودة وهكذا تستمر الدائرة المفرغة، وإهدار الوقت حتى تأتى الإشارات من القوى الإقليمية التى تسيطر على قرار الداخل اللبنانى.

لا يشك أحد من المراقبين فى العاصمة اللبنانية بيروت فى أن المبادرة التى أطلقها الرئيس الفرنسى إيمانويل ماكرون تجاه لبنان فى أعقاب الانفجار الكارثى الذى دمّر نصف العاصمة بيروت فى الرابع من شهر أغسطس العام الماضى، قد ماتت بالكامل مع انهيار الشق الاقتصادى الإصلاحى فيها، بفشل عملية إجراء التحقيق الجنائى فى حسابات مصرف لبنان المخصصة لتبيان حقيقة ما جرى لجهة سرقة أموال المودعين اللبنانيين والأجانب فى مصارف لبنان، وإفلاس الدولة ومعها المصرف المركزى.

هكذا حكمت جريدة النهار اللبنانية على المبادرة.

ثم أكملت بعد الغرق الاقتصادى للمبادرة هوى الشق السياسى منها، مع فشل تشكيل حكومة اختصاصيين مستقلين برئاسة السفير فى برلين مصطفى أديب، فسقطت المحاولة لجملة عوامل تراكمت فأدت إلى تلقى المبادرة الفرنسية ضربة كبيرة، أدت فى مكان ما إلى كسر اندفاعة الرئيس ماكرون فى لبنان وتشتيت عوامل القوة المعنوية والسياسية التى كان يتمتع بها عندما حطّت رجلاه فى بيروت فى أعقاب انفجار المرفأ، حيث استقبله معظم اللبنانيين كمخلص، ونقيض - فى أعينهم- الصورة الطاقم اللبنانى الحاكم المقيتة.

وفشلت المبادرة الفرنسية مرة جديدة بعد تكليف الرئيس سعد الحريرى بتشكيل الحكومة الجديدة وفق معايير المبادرة التى نصّت، بحسب مواقف الرئيس الفرنسى نفسه، على أن تكون مؤلفة من وزراء أصحاب كفاءة ومشهود لهم بالنزاهة والاستقلالية عن الأحزاب، لكى ينجزوا مهمة وقف انهيار لبنان وإعادة إعمار بيروت التى تضررت جراء انفجار المرفأ. وكان من المتوقع أن تتم عملية تأليف الحكومة برئاسة الحريرى بسرعة قياسية، إذ قيل فى الأيام الأولى بعد التكليف إن التأليف لن يستغرق أكثر من أسبوع ما دام كل الأطراف متمسكين بالمبادرة الفرنسية واتخذوا قراراً بإنقاذ لبنان من الأزمة الخانقة التى يعانى منها. مع ذلك، طالت عملية التأليف واصطدم الحريرى بتعقيدات اللعبة السياسية مع رئيس الجمهورية ميشال عون، وأدت لعبة التوازنات إلى تبديد الوقت، وبالتالى إلى تشتيت اندفاعة المبادرة أكثر، حتى وصلت الأمور إلى مرحلة تقارب اليأس من إمكان تأليف حكومة لبنانية جديدة.

الملاحظات على المبادرة الفرنسية كثيرة ومتنوعة منها أن الرئيس ماكرون تعامل مع لبنان الناعم زار السيدة فيروز، تجول فى الشوارع، جمع الزعماء على مائدة عشاء لكنه لم يوقع اتفاقاً مكتوباً كما حدث فى الدوحة أو الطائف، وفقدت فرنسا الهيبة، وإن كانت لاتزال حاضرة بحكم التاريخ والعلاقات.

أى مستقبل ينتظر لبنان حتى بعد تشكيل الحكومة، الشواهد ترجح الغضب الشعبى بسبب تآكل الودائع فى البنوك، ولكنه سيبقى مكتوماً ينزف ويتحسر على بلد كان منفتحاً، يتجاوز الماضى سريعاً لكنه يعود إلى دائرة مفرغة يحكمها ملفات إقليمية ليس للبنان قبل بها.

خطوات مضيئة نحو الفضاء

الحمد لله فقد انقضى العام الكبيس عام 2020 قبل أن يقضى علينا. عام ســـادته الجائحة والوباء تركنا وقد قضى على من قضى وانعزل من عزل ومن نجا بات خائفاً مرعوباً لا يجرؤ على مصافحة صديق أو احتضان حبيب.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

ورغم هـــذا الجو القاتـــم الموحش توهجت وســـط الظلام أحداث مضيئة جددت التفاؤل والأمل فى النفس خاصة وأنها أتت فى مجال العلم والتكنولوجيا الذى يفتح أبواب المســـتقبل. فى خواتيم أيام الســـنة وكأن الله يريد أن يعوضنا عما تحملناه من معانـــاة. وفى يوم 12 ديســـمبر نشرت الصحف أن الدكتور خالد عبدالغفار وزيـــر التعليم العالى والبحـــث العلمى افتتـــح محطة رصد الأقمار الصناعيـــة والحطام الفضائى التابعة للمركـــز القومى للعلوم الفلكية والجيوفيزيقية التـــى تقع داخل حرم مرصـــد القطامية والغـــرض منها هو رصد ومتابعة الأقمار الصناعية والركام الفضائى لحماية الأقمار وسائر المركبات الفضائية من الاصطدام به وتوفير الأمان لها فى الفضاء.

ولتقديـــر أهميـــة رصـــد الحطام الفضائى علينا أن ندرك حجم المشـــكلة والخطر الـــذى تمثله. فمنذ بداية عصر الفضاء فى عـــام 1957 بإطلاق الاتحاد الســـوفيتى القمـــر spvtnic وما تلاه من تســـابق الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفيتى بإطلاق الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية ثم تلتها دول أخرى أوروبيـــة والهند والصين، اكتظ الفضاء وصار أشـــبه بالطريق المزدحم. فيوجد اليوم 2000 قمـــر صناعى عامل يدور فى فلك الأرض إضافـــة إلى 3000 قمر انتهت صلاحيتهـــا لكنها مازالت معلقة فى الفضـــاء فضلاً عـــن ركام صواريخ ومركبـــات تحطمت إثر حوادث. ويقدر الخبراء بأن هناك 34 ألف قطعة حطام يزيد حجمها على 10سم و128 مليون قطعة حجمها فى حدود 1مم سابحة فى الفضاء، ويشـــكل هذا الركام الفضائى خطراً شـــديداً على المركبات الفضائية التى تنطلق إلى الفضاء، وكان لابد لمصر التى بدأت فى إطلاق الأقمار الصناعية أن تهتم بهذه الظاهرة لتؤمن أقمارها.

ولمصر تاريخ قديم منذ زمن الفراعنة والعصور العربية والإسلامية. إلا أن فترة الإظلام الحضارى التى ســـادت خلال الفترة العثمانية محت ذلك.

كان أول بـــزوغ لعلـــم الفلك بعد ذلك مـــع حملة نابليـــون على مصر فى الأيـــام الأخـــيرة من القـــرن 18 حيث أقام الفرنســـيون مرصـــداً صغيراً فى القاهرة إلا أن الغرض منه لم يكن نشر العلم والمعارف بقـــدر إبهار المصريين وإشعارهم بالدونية وتفوق الفرنسيين عليهم، فعرضوا بالون هواء ساخن يطير فى السماء وتجارب كيماوية يصدر عنها لهب وأبخرة ملونة فيما يشـــبه بألعاب الحواة أكثر منها تجـــارب علمية. وفى عصر محمد على وبمعاونة مجموعة من الفلكيين الفرنسيين أنشئ مرصد فلكى فى عـــام 1839 فى بولاق ظل يعمل حتى عام 1868 حيث افتتح مرصد جديد فى العباســـية متزامناً مع احتفالات افتتاح قناة الســـويس.. وأشرف على تأسيسه النابهان محمود باشا الفلكى وإسماعيل باشا الفلكى.

واستمر مرصد العباسية يعمل حتى عام 1903 حينما أدى التوسع العمرانى لمدينة القاهرة إلى زيادة التلوث الضوئى الـــذى يعرقل عمل المرصـــد فانتقل إلى حلوان، وحصل على تليســـكوب جديد بعدســـة قطرها 75ســـم وهى عدسة كبيرة بمعايير هذا الوقت، وحقق المرصد نجاحاً كبيراً عام 1909 بنجاحه فى رصد مذنب هالى الذى يظهر مرة كل 75 سنة.

وتكرر ما حدث لمرصد العباســـية مع مرصـــد حلوان حـــين زحف عليه عمران القاهـــرة فضلاً عن التلوث الذى سببه مصنع الحديد والصلب ومصانع الأسمنت فكان من الضرورى أن ينتقل المرصد مرة أخرى فى عام 1964. ولقد بدأ اســـتمرار التمـــدد العمرانى لمدينة القاهرة خاصـــة العاصمـــة الإدارية الجديـــدة التى مازالـــت تنتظر انتقال الكثير من المرافق إليها تؤثر على مرصد القطامية مما يرجح انتقاله مرة أخرى. وأرجـــو أن يكون الاختيـــار بعيداً عن القاهرة ومراكز السكان الكبيرة خاصة وأن أكثر مـــن 95٪ مـــن إقليم مصر صحارى غير مأهولة مناســـبة لإقامة المراصد.

وتم عقب انتقال المرصد إلى القطامية

مرصد القطامية الفلكي

تحويل مرصد حلوان إلى متحف وقدمت مصر فى عام 2010 طلباً إلى اليونسكو بضم مرصد حلوان إلى موقع من مواقع التراث العالمى المتمتع بالحصانة بالنظر إلى أهميته العلمية والتاريخية باعتباره من أقدم المراصد فى الشرق الأوسط وإفريقيا.

وبدخول العالم عصر الفضاء وتحليق الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية كان من المحتم أن تواكب مصر العصر وتبدأ فى رصد ما يجرى فى الفضاء، فتم تأسيس المركز المصرى للاستشعار عن بعد فى عام 1971 ويتبع الأكاديمية المصرية للبحث العلمى والتكنولوجيا الذى تحول فى عام 1994 إلى الهيئة القومية للاستشعار وعلوم الفضاء.

وفى عام 2018 تم إنشاء وكالة الفضاء المصرية وتهدف إلى استحداث ونقل علوم تكنولوجيا الفضاء وتوطينها وتطويرها وامتلاك القدرات الذاتية لبناء الأقمار الصناعية وإطلاقها من الأراضى المصرية.

وقد شهدت السنوات القليلة الماضية دخول مصر ضمن قائمة الدول المالكة للأقمار الصناعية، بدأت بإطلاق القمر نايل سات 101 فى عام 1996 تلاه القمر نايل سات 102 و103 وهى سلسلة أقمار مخصصة للاتصالات. وفى عام 2007 أطلقت مصر القمر إيجيبت سات1 وتلاه إيجيبت سات2 وهى أقمار للاستشعار عن بعد. وفى 2019 أطلقت مصر القمر الصناعى طيبة سات 10 وهو قمر للاتصالات يغطى إقليم مصر كله ويمتد إلى دول عربية.

ومن المبشر بالأمل أن نسبة المدخل المصرى فى تصنيع الأقمار الصناعية فى تزايد مستمر بين كل قمر ينطلق إلى الفضاء وآخر.

ولعلّ مما يدعو إلى التفاؤل تزامن الإعلان عن افتتاح محطة رصد الأقمار الصناعية الإعلان عن استضافة مصر لوكالة الفضاء الإفريقية، وهى خطوة موفقة لأنها تتيح لمصر أن تعبئ الجهود الإفريقية فى مجال الفضاء حشداً للإمكانات ومنعاً للازدواجية وإهدار الأموال.

وأعلن أيضاً عن إنشاء مدينة الفضاء المصرية على 129 فداناً وتضم 23 مبنى للأبحاث والأنشطة المتعلقة بتكنولوجيا الفضاء وتصنيع الأقمار الصناعية، ولعل من أهم أهداف مدينة الفضاء المصرية هو تجميع وتنمية الكفاءات البشرية اللازمة لصناعات الفضاء.

خطوات مصر فى مجال الفضاء والأقمار الصناعية أمر مهم ويفتح آفاق المستقبل بعد أن بات الفضاء والأقمار الصناعية أموراً حيوية تدخل فى مجالات عديدة أهمها الدفاع لارتباط صناعات الفضاء بالصواريخ وأقمار التجسس والرصد والتعدين وكشف الثروات الكامنة من بترول ومعادن من الفضاء، حتى كشف مصايد الأسماك وحتى الكشف عن الآثار المطمورة تحت الأرض. ولعل ما حققته مصر يكون فاتحة خير للمستقبل.

قراءة فى كتاب السفير د. محمود سمير أحمد

حول العالم مع دبلوماسى مصرى

متعـــة القراءة فى أدب الرحلات لها مذاق خاص لما تتضمنه من تشـــويق ودراما وكشـــف عن المجهول، فهى فى الأســـاس تعبير عميق عن رغبة الإنسان فى كشف المجهول، واختراق الآفاق، واكتشاف المعارف الجديدة، كما أن الســـفر رغبة دفينة فى الفكاك من أسر المكان، ورياضة للنفس وتثقيف الفكر، والتعرف على أسلوب حياة الآخرين، وتقاليدهم وعاداتهم ومأثوراتهم الشعبية، وآداب وفنون شعوب لها خصوصيتها ويعبر عن ذلك الرحالة العربى المسعودى بقوله:

(ليس من لزم وطنه، وقنع بما آل إليه من أخبار كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأســـفار، واستخراج كل دقيق من معدنه وإثارة كل نفيس من مكمنه).

وقيمـــة أدب الرحـــلات هى الإلمام بالأجناس الأدبيـــة المختلفة، كالقصة والشـــعر والدراما، ويصبح بجاذبيته أداة تشويق القراءة إلى جانب المعرفة المتعددة، وكانت (ألف ليلة وليلة) خير مثال لروائع الأعمال الأدبية تشويقاً فى التراث والتى اتخذت من الرحلة عنصراً أساسياً، ويأتى كتاب السفير د. محمود ســـمير (حول العالم مـــع دبلوماسى مصرى) تجسيداً لأهمية أدب الرحلات بالإضافة إلى غزارة المعلومات والمعارف والمشاهدات والأماكن التى تشمل ثلثى العالم تقريباً.

الكتاب عمل فريـــد فى قيمته، لأنه ليس من قبيل أدب الرحلات وحسب، أو أدب السياسة وحسب، بل لقد جمع كلا النوعين فى عمـــل أدبى واحد ولم لا؟ فصاحب الكتـــاب من هواة الأدب، وعاشـــق للترحال منـــذ طفولته، وقد حققت مهنة الدبلوماســـية طموحاته ورغبته وآماله فى التنقل والترحال بين جنبـــات بلاد الدنيـــا المختلفة، وليس هناك من فرصة أفضل لدراسة محاسن وخصائص بلاد الله الواســـعة. نيف وثلاثين بلداً هى موضوع هذا الكتاب،

عادل عبدالصمـــد
adelabdelsamed@yahoo.com

الطمـــوح فى غايته، حيث يقود القارئ فى رحلات فكرية وثقافية وســـياحية ممتعة، تارة بالبحـــر وتارة بالطائرة أو الســـيارة عبر بلدان البحر الأبيض المتوســـط، والمحيط الأطلسى وأوروبا الغربية والأمريكتـــين وجنوب شرقى آســـيا ونيوزيلاندا وهونولولو، وجزر فيجى وإفريقيا.

تجارب لها تفردها، جمعها الكاتب الأديب عبر ثمانية وثلاثين عاماً، تنقل فيها بين سفارات مصر فى أربع عشرة ســـفارة، من أهم ســـفارات مصر فى الخارج، من درجة ملحق، إلى ســـفير ممتاز، ومن خلال تلك التجارب يسرد الكاتب التأملات والتحليلات ويســـوق العديد مـــن الملاحظـــات والمعلومات السياسية والإحصائية والسياحية، فى مزيج شـــيق من أدب الرحلات وأدب السياسة.

وقدم الكاتب مقارنات لها أهميتها على مر التاريـــخ، مقارنات بين تركيا وأســـبانيا وعلاقة كل منهما بالعرب والعروبة، وبين مصر والمكسيك، ومصر وبيرو ومعلومات غزيرة عن الحياة فى الولايات المتحدة فى ثلاثة فصول، طريفة قدر ما هى مهمة ومفيدة، وقدم للقارئ سياسة الولايات المتحدة الداخلية ومدى تأثيرها على سياستها الخارجية وعلاقة مصر بالولايـــات المتحدة، بالإضافة إلى ما كتبه عن تونس وكولومبيا والمكسيك وبريطانيا وهى مـــن أمتع ما كتب فى أدب الرحلات وأدب السياســـة، ونجد معلومـــات لها خصوصيـــة من حيث ندرتها وقيمتها تخص دبلوماســـية الأمم المتحدة ودبلوماسية نزع السلاح.

واستطاع الكاتب من خلال مهنته الدبلوماســـية أن يحقـــق حلمه الذى تملكه منـــذ طفولته، ويجـــوب بلاداً متعددة، بدأت برحلة مع والديه فيقول: (وقد بدأ حبى للأسفار والترحال قبل سن التاسعة بقليل، حينما اصطحبنى والداى رحمهما الله، فى رحلة صيفية ســـنة 1935 إلى أوروبا). ويؤكد مرة أخرى قائلاً: (إن رحلتى إلى أوروبا وأنا حدث صغير، جعلتنى أحس مبكراً بلذة السفر، ومعيشـــة البواخر، والفنادق، وألتهـــم جمال مدن أوروبا، وحســـن نظامها... ولست أشـــك فى أن ذكرى رحلتى إلى أوروبا وأنا فى هذه الســـن المبكرة، قد هيأتنى ذهنياً، بل جذبتنى بشدة لحياة السلك الدبلوماسى، ولكثرة

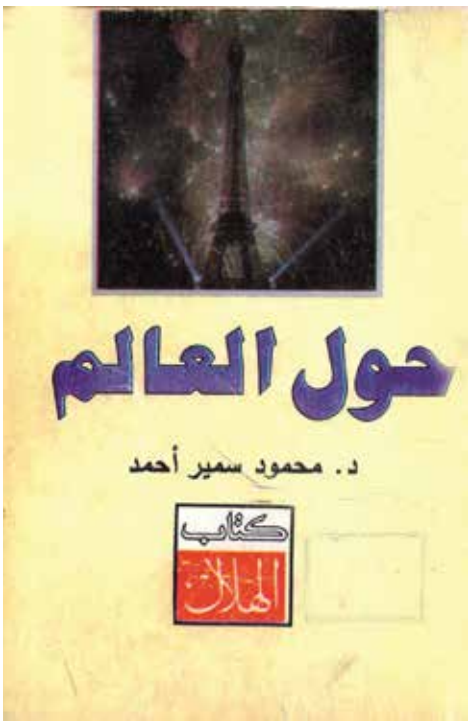

الأسفار والترحال).

ويجسد الكتاب قيمة الكاتب وجديته وحرصه الدائم على تحصيل المعرفة رغم صعوبة العمل والمسئوليات الجسام التى تحملها فى عمله الدبلوماسى، واستطاع أن يستثمر أوقات راحته، من عمله، لدراسة الماجستير والدكتوراة، وأجاد الأسبانية والإنجليزية والفرنسية مع شئ قليل من التركية وكثير من الإيطالية، ومن الإبحار فى كتاب حول العالم يتضح عمق التكوين الدبلوماسى للكاتب، وقدرته على الملاحظة والتحصيل والذاكرة القوية، بحيث يستطيع سرد الحوادث والمقابلات وأجمل ما شاهده وأبهره وحاول أن يشرك قارئه فيما رآه فى بلاد أحبها وعاشت فى وجدانه ويستدعيها بأسلوبه البديع ويضيف عليها ثقافته المتفردة فيقول بعد ما ركب القطار الفرنسى صوب الحدود الأسبانية: (ولما كان الصباح طالع عيوننا منظر من أجمل مناظر الدنيا دون منازع، فقد كان القطار يجتاز قمم جبال البيرينيز «أى البرانس كما سماها العرب» وكنا نعلو واحدة من تلك القمم التى تشرف من عل بل من ارتفاع شاهق على شريط الساحل الفرنسى الأسبانى، لمسافة عشرات الكيلو مترات شمالاً وجنوباً وعلى أديم البحر الأبيض، صافى الزرقة، رائع الجمال وهو يداعب شاطئ أسبانيا الشمالى الشرقى الذى تحف به التلال والربا الخضراء المكسوة بالغابات، ذات الخضرة الداكنة، وقد ذكرنى ذلك المنظر الرائع فوق قمم البيرينيز، بوصف أمير الشعراء أحمد شوقى للطبيعة فى مناسبة شديدة الشبه وهو يجتاز جبال التيرول فى النمسا حين يقول:

تلك الطبيعة قف بنا يا سارى حتى أريك بديع صنع البارى

الأرض حولك والسماء انفضتا لروائع الآيات والآثار)

ويحاول أن يشرك القارئ فيما ارتاحت له نفسه فيقول:

(ويجدر بى الوقوف هنا هنيهة لأذكر القارئ بأن جانباً كبيراً جداً من جمال وسحر المدن أو القرى التاريخية القديمة، التى تعود إلى العصور الوسطى، سواء فى أسبانيا أو غيرها من بلدان أوروبا، إنما يعود إلى توافر عنصرين، مهمين، هما: النظافة التامة والصيانة المتجددة، التى تظهر وتؤكد جمال وسحر العنصر الثانى ألا وهو مدى اهتمام فنانى ومهندسى العصور الوسطى بالتفاصيل الصغيرة فى كل شئ، كما تظهر الشخصية المتميزة المصاحبة للإبداع الهندسى، والفنى الجمالى المتوافر فى كل ما شيدوه، من منازل وشرفات وأبواب وجدران وقلاع وحصون، والكاتدرائيات والكنائس والقصور).

وفى أسبانيا يتعجب الكاتب بمظاهر المعيشة، خاصة فى مدينة قلعة أيوب ليلاً، حيث صخب الحياة وكثرة الأنوار فى هذه المدينة الصغيرة، فى تلك الساعة من الليل، جميع المقاهى والمطاعم مزدحمة، النساء والأطفال يتنزهون، فى الشوارع وكأنهم فى عز الظهيرة، وتبدأ الحياة والنشاط الاقتصادى فى أسبانيا من التاسعة صباحاً، ويستمران إلى الواحدة ظهراً، ثم تعطل كل الحركة تماماً حتى الرابعة أو الخامسة مساء، ولا تنتهى إلا فى ساعات متأخرة من الليل، أى أن الأسبان وبخاصة فى النصف الجنوبى ومناطق أخرى، تشتد حرارة الجو صيفاً، ويعيشون أغلب حياتهم ليلاً، ويتناولون طعام الغداء فى الثانية ظهراً، ثم يمارسون رياضة النوم بعد الغداء، لعدة ساعات حين تخلو الطرقات تماماً من الحركة وعند غروب الشمس يهرعون للخارج، للجلوس على المقاهى أو الكازينوهات وقبل العشاء هناك ظاهرة أسبانية أخرى تصحب (ساعة الفيرموث) أى تناول بعض المشهيات وبخاصة نتاج البحر، كالسردين الصغير المشوى أو الجمبرى أو القواقع البحرية مع النبيذ، الذى تشتهر به أسبانيا، أما الرياضة المحببة للأسبان فهى (الخاى ألاى) وأصلها فى شمال أسبانيا أى منطقة الباسك وهى لعبة كرة سريعة جداً، أقرب للإسكواش، لكن المضرب يلبس فى اليد ولا يزيد كثيراً على حجم الكف، أما فى بقية أنحاء أسبانيا فالرياضة الشعبية الأولى هى مصارعة الثيران، تليها كرة القدم.

وتمتاز أسبانيا - مثل غيرها من البلاد الأوروبية الراقية - بكثرة الحدائق العامة الفسيحة المنمقة، ولعل الأسبان ورثوا حب وفن غرس الحدائق عن أجدادهم من العرب، الذين أدخلوا إلى أسبانيا زراعات كثيرة، لم تكن معروفة أصلاً بأسبانيا، فضلاً عن فنون الرى والصرف والمساقى والساقية وطواحين الهواء).

وننتقل مع الكاتب إلى الولايات المتحدة حيث يقول: (بدأنا رحلتنا من الإسكندرية إلى نيويورك على الباخرة اكسكوردا فى مارس (1951) وهكذا بدأنا زوجتى وأنا، رحلة العمر معًا، رحلة التنقل ما بين أركان العالم المختلفة، تلك الرحلة التى سوف تأخذنا إلى نهاية عام (1986)، فى الخدمة الدبلوماسية العاملة، ثم ما بقى من العمر بقوة الدفع، وبحكم

ما اعتدناه طوال العمر من لذة السفر والتنقل... ولدفع شـــعور الملل الذى ينتاب الدبلوماسى إذا ما بقينا فى مكان واحد لفترة طويلة.

رحلـــة تمتـــد وتتوقف مـــن بعد الإســـكندرية فى كل من بيريه (أثينا)، مسينا (صقلية)، نابولى وليجهورن ثم جنوا فى إيطاليا ومرســـيليا فى فرنسا، وبرشلونة فى أســـبانيا ثم جبل طارق وأخيراً بوســـطن بنيويورك). ويقول الكاتب عنها:

(وقـــدروا لنا أن الرحلة ســـوف تســـتغرق ما بين الثمانيـــة عشر إلى العشرين يوماً ولـــم نمانع فى ذلك، بل رحبنا بفرصـــة التعرف على بعض ما لم نكن نعرفه من مدن العالم القديم، قبل التعرف على العالم الجديد، وكان كل أملنـــا أن يترفق بنا البحر فى فصل الشـــتاء هذا، وأن يكون عبور المحيط الأطلسى غير قاس).

وقدر للكاتب وزوجته العودة لزيارة بيريه، وأثينا، وما حولهما فى منتصف السبعينات، ويسجل ما حققته اليونان من تقدم سريع، وأصبحت بيريه مدينة كبيرة وميناء حديثاً متقدماً، أما أثينا وضواحيها فقد نالها الكثير من مظاهر الرخاء المادى، والرعاية السياحية، لكن مازالت تحمل بالنسبة للمصريين طعماً خاصاً، مؤكداً عـــلى العلاقات الوطيدة التاريخية والإنســـانية والحضارية ما بين المصريين واليونانيين، ويضيف أن كثيراً من الأطعمة المصرية تراها فى أثينا بكثرة، مثل السميد أو السميط الفاخر المستدير بالسمســـم، فضلاً عن أنواع الحلاوة الطحينيـــة، والجبن الرومى والبســـطرمة وأنواع الفاكهة الجافة والقهوة الشرقية والحلويات الشرقية.

وتتميز اليونـــان بالجزر الصغيرة المتناثرة مـــا بين اليونـــان وقبرص وتركيا، فيصفها بقطع اللؤلؤ الأبيض السابحة فى بحار زرقاء، وكل منازلها بيضاء ذات نوافذ خشـــبية زرقاء أو صفراء، تعلو ربا خضراء مرتفعة تطل على البحر الأبيض، ينحصر جمالها فى الطبيعة الهادئـــة والتى لم تغيرها يد الحضارة أو المدنية السريعة الهوجاء.

ومن بيريه إلى مســـينا فى صقلية ثـــم باليرمو عاصمة صقليـــة، ثم إلى تاورمينـــا، ذات التفـــرد فى الجمال والطبيعة الخلابة ومـــن جبل طارق بطبيعته البديعة، يشـــجع على نسج الأساطير حوله منذ القدم، فإن الإغريق والرومان، كانوا يؤمنون بأســـطورة مؤداها أن هرقل هو الذى مزق ما بين الجبلين اللذيـــن يحفان بمضيق جبل طارق حالياً وكانوا يسمونهما بعمودى هرقل، الـــذى يفصل حالياً بين أوروبا وإفريقيا.

وتلك الرحلة من الإســـكندرية حتى عبور الأطلسى، يقول عنها:

(أمضينا تســـعة أيـــام كاملة فى عبور الأطلـــسى، أى أننا أمضينا (24) يوماً كاملة على ظهر السفينة، منذ أن غادرت الإســـكندرية، منها أسبوعان مرا كالحلم الجميل، بين موانئ البحر الأبيض، ثم الباقى تحت رحمة أمواج الأطلسى، حتى وصلنـــا ميناء ومدينة أمريكية).

وصـــل الكاتب مدينـــة نيويورك ويقدمها للقـــارئ قائلاً: (كان دخولنا ميناء نيويورك ذات صباح، مما سمح لنا مشـــاهدة تمثال الحرية الشـــهير وكوبرى فرازانو المعلق، شديد الاتساع والمعديات التـــى تعبر من مانهاتن إلى جزيرة ســـتاتن، وأخـــيراً وليس آخراً منظر ناطحات الســـحاب فى جزيرة مانهاتن، منظر فريد فى بابه، ونيويورك مدينة بديعة عظيمة).

وننتقل مع الكاتب ليخبرنا: (كانت هذه السنوات التى قضيتها فى واشنطن مـــن (1951) إلى يوليو (1956) من أمتع السنوات، ومن أكثر السنوات التى قضيتها فى الســـلك الدبلوماسى فائدة، فقد هيأت لى فرصـــة العمل والإفادة من تجارب سفارة نشطة، مهمة غنية بالخـــبرات، وبالعمل المثمـــر الجاد، وتحت رؤساء أو مع زملاء كانوا خيرة الزملاء وخير الرفقاء، وصفوة المعلمين والناصحين).

الكتاب حافل بالتجارب والطرائف وما قدمتـــه ما هو إلا قطوف من ثروة من المعلومات الدبلوماسية والسياسية وأفكار ومواقف ومعارف كثيرة، تفيد شباب الدبلوماسيين، وتضفى معرفة وثقافة للقارئ العام.

متنمـــرون و ضـــحايا

سفير د. هادى التونسي
arabemaluco@hotmail.com

من منّا لم يتعرض للتنمر، طفلاً أو مراهقاً أو بالغاً، فى أماكن الدراســة والعمل والحياة الاجتماعية والشــارع؛ فالتنمر لا ينقطع ســواء من الشــخصيات النرجسية والســيكوباتية التى تتلذذ بلفت الانتباه إليها بالإســاءة للغير ومحاولــة التظاهر بالقوة بالســيطرة على الآخرين والتحكــم فيهم، وهم بهذا إنما يوحون بــأن عدوانهم دليل على نقص الثقة بأنفســهم وافتقارهم إلى فضيلة الاحترام المتبادل وقيم التعامل المهذب المتحضر وتمالك النفس والشــعور بالآخر، أو قد يكونون ممن تتملكهم مشــاعر الغيرة والحقد والحرمــان أو تعرضوا صغارًا لعنف أسرى أو نشــأوا فى بيئة تمجد الاستقواء زرعت فيهم الخوف أن يكونوا مسالمين حتى لا يظنهم الآخرون ضعفاء.

ضحايا هؤلاء عادة مــن الخلوقين والودودين والمحبوبين أو من المختلفين مهارة وذكاء وبنية وعرقاً أو ممن يبدو فيهم ضعف وخجل وانطواء.

للأســف إن ظاهــرة الاســتقواء والاستذكاء زادت فى مجتمعنا فى العقود الأخيرة لأسباب عديدة منها تراجع القيم والضغوط الحياتيــة، ورغم أن النصح العام تجاه المتنمر هو تجاهله وحرمانه سلوكياً من الشــعور بالانتصار، أذكر أننى إذ كنت طفلاً بديناً أو يافعاً يمتنع عن الاســتجابة لضغوط التدخين كنت أترك الانطباع عند من تنمروا أن التنمر يؤتيهم بنتائج عكسية، ربما لأنى أردت ألا يفسر آخرون طبعى المســالم القائم على الاحترام بأنــه ضعف، فالمتنمر كما يقولون هو قوى جبان.

أحياناً لا نتصور مدى جسارة وتفرد ضحايا التنمر إن تحررت شخصياتهم من القيــود، ولدى بهذا الشــأن قصة محيرة لصديق عمر وروح أفتقده وربما لن ألقاه، ولنفترض أن عزيز هو اسمه.

عرفــت عزيز فى المدرســة الثانوية فى أواخر الســتينات، كان شكلًا ولونًا ورداء أشبه بأوروبى فى ثلاثينات القرن الماضي؛ أشقر أبيض حليق الشعر قامته أقرب إلى القصر، يرتدى سروالاً واســعاً داكناً وقميصــاً أبيض ونظارة بها لون ذهبى، وهو عكس ما كان شــائعاً بين شباب المدرســة ثم الجامعة من إطالة الشعر وارتداء الملابس الضيقة الملونة، كان خجولاً منطوياً يســعى الآخرون لإغاظته بأن يســمونه بياضة أو تقاوى ويســتفزونه بألفاظ فيمــا بينهم تثير توتره، كنت أراه بالــغ الأدب والبراءة، وأشعر بالشفقة عليه حينما يظن مداعبة الآخرين له تنمراً.

لا أدرى كيــف جمعتنا ســنوات الجامعة ليكــون الصديق المقرب، ربما أنس معى أمانًــا أو بعض دعم وخبرة يريدها، وربما كنت أحتاج لهذا الشعور بالــبراءة والحميمية التــى يتمتع بها، خاصة وأننى لم أكن وقتها شــخصية انبســاطية ترتاح بين الجموع بل كنت أتظاهر فى الكليــة أحياناً بالخجل. هو وحيد والديه، اللذين أعــداه بمثاليات وحيــاة اجتماعية محــدودة أن يكون عماد الأسرة فى شــيخوختهما، وكنت أنا بالعكس نشــطاً رياضياً أحب الموضة والموســيقى والنوادى والحفلات وحياة المرح بالتزام، وكنت أتصور أنه سيكون أســعد إذا أصبح أكثر انفتاحاً وحرية وتلقائية وثقة بمشــاركتى هذا النمط من الحياة، وهو ما حدث بل وزاد الأمر بالتحاقنا معاً بمجموعة طوعية للعلاج النفسى الجمعــى، والنتيجة أنه أصبح يتمتــع بتلقائية وثقــة وتوافق نفسى وسعادة بل وشــعبية لم يتصورها من كانوا منذ سنوات يتنمرون عليه. وللحق فإن أسرته لم تعترض بل وثقت فى. كنا دوماً معًا، نأنس إلى بعض ولو مارسنا الســكون لدقائق، لم تكن بيننا أسرار، وكنا نضحك ونحــن نتخاطر وننطق بنفس العبــارات، وكان البعض يغار من مدى صداقتنــا، كان يتمتع بصدق الحدس والســكينة والرحمة والتفهم، شخص يرتاح له الجميع.

لكــن الحيــاة المهنية لــم تكن فى الســبعينات على الصورة الوردية التى تخيلناهــا فى الطفولة؛ فلم يكن التخرج من كلية الطب يكفل حلم عربية وعيادة وعروســة وعمارة وعزبــة، بل أجبرت ضآلة المرتبــات الكثيرين على العمل فى الخليج والغرب، وهكــذا بينما اخترت العمل دبلوماسياً اختار هو العمل طبيب أطفال فى السعودية مفترقًا عن والديه، ثم تزوج فلبينية وأنجــب منها، وكان آخر لقاء بيننا عام ١٩٨٩، وبعدها قال لوالديه أنه سيزور أهلها فى الفلبين إلا أنه غادر وأسرته إلى الولايات المتحدة وأصبح لســنوات يهاتف والديه أســبوعياً من تليفون خارجى ليطمئنهما دون أن يدلى بمعلومات عن عنوانه وعمله، ولم يعرفا عنه شيئاً حتى توفاهما الله، وحتى الآن لا أعرف ولا أى من أصدقائه عنه شيئاً.

لــم أكن أتصــور أثناء الدراســة وبالتأكيد من تنمــروا عليه ووالداه أن تحرره نفسياً ومن قيود التربية الأسرية يمكــن أن يصــل به بهذه الجســارة والجرأة والمغامرة إلى كل هذا؛ زواج من أجنبية وهجرة وفراق وقطيعة عن بلده وأهله وأصدقائه، لكن فى النهاية ربما لا يعلم المتنمرون قدر ضحاياهم، وأن وراء المسالمة مارداً لا نتوقع ما يفعل إذا انطلق؛ فالقوة ليســت فى السيطرة على الآخرين بل فى تمالك النفس، والواثق بنفســه لا يحتاج العدوان لإثبــات ذاته، ولا حتى الإعجاب ليتأكد منها، ومن يحترم نفسه سيحترم الآخرين، فما يشين المرء ليس ما يسمعه بل ما يقوله ويفعله، ومن يتمتع بتوافق نفسى سيسالم الآخرين، ويتوافق مع مجتمعه وقد يكون قدوة فيه.

ذكـــريات

السفيرة عواطف شلبى

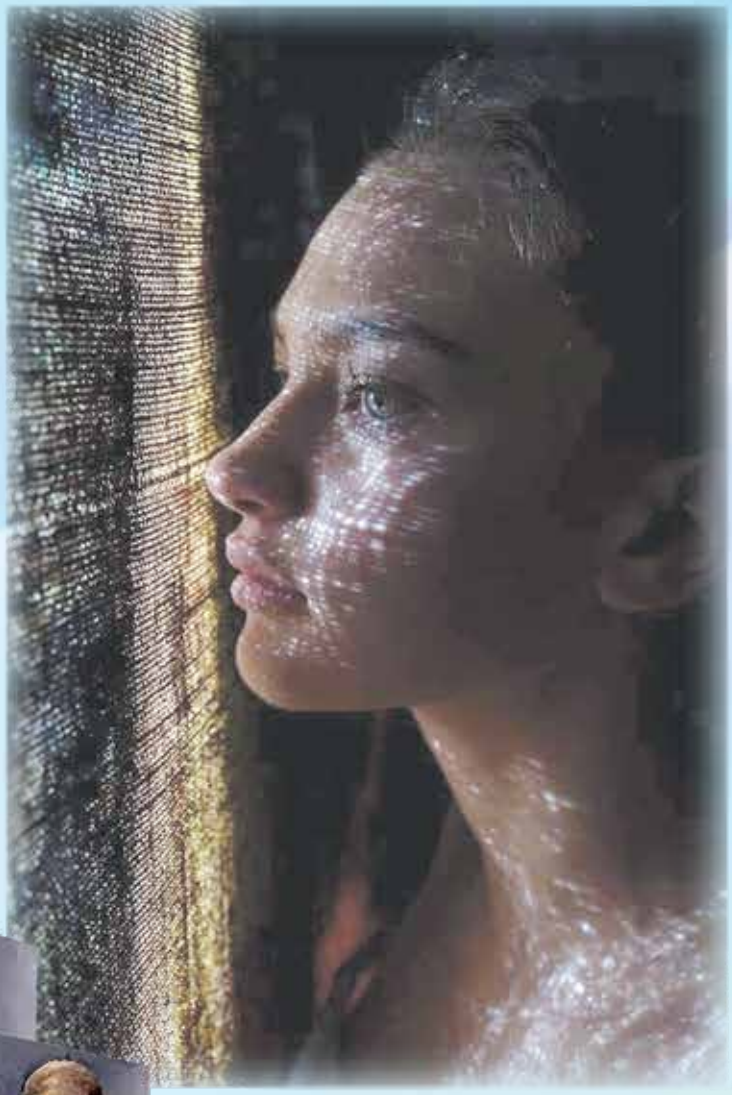

هكذا تحيا

داخل قضبان الذكرى

تتأمل الصورة

تسبح فى بحور الذكريات

تشم فى الصورة رائحة الياسمين

تسمع صوت آهات وأنين

وطائر الليل الحزين

وحبات المطر تدق على الشباك

تمضغ الرغبة.. تبتلع الألم

تقلب من الكتاب صفحات

هنا رسوم وهناك حكايات

وهذه خريطة

هذا موقع بيته ، وهنا تقع صحيفته

وهنا التليفزيون ودار الإذاعة

ومن عينها تسقط دمعة ملتاعة

تبتل الورقة اللماعة

تنحنى على الخريطة لتجف من عليها دمعتها الملتاعة

وتقبل مواقع بيته وصحيفته

والتليفزيون ودار الإذاعة

هكذا تحيا

تفرغ حبها فى صورة وكتاب وخريطة.

2020 باختصار ترك لنا مكان بالأرض ودعوة فى السماء

السفيرة د.عبير بسيونى
abassiouny@hotmail.com

اعتدنا أن نسترجع الدروس المستفادة من كل عام، وديسمبر ليس فقط شهر نهاية العام الميلادى، ولكنه شهر التقييمات والمراجعة. ولا أظن أن من بيننا بشر على هذا الكوكب الأرضى لم تنل منه2020. لكن حسن ظننا بالله كبير، وبأن ما عانيناه من هذا العام على المستوى الشخصى وغير المحفوظ ثوابه بدعوة فى السماء، ويكفى أننا خرجنا من هذا العام بمكان على أرض البسيطة، فى حين غيرنا كثيرين فقدوا أماكنهم وحياتهم وذويهم.

فنسبة الوفيات مثلاً لعام 2020 فاقت الأعوام السابقة لها قضى الوباء على أكثر من مليون شخص فى جميع أنحاء العالم، وأصيب بالعدوى أكثر من 34 مليوناً آخرين.

عام 2020 عام حزن على إفريقيا والأمة العربية، فقدت فيه قارتنا الكثير، وكذلك شعوبنا العربية، خاصة من القادة، حتى لو اختلفنا معهم، فهم يمثلون الآباء المؤسسين للاستقرار والسلام فى دولهم، ومن أبرزهم الرئيس المصرى الأسبق محمد حسنى مبارك فرحل عن عمر 91عاماً. وعن نفس العمر وفى 29 سبتمبر، رحل أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، الذى قضى 14 عاماً فى حكم بلاده، وكذلك كانت وفاة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان، عن 79 عاما. كما توفى فى 23 نوفمبر الرئيس الموريتانى الأسبق سيدى محمد ولد الشيخ عبدالله عن عمر ناهز 82 عاماً، وهو يُعتبر أول رئيس مدنى منتخب فى بلاده. ومن الرؤساء الأفارقة الذين وافتهم المنية وهم فى السلطة الرئيس البوروندى بيير نكرونزيزا المرشد القومى لبوروندى الذى توفى فى 8 يونيو 2020 عن عمر لم يتجاوز 52 عاماً وقبل أن يسلم السلطة لخليفته الرئيس المنتخب الجديد لبوروندى فى أول انتخابات ديمقراطية سلمية فى البلاد التى عانت طويلاً من الحروب الأهلية. كما توفى بـ2020عدد من الرؤساء السابقين مثل: دانيال آراب موي- كينيا، والجنرال يواكيم هومبى أوبانغو أول رئيس للكونغو برازافيل وكذلك توفى باسكال ليشوبا أول رئيس ديمقراطى بالكونغو برازافيل، وبنجامين مكابا- تنزانيا، وكل من الرئيس موسى تراورى وأمادو تومانى توري من مالى، وجيرى جون رولينغز- غانا، وماماادو تاندجا- النيجر.

ولم يترك لنا 2020 خياراً حتى فى الشخصيات السياسية المؤثرة فتوفى متأثراً بالكورونا كل من المكافح الفلسطينى صائب عريقات (65عاماً)، ورئيس الوزراء السودانى الأسبق الصادق المهدى عن عمر ناهز 84 عاماً ورئيس الوزراء الليبى الأسبق محمود جبريل عن عمر ناهز 67 عاماً. وكذلك رحل عن عالمنا رئيس الوزراء التونسى الأسبق حامد القروى عن عمر 92 عاماً، ووزير الخارجية السورى وليد المعلم عن عمر 79 عاماً (شغل منصب وزير الخارجية لنحو 14 عاماً)، وعزة الدورى نائب رئيس النظام العراقى السابق 78عاماً (لأكثر من 23 عاماً بمنصبه إبان فترة حكم الرئيس العراقى صدام حسين)، ورئيس الوزراء اليمنى الأسبق عبدالقادر باجمال بعمر 74 عاماً، ورئيس حكومة الجزائر الأسبق بلعيد عبدالسلام، عن عمر92عاماً.

أصل الكتابة العربية

كان المستشرقون من مؤرخى الفن يفضلون استعمال كلمة «الفن الإسلامى والحضارة الإسلامية» للدلالة على الفنون التى ظهرت وانتشرت بعد ظهور الإسلام وانتشاره، ولكن كلمة «عربى» أصبحت منذ فترة غير قصيرة تستعمل للدلالة على الفن الذى مازالت آثاره قائمة فى البلاد العربية منذ ظهور الإسلام فيها، وقد برر مؤرخو الفن هؤلاء تسميتهم الجديدة تبريرات مختلفة، حيث يرون أن الثقافة العربية سابقة للإسلام، ولكن بفضل الإسلام انتشرت اللغة العربية والفن عبر العالم المسلم حاملاً مفهوماً خاصاً وشخصية متميزة .

سفير أشرف عقل

ويرى العديد من العلماء أن اللغة مازالت حتى اليوم هى الأساس المعتمد فى تصنيف الأمم دون العروق والأجناس، وعلى هذا الأساس فإن لغة ما، درج الناس منذ التوراة على تسميتها سامية، ويمكن أن نسميها عربية وهى تسمية أدق، هذه اللغة تكلمتها شعوب هاجرت من منطقة شبه الجزيرة العربية ومنها بالطبع اليمن وشكلت على ضفاف نهرى دجلة والفرات ونهر النيل وفى شمالى سوريا والساحل، حضارات متعاقبة ذات جذور واحدة ومظاهر متقاربة .

– ولابد من تسمية هذه اللغة «عربية» وتسمية الشعوب التى تكلمت بها بالشعوب أو الأمة العربية لأن التسمية فى أساسها «أ – رى – بى» أو عربى تعنى سكان البادية والصحراء، ولأن الأقوام التى هاجرت نحو الشمال كانت من البدو الذين تحضر بعضهم، واستمر كثيرون منهم فى بداوته محتفظاً باسم العرب أو الأعراب، وكانوا جميعاً يتكلمون هذه اللغة، لغة البادية أو لغة العرب، على الرغم من الاختلاف فى اللهجات، والاختلاف فى نطق بعض الحروف، كالهمزة التى يمكن أن تصبح عيناً أو كافاً فى الكلمة الواحدة مع اختلاف الناطقين بها من أكاديين أو عموريين أو كنعانيين.

– أما العلاقة بين اللغة المصرية القديمة واللهجات العربية الأخرى فهى ليست ضعيفة، كما يتخيل بعض المغرضين، بل إن أكثر الكلمات المصرية القديمة ذات أصل عربى واضح .

– ولقد سارت الكتابة فى نشأتها الأولى مسيرات متشابهة، فكانت هيروغليفية تصويرية بين الرافدين وفى سوريا وفى وادى النيل، ثم أصبحت كتابة مجمعة، ولقد أظهرت النقوش التى اكتشفت فى «سرابيط الخادم بسيناء» والتى تعود إلى عام ١٨٥٠ قبل الميلاد أن ثمة رابطة بين الكتابة الديموطيقية المصرية والكتابة الكنعانية التى تعد آخر تطورات الكتابة المسمارية .

– ولابد من التأكيد هنا على أن هذه الأمة «العربية» كانت أول من أوجد الكتابة، وأحرف الهجاء فى العالم، فقد تم العثور على كتابات فى بلاد الرافدين عبارة عن رسوم هيروغليفية تحاكى الكتابة المصرية المرسومة الأولى، ثم ظهرت كتابات مؤلفة من نقط أشبه برموز الموسيقى، وارتفع مستوى هذه الكتابة إلى أشكال وشطوب على الطين بقصبة قاسية أطلق عليها الكتابة المسمارية التى كتب بها السومريون أولاً ثم الأكاديون والعموريون والكنعانيون .

– وفى هذا يقول أحد الباحثين وهو «جورج بيرو»: «إن ابتكار الأبجدية كان حدثاً مهماً جداً لا يمكن مقارنته بأى حدث آخر فى تاريخ الجنس البشرى، وهو أعظم من ابتكار الطباعة، إذ أن تحليل الكلام وإرجاعه إلى عناصره الأولية يحتاج إلى عمل فكرى عظيم».

– والخلاصة أن الكتابة هى اختراع عربى محض، وأن الحضارة العربية حضارة عريقة مازلنا نكتشف أبعادها الضاربة فى أعماق التاريخ، وهى ذات شخصية موحدة بلغتها وجغرافيتها، ويمكن وصفها باسم العربية، نسبة إلى عربى وهى تعنى باللهجات القديمة الأكادية والعمورية ساكن البادية. كما أن هذه الحضارة لم تبتدئ فى القرن السابع الميلادى، كما يزعم البعض، بل هى موجودة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، واستمرت تحمل جميع خصائص الأمة العربية حتى يومنا هذا، وتتجلى شخصية هذه الحضارة الموحدة فى عاملين هما: وحدة اللغة، ووحدة العقيدة .

الأصول المباشرة للكتابة العربية

* هناك ثلاثة آراء لتحديد الأصول المباشرة للكتابة العربية هى:

– الأول، ويرى أن الخط العربى مستمد من الخط المسند الحميرى أو من فروعه التى عرفت عند الثموديين والصفويين واللحيانيين، ويحاول أصحاب هذا الرأى تأكيده ضمن حدود التأثير المشترك، فى حين أن أكثر العلماء ينفون هذا.

– الثانى، ويرى أن مصدرها هو الكتابة السريانية الحيرية، ويستند أصحاب هذا الرأى إلى ما أورده البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان، ثم إلى النقش الذى اعتمد عليه العالم ستاركى Starcky والذى عثر عليه فى دير سمعان غربى حلب، وكذلك الاعتماد على الرأى الصادر عن ابن النديم بأنه انتقل من الأنبار إلى الحيرة ومنها إلى الحجاز عن طريق دومة الجندل، وإن كان البعض يخالف هذا الرأى بحجة أنه لا توجد كتابة سريانية من الحيرة تؤكد هذا الرأى .

– أما الرأى الثالث الذى اتفق عليه أكثر الباحثين فهو أن الكتابة التى ظهرت فى جبيل انتقلت إلى الآراميين، واستعمل الأنباط الكتابة الآرامية وطوروها وامتد تطورها إلى العربية، ولكن ستاركى مازال يعتقد أن السريانية هى مصدر العربية، وليست النبطية المتأخرة. ويؤكد هذا الرأى الثالث الكتابات التى ترجع إلى ما قبل الإسلام وهى:

– كتابة أم الجمال فى بصرى الشام وترجع إلى نهاية القرن الثالث الميلادى وهى شديدة القرب من الكتابة النبطية .

– كتابة النمارة «حوران» التى اكتشفها دوسو وترجع إلى عام ٣٠٠ – ٣٢٨ م، وهى شاهدة قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب، ويعتقد أنها نبطية بلغة عربية .

– كتابة معبد رم شرقى العقبة والتى عثر عليها سافينياك وهورسفيلد وهى أقرب إلى العربية .

– كتابة أم الجمال الثانية التى درسها ليتمان وقدر تاريخها فى القرن السادس الميلادى ويظهر فيها الأثر النبطى بصورة واسعة .

– كتابة زيد شرقى حلب وهى محفورة على حنت كنيسة مع كتابة يونانية وأخرى سريانية مؤرخة ٥١٢م، وهى كتابة عربية بدائية ذات ملامح نبطية.

– كتابة أسيس «بادية حوران» وترجع إلى عام ٥٢٨م، وهى أكثر الكتابات العربية الأولى تكاملاً، ومع ذلك فهى مؤرخة بالنبطية .

– كتابة حران وهى أيضا عربية الكتابة ولكنها بدائية ترجع إلى عام ٥٦٨م .

الخط العربى:

إن الخط العربى، هذا الفكر الساكن، كما يقول الأولون، هو إشارة معبرة مبهجة، تختلف عن أية صفة من صفات الفرح المجانى وإن كانت تلامسه .

لقد أعطى العرب الخط الجميل عناية خاصة عند كتابة القرآن الكريم، منطلقين من مبدأ، هو فى الواقع قول سيدنا على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، الخط الجميل يزيد الحق وضوحاً، وكما يقول عبدالله بن عباس رضى الله عنهما، الخط لسان اليد، وهكذا كان الخط الجميل موازياً فى أهميته للتجويد فى القرآن الكريم .

وسرى الخط العربى فى جميع البلاد الإسلامية وأصبح الحرف العربى واسطة التعبير فى جميع اللغات الهندية والفارسية والتركية، وأخذ الخط مكانه كفن رفيع مرتبط مباشرة بالثقافة العربية والعقيدة الإسلامية. على أن الخط العربى، كما يقول البعض، مرتبط بالكلمة العربية ذات الصفة العضوية والتى تحمل بصورتها الصوتية مصدر استلهامها الذى يتضح عن طريق «الحدس أى التجاوب الرحمانى بين الذهن والصورة» وبمعنى آخر، فإن اللسان العربى نشأ عن حدوس صادقة لطبيعة الأشياء، وليس هو مجموعة من الرموز المنفصلة عن مفاهيمها .

ويعد الخط العربى مظهر العبقرية الفنية عند العرب، فقد كان أولاً وسيلة للمعرفة، ابتدأ منذ أن كان جنيناً فى رحم الكتابة الفينيقية، ثم توضح فى الكتابة الآرامية، ثم فى الكتابة النبطية المتأخرة حتى بلغ جماله وكماله فى الكتابة العربية، وأصبح فناً له ما يقرب من ثمانين أسلوباً وطريقة، من أشهرها :

- الكوفى، الثلث، الرقعة، الفارسى، الديوانى ... وفروع هذه الخطوط، بل إن «ابن البواب» المتوفى عام ٤٢٥ هجرية قدم فى نطاق الخط الثلث فقط سبعة عشر قلماً هى:

الثلث، المعتاد، المنثور، المقارن، التواقيع، جليل، المصاحف، المسلسل، الغبار، النسخ، الفضاح، المحقق، الريحان، الرقاع، الحواشى، الرياشى، والطومار .

- كما تتعدد أنواع الخط الكوفى، وفقاً لما أورده أبو حيان التوحيدى المتوفى عام ٤١٤ هجرية ومنها:

الإسماعيلى، المكى، الأندلسى، الشامى، العراقى، العباسى، البغدادى، المشعب، الريحانى، المجرد، والمصرى .

- ويضع التوحيدى شروطاً للخط الجميل فيقول: والكاتب يحتاج إلى سبعة معان: الخط المجرد بالتحقيق بمعنى إظهار الحروف كلها، والمحل بالتحديق بمعنى إقامة الحاء والخاء والجيم وما شابهها على تبييض أوساطها، والمجمل بالتحويق، والمزين بالتخريق، والمحسن بالتشقيق، والمجاد بالتدقيق، والمميز بالتفريق.

وهو يختم ذلك كله بشرط أساسى جامع فيقول: فهذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مؤاتيا، وفعله مواطئاً، وقريحته عذبة، وطينته وطئة.

المستشفيات

بنى نظام المستشفيات فى العصر الحديث على نظام المستشفيات فى عصر النهضة الإسلامية، إذ أن إنشاء المستشفيات بصفة عامة كان إضافة من الحضارة الإسلامية للتراث البشرى. وقد أنشئ أول مستشفى فى عصر النهضة الإسلامية عام ٧٠٧ ميلادية بدمشق فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك بهدف تشخيص وعلاج المرضى، حيث كانت تقدم كافة خدماتها بالمجان .

- ووفقاً لما جاء فى كتاب السير جون جلوب المعنون (مقتطفات من الحضارة الإنسانية)، فإنه فى عصر الخلافة العباسية تم افتتاح أول مستشفى مجانى (بيمارستان) فى عهد الخليفة هارون الرشيد فى بغداد، وكان به أطباء وجراحون ودارسون للطب وقاعات لإلقاء المحاضرات والتعليم الإكلينيكى بغية تخريج أطباء للعمل فى المستشفيات المختلفة بعد القيام بمنح شهادة أو رخصة بذلك .

- وبعد مضى حوالى قرن من الزمان كان فى بغداد ما يربو على ستة آلاف من دارسى الطب وحوالى ألف ممارس طبى، وبعد مضى عدة أعوام أنشئ فى دمشق مستشفى مركزى كبير لدراسة الطب، وفى نفس الوقت أيضاً أنشئ المستشفى الكبير بالقاهرة والذى ضم أربعة أبنية وحدائق واسعة وزود بالموسيقى لراحة المرضى، كما أنشئت أيضاً المستشفيات المتخصصة مثل مستشفى الطب النفسى، ومستشفى أمراض العيون بالقاهرة .

- وكان يدفع للمريض الذى يتم شفاؤه خمس قطع ذهبية حتى يتمكن من مراعاة صحته خلال فترة النقاهة، الأمر الذى يتضح منه أن المستشفيات كانت ابتكاراً إسلامياً، وبعد أن انتشرت فى العالم العربى انتقلت إلى أوروبا مع الحروب الصليبية، فأنشئ أول مستشفى عام ١٢٦٠ ميلادية فى باريس بأمر من الملك لويس التاسع بعد عودته من الحروب الصليبية وبعد أن شاهد هذه المستشفيات فى مصر .

- وقد ذكر السير جلوب فى كتابه المشار إليه آنفاً أن أول مستشفى تم افتتاحه بمصر كان فى عام ٨٧٢ م وهو «مستشفى طولون» الذى كان يحتوى على ١٠٠ ألف كتاب، وكان يحتفظ بسجل لكل مريض، وذلك لأول مرة فى تاريخ الطب، وانقسم المستشفى إلى عيادات خارجية وقسم داخلى، وكان يعطى للمريض عند دخوله القسم الداخلى ملابس خاصة وتحفظ مقتنياته فى قسم خاص لحين استردادها بعد شفائه وخروجه من المستشفى .

- كما أنشئت مستشفيات خاصة لعزل مرضى الجذام فى دمشق بسوريا، فى الوقت الذى كان يحرق فيه المرضى المصابون بنفس المرض فى أوروبا. وفى المستشفى الذى بنى بالقيروان فى تونس كان يقوم على خدمة المرضى ممرضات متخصصات من جنسيات متنوعة. وبعد ذلك أنشئت المستشفيات فى أرجاء الدولة الإسلامية من الصين إلى الأندلس .

- ويعد مستشفى القاهرة الذى بناه السلطان قلاوون المنصور فى عام ١٢٨٥ ميلادية، أكبر مستشفى فى ذلك العصر حيث كانت تقدم الخدمة فيه لحوالى ٨٠٠٠ حالة مرضية، وكان يتم به إجراء العمليات الجراحية خاصة فى مجال طب العيون حيث كان الأطباء يقومون بإزالة المياه البيضاء من العين بواسطة حقن خاصة .

- أيضاً، ذكر وول ديورانت فى كتابه (قصة الحضارة)، أن هذا المستشفى كان يتكون من أربع بنايات كبيرة تتوسطها حديقة كبيرة ونافورات مياه، وبه أماكن لإقامة المرضى ومعامل وصيدلية كبيرة وعيادة خارجية وحمامات ومكتبة ومسجد صغير وقاعة لإلقاء المحاضرات. كما كان المرضى يعالجون بالمجان دون النظر إلى وضعهم الاجتماعى أو الدينى. أيضاً كان الأطباء العاملون به من مختلف الديانات. كما أنشئ كذلك بالقاهرة مستشفى خاص بمرضى الأمراض النفسية لأول مرة فى تاريخ الطب البشرى .

- ويرى الكندى «ويليام أوسلر» أن المستشفيات فى عصر النهضة الإسلامية خاصة مستشفى القاهرة، على سبيل المثال، كانت لا تقل فى مستواها الإدارى والمهنى عن المستشفيات فى أوروبا فى عصر الملكة فيكتوريا فى القرن التاسع عشر، وكانت المستشفى تسمى البيمارستان وهى كلمة فارسية تعنى مكان المرضى.

- أيضاً كانت توجد مستشفيات متنقلة للعناية بالمصابين والمرضى أثناء العمليات الحربية، وتعد الصحابية أمية بنت قيس الغفارية أول سيدة فى الإسلام كانت مسئولة عن تمريض وعلاج جرحى العمليات الحربية، وذلك فى عصر النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

« وللحديث بقية» .

هوامش :

* الأكاديون: هم العرب النازحون من شبه الجزيرة فى الألف الثالث قبل الميلاد حيث أقاموا فى أكاد دولة وحضارة بعد أن سيطروا على سومر.

* العموريون: هم سكان الغرب، سكنوا على الألف الثانى قبل الميلاد فى شمالى سوريا ومن أهم مدنهم: تل الحريرى، تل مرديخ، وتل عطشانة .

* الكنعانيون: هم سكان الساحل السورى ويطلق اسمهم أحياناً على جميع سكان سوريا عوضاً عن اسم العموريين، وازدهرت دولتهم فى منتصف الألف الثانى، ومن أهم مدنهم: رأس شمرة «أوغاريت»، وجبيل «بيبلوس»، وصور .

فى زمن الكورونا:

أولويات جديدة لمنتدى دافوس من أجل مستقبل أفضل للعالم

مع بدايات عـــام 2021 مازالت جائحة كورونا تضفى بآثارها على كافة أنحاء العالم وتثير المزيد من التحديات الاقتصادية والاجتماعية التى تثقل كاهل ســـكان كوكب الأرض، ومازال الكثيرون ينتظرون بفارغ الصبر الوصول إلى بر الأمان والنجاة بأنفسهم من هذا الفيروس اللعين ولا سيما وبعـــد أن نجح العلماء فى التوصـــل إلى عدد من الأمصال التى تقى الإنســـانية من شر هذا الوباء والآمال تنعقد على تنفيذ الوعود الســـابقة من الدول المنتجة للأمصال بالالتزام بالتوزيع العادل لهذه الأمصال الواقية دون تمييز بين غنى وفقير.

هادية الشربيني
sherfayez@yahoo.com

وفى إطار مرحلـــة الانتظار والترقب هـــذه والتى قد تطول، لـــم تنج الكثير من المؤتمـــرات والمنتديات والمهرجانات العالميـــة هذا العام أيضـــاً من التدابير الاحترازية التـــى يلتزم بهـــا المجتمع الدولى بســـبب وباء كوفيد - 19، ومن هذا المنطلق اضطر المنتدى الاقتصادى العالمى والذى يعرف «بمنتدى دافوس» للتحـــول إلى الفضـــاء الافتراضى حيث عقد المرحلة الأولى مـــن مؤتمره الدولى افتراضياً فى الفترة مـــن 25 إلى 29 من يناير الماضى وهو يعد من أكبر المؤتمرات الافتراضيـــة التى شـــهدها أوائل العام الحالى حيث شارك فيه المئات من نخبة العالم تحت شـــعار «عام حاسم لإعادة الضبط والانطلاق وبناء الثقة».

ومن المنتظـــر انعقاد المرحلة الثانية من مؤتمر منتـــدى دافوس حضورياً فى سنغافورة خلال شهر أغسطس المقبل بدلاً من شـــهر مايو وهو التاريخ الذى تحدد له مســـبقاً وذلك لضمان حماية صحة وســـلامة المشـــاركين والمجتمع المضيف.

أولويات جديدة

منتدى دافـــوس الاقتصادى والذى يعد من أكبر المنصـــات الدولية للحوار والتباحث بشأن كافة القضايا والتحديات الماثلة أمام كافة شعوب الكرة الأرضية، ومن ثمّ فقد تمكن مـــن خلال مؤتمره الافتراضى من إدارة سلسلة من الحوارات المهمة فى إطـــار مائة جلســـة تم بثها نحو 400 مدينة بمشـــاركة 25 رئيس دولـــة وحكومة من بينهم المستشـــارة الألمانية أنجيلا ميركل والرئيس الفرنسى إيمانويـــل ماكـــرون والرئيس الروسى فيلادمير بوتين، وذلك بخلاف مشاركة كبار المسئولين فى المنظمات الدولية ومن بينهم أنطونيو جوتيريش سكرتير عام الأمم المتحدة، فضلاً عن مشـــاركة 600 من المديرين التنفيذيين العالميين لكبرى الشركات وقـــادة المجتمـــع المدنى من نحو 80 دولـــة والأكاديميين والمبدعين وممثلى وسائل الإعلام، حيث كان هدف منتدى دافـــوس هذا العـــام وفى إطار التحديات التى فرضتها جائحة كورونا هو بالأســـاس السعى لتحقيق مستقبل أفضل للعالم وإعادة ضبطه للتوافق مع أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة.

وقد أكد «كلاوس شـــواب» مؤسس المنتدى ورئيسه التنفيذى على أنه فى ظل جائحة كورونا تظهر الحاجة إلى أهمية وضـــع أولويات جديدة ولاســـيما وأن المؤتمر هذا العـــام له أهمية خاصة من حيث تركيزه فى المناقشة على كيفية تعافى النظام العالمى مـــن آثار هذه الجائحة، وهو ما يتحقق من خلال إيجاد تعاون وثيق بـــين القطاعين العـــام والخاص لإعادة بناء الثقة ومعالجة تداعيات عام 2020 والتى نتجت عن تبعات انتشار وباء كوفيـــد 19- والتى أدت إلى إغلاق المرافق الحيوية عالمياً، وتدهور الأوضاع فى الدول النامية والمتقدمة على حد سواء وعلى وجه الخصوص فى مجالات التعليم والصحة وحرية التنقل.

توجهات مختلفة

الصورة التـــى انطبعت فى الضمير العالمى بشأن منتدى دافوس منذ نشأته

رئيس منتدى دافوس البروفيسور كلاوس شواب

الأولى وعلى مدى أكثر من نصف قرن هى كونه منتدى يعبر عن الأثرياء فقط، ومحور اهتماماته ينصب على تحقيق مصالحهم دون الاهتمام والبحث عن المشاكل التى تعانى منها غالبية شعوب العالم والتى تتركز فيما يعرف بثالوث الفقر والجهل والمرض.

ولكن على ما يبدو جاءت جائحة كورونا لتحول فكر القائمين على منتدى دافوس للاهتمام بمسألة اتساع الفوارق بين أغنياء وفقراء العالم، حيث فرضت تداعيات جائحة كورونا الاقتصادية والاجتماعية على المنتدى الاهتمام بمناقشة مثل هذه التداعيات فى تقريره السنوى الذى تم نشره فى منتصف يناير 2021، والذى احتوى على اعتراف من المنتدى بأن تفشى فيروس كورونا أدى إلى اتساع الفوارق فى الدخول وفى مستويات الحصول على الرعاية الصحية المناسبة، ومن ثمّ بات يلقى بآثاره السلبية على الجهود الحثيثة التى بذلت وبصفة مستمرة على مدى سنوات عديدة وحققت تقدماً فى اتجاه انخفاض معدلات الفقر وعدم المساواة.

ويعتقد العديد من المحللين بأن مثل هذه التوجهات التى بدت واضحة فى التقرير السنوى لمنتدى دافوس تعنى أن معدى التقرير عملوا على استطلاع آراء العديد من الاقتصاديين الذين يختلفون فى توجهاتهم عن توجهات أعضاء المنتدى التقليديين، ومن هنا اتضح من خلال التقرير السنوى هذه التوجهات المختلفة التى أعطت اهتماماً خاصاً للمشاكل الملحة التى تواجه دول العالم اليوم ولاسيما فيما يتعلق بازدياد المعاناة من الفقر والمرض، والتى تزداد حدتها فى زمن الأوبئة وهذا ما حدث بالفعل منذ انتشار جائحة كورونا والتى مازالت تضفى بآثارها السلبية على كافة دول العالم الغنية والفقيرة والمتقدمة والنامية على حد سواء.

والسؤال الأهم والمطروح على الساحة الآن هل يستمر هذا الاهتمام فى التنامى وبصفة مستمرة فى دهاليز المنتدى أم أنه سوف يكون مجرد مرحلة عابرة تنتهى بمجرد اختفاء الوباء؟

سنغافورة.. لماذا؟

ولكن لماذا وقع اختيار القائمين على منتدى دافوس على سنغافورة لانعقاد اجتماعهم السنوى الاستثنائى بها والذى تم تأجيل انعقاده إلى شهر أغسطس المقبل بعد أن كان مقرراً انعقاده فى شهر مايو؟ وهو أيضاً الاجتماع الذى سوف يكون أول لقاء مباشر من نوعه يضم نحو ألف مشارك على المستوى العالمى لبحث سبل التعافى من أزمة فيروس كورونا ومواجهة تحدياتها الاقتصادية والاجتماعية.

بحسب الموقع الرسمى لمنتدى دافوس فإن تغيير مكان انعقاد الاجتماعات من سويسرا إلى سنغافورة جاء بعد عملية بحث دقيقة عن المكان الأكثر أمناً من الناحية الصحية لعقد اللقاء الذى يضم قادة العالم وكبار المسئولين الحكوميين ورجال الأعمال وأعضاء المجتمع المدنى، ولاسيما وأن سنغافورة قد أثبتت كفاءتها فى مواجهة جائحة كورونا حيث توقف عدد الوفيات لديها جراء هذا الفيروس اللعين عند 29 شخصاً فقط.

ومن هذا المنطلق أكد المسئولون فى سنغافورة على أن السلامة الصحية للمشاركين فى منتدى دافوس على أرض بلادهم تحتل الأولوية الأولى حيث سيتم تطعيم المنظمين للمنتدى فضلاً عن تطعيم أكبر عدد ممكن من المشاركين وسوف يتم استخدام أحدث الأساليب التكنولوجية للكشف عن إصابة محتملة بالفيروس وعزلها على الفور.

من ناحية أخرى فإن اختيار سنغافورة لإقامة هذا الحدث الاقتصادى المهم يرجع لكونها تعد رابع أهم مركز مالى فى العالم ومرفأها هو الخامس على المستوى الدولى من حيث كثافة النشاط، ومن هنا فإن اختيار منتدى دافوس لها يعزز بدرجة كبيرة من نجاح اجتماعهم الاستثنائى على أرضها، ويضفى أهمية متزايدة على الملف المهم الذى يفرض نفسه على كل من يعيش على كوكب الأرض والذى يتعلق بمواجهة تحديات جائحة كورونا.

وبعد، وفى ظل الاستعدادات الجارية لعقد لقاء دولى ناجح يديره منتدى دافوس ويتمحور حول إنقاذ البشرية من تداعيات جائحة كورونا، هل يشهد عام 2021 ميلاد نظام اقتصادى عالمى جديد من رحم هذه الأزمة القاسية التى أوجدها فيروس كورونا والذى يعنى بالأساس ميلاد نظام تتحقق من خلاله التطلعات المشروعة والعادلة لكافة شعوب العالم دون تفرقة أو تمييز.

سفير فخرى عثمان

الفنانة ساميه الشيخ

أقامت الفنانة سامية الشيخ معرضاً لأعمالها الفنيـــة فى قاعة مركز الهناجر للفنون تحت عنوان (هى فى عيونهم).

والفنانة أستاذ النسيج بكلية التربية الفنيـــة جامعة حلـــوان ونائب رئيس جمعية الأنســـيا الدولية وعضو جمعية الألياف الدولية.

وقد سبق لها الاشـــتراك فى صالون النسجيات بمكتبة الإسكندرية، ومؤتمر الأنســـيا فى كندا عـــام 2019، ومؤتمر الأنســـيا بفنلندا، والمشـــاركة بورش عمل فى جامعة جرانادا بأســـبانيا عام 2018، ومؤتمر الأنسيا بداييجو بكوريا الجنوبية عـــام 2017، وكذلك المعرض العام للأنســـيا الـــ34 فى ملبورن عام 2014.

ونشرت مقالاً فى صالون النسجيات بمجلة fiber Art now.

وتقول الفنانة أن هذا المعرض «هو تجربتـــى الإبداعية التـــى زاوجت فيها بين التصوير والنسيج فى إعادة صياغة

الفنان أحمد قبيصى سيد
(خندق الرؤية)

بأسلوب جديد».

ويقول أ. د. حمـــدى عبد الله تحت عنوان (الصور الشخصية للمرأة .. إعادة صياغة):

بدأ النسيج منذ بداية ظهور الإنسان على وجـــه الأرض فالعنكبوت ينســـج خيوطه الشـــفافة الحريريـــة للإيقاع بالحشرات فى شباكه ليتغذى أما الإنسان فكان هدفه الاكتساء والاتقاء من أحوال الطبيعة وستر عورته إلى أن ارتقى بعد ذلك إلى مرحلة الإبداع فى نســـجه. ولقد أرادت الفنانة فى هذا المعرض التعبير عن المرأة وتكريمها من خلال إعادة الصياغة لبعض الأعمال الفنية (صور شخصية) التـــى تناولتها فى مجـــال التصوير من خلال المزاوجة بين التصوير والنسيج فى رؤية إبداعية جديدة.

إنها صيحة أو رؤية جديدة للفنانة تقدمها كإضافة لتطوير إبداعها الفنى التشكيلى استناداً واستثماراً لتخصصها العلمى كأســـتاذة لفن النسيج فى كلية التربية الفنية.

أقام الفنان أحمـــد قبيصى معرضاً لأعماله الفنية فى قاعة زياد بكير بالمكتبة الموسيقية بساحة دار الأوبرا، وموضوعه خندق الرؤية، وقـــد افتتح أ.د. مجدى صابر رئيس دار الأوبرا المعرض.

والفنان حاصل عـــلى بكالوريوس الفنون الجميلة تخصص تصوير، وكان يعمل موجه عـــام الصناعات الزخرفية، ويتمتـــع بعضويـــة نقابـــة الفنانين التشـــكيليين، وجمعية أصالة للحرف التقليدية، والمديـــر التنفيذى بالاتحاد العربى لحماية الملكية الفكرية بجامعة الدول العربية، وسبق له إقامة معرض فى هولندا باتحاد المصريين فى أمستردام عـــام 1986، والاشـــتراك فى تنظيـــم المعارض السنوية لطلبة التعليم الفنى تخصص الزخرفة، كما اشترك فى العديد من المعارض الجماعية والخاصة، ومنها متحف العريش القومـــى للآثار (عام 2010)، نقابة الفنانين التشـــكيليين، ومركز الهناجر للفنون، ومركز الجزيرة للفنون ومركز كرمـــة بن هانئ وفندق كونكورد وغيرها.. وللفنان مقتنيات لدى الأفراد فى مصر وهولندا وقطر والأردن.

ويتضح من لوحـــات الفنان أبعاد طاقته الإبداعية فى مجال الزخرفة بصفة خاصة والتناغم فى اشـــتباك الخطوط المستقيمة والملتوية بالإضافة إلى التوازن فى التكوينات الشكلية الكامنة فى وجدان الفنان والتعبـــير عن مدلولها وهو الأمر الذى يســـتوقف المتلقى لتستقبل حاسة الإبصار خاصة الرسالة المنشودة.

الضوابط هى التى تصنع الإنسان

سفير د. فتحى مرعي

الإنسان الذى ليس لديه ضابط ولا رابط، وتسير أموره كيفما اتفق، ولا يضع لنفســـه حدوداً ولا قيوداً، هو إنسان منفلت، وعادة لا يعرف ماذا يريد أن يصنع بنفســـه.. لا هدف له ولا خطة لحياته.. هل تستطيع أن تأمن إنساناً كهذا على شـــئ؟ هل تأمن أن تزوجه ابنتك؟ هل تأمن أن تشركه معك فى مشروع ما؟ أشك.. وإن فعلت فسوف تندم..

الله خالقنا.. وهـــو أعلم بمن خلق وضع لنا ضوابط أساســـية نسير على هديها ونسترشد بها فى سلوكياتنا، كى ينصلح حالنا فى الدنيا ونفوز فى آخرتنا حيث الحياة الأبدية بالجنة ونعيمها..

ومن الضوابط التى أرشدنا إليها ربنا ألا نكون مـــن المقترين كما لا نكون من المسرفين فى إنفاق أموالنا «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» «الإسراء 29».

كما وجهنا ربنـــا أن نفى بوعودنا وعهودنا «وأوفـــوا بالعهد إن العهد كان مســـئولا» «الإسراء 34».. وألا نسرف فى الطعام والشراب «وكلـــوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين» «الأعراف 31» هـــذه بعض الضوابـــط.. ويوجد غيرها فى كتاب الله وســـنة رســـوله.. وعلى كل واحد منا أن يضع لنفســـه من الضوابط ما يجعل منه إنساناً صالحاً فى دنياه وأخراه، فالصلاح فى الدنيا يقابله الصلاح فى الآخـــرة، مثلما قال المولى عز وجل عن إبراهيم عليه الســـلام «ولقد اصطفينـــاه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين» «البقرة 130».

والصلاح فى الدنيا كيف؟ الإنســـان الصالح هـــو من يأتى ما أمـــر الله به ورســـوله وينتهى عما نهـــى الله عنه ورسوله «وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» «آل عمران 132-133».

وإلى جانـــب الضوابط التى وضعها الله ورســـوله لنا، فـــإن علينا أن نضع لأنفسنا ضوابط أخرى تكمل لنا مسيرتنا، وتهذب مـــن طباعنـــا وتحملنا على أن نكون مؤمنين أقوياء فلا نترك أنفسنا لما تهواه.. والضوابط التى نختارها لأنفسنا عن قناعة بجدواهـــا وأهميتها وتصلح لنا نظام حياتنا، وكل منا يســـتطيع أن يختار لنفسه ما يصلحها.

فالذى تعود الكســـل مثلاً وتأجيل أداء الواجبات إلى آخر وقتها، يســـتطيع أن يغير هذه العادة بالإرادة أولاً، ثم بعد التعود تصير شيئاً لا يستدعى الإرادة بل نأتيها كعـــادة جديدة، منقحة أو معدلة حســـبما تريدون والذى تعود أن ينام أكثر من حاجته إلى النوم، ويســـتمرئ النوم أكثر من أى شـــئ آخر يستطيع

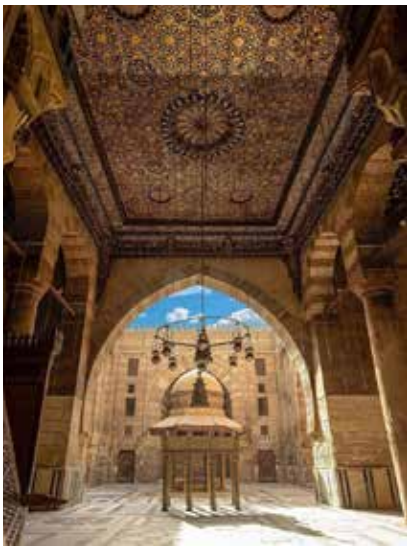

أن يغير هذه العادة كما قلنا بالإرادة فى بداية الأمر، ثـــم بعد التعود ينتهى دور الإرادة.

والـــذى تعود رفع صوتـــه بلا داع يســـتطيع أن يتعود على خفض صوته حين يتحدث إلى سامعه فيكون هذا أقرب إلى الوقار والتحضر.

والذى تعود الكذب خير له أن ينتهى عنه، فالكذب يقلل من قدر صاحبه حتى بينه وبين نفسه فالكاذب إنسان ضعيف أو مراوغ أو مخـــادع أو جبان.. قل ما شـــئت من الصفات الذميمة والصادق إنســـان قوى معتد بنفسه وهو مؤتمن على وعوده وعهوده، مؤتمن على ما يرويه من أخبار.. سوف يجد الإنسان الكذوب صعوبة فى تغيير هذه العادة فى البداية، وقد يخونه لسانه بين حين وحين فيكذب بحكـــم التعود على الكـــذب، ولكن مع الإصرار والعزيمة لابد أن ينجح وينتقل إلى صفـــوف الصادقين ضمـــن الذين يمتدحهم ربهم ويدخلهم جناته «للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهـــار خالدين فيهـــا وأزواج مطهرة ورضوان من الله واللـــه بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننـــا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

الصابرين والصادقـــين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار» «آل عمـــران 15-17» والحكمة تقول: (من يخطو خطـــوة البدايـــة يقطع نصف الطريق إلى النهاية).

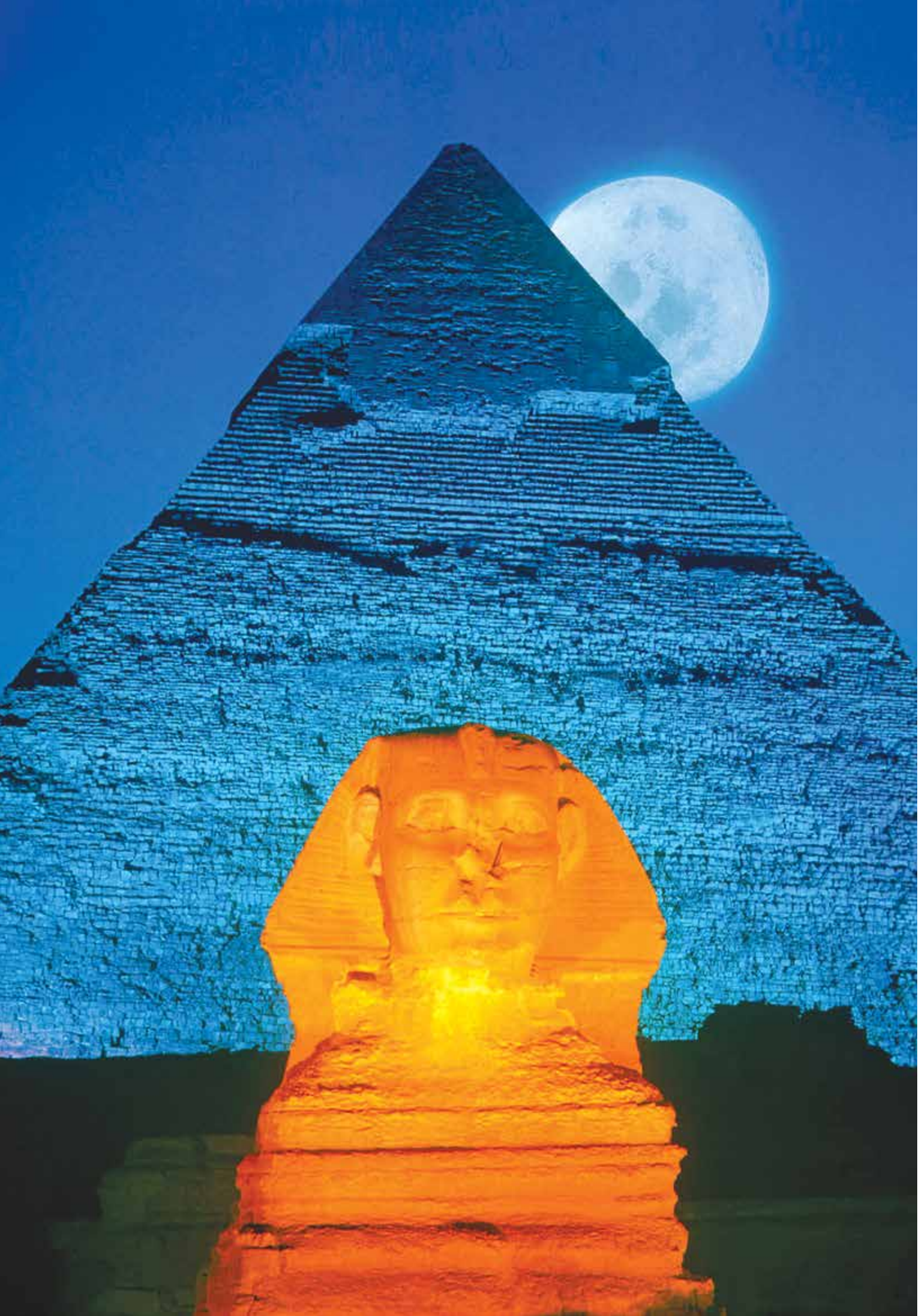

اشتري عربية أحلامك مع القرض الشخصي من CIB بكل سهولة!

دلوقتي تقدر تشتري العربية اللي بتحلم بيها من خلال قرض شخصي من CIB صمم خصيصًا لتزويدك بمجموعة من المزايا الفريدة، بدون مقدم، وبدون حظر بيع أو تأمين على السيارة، وفترة تمويل تصل إلى ٥ سنوات، بالإضافة إلى ٥٠٪ خصم على المصاريف الإدارية وسعر عائد مميز.

لمزيد من المعلومات، برجاء زيارة أقرب فرع CIB أو اتصل بمركز خدمة العملاء ١٩٦٦٦

CIB

تُطبق الشروط والأحكام

١٩٦٦٦ ٧/٢٤ | WWW.CIBEG.COM | /CIBEgypt

بنك تثق فيه